الحرب النفسية والطابور الخامس

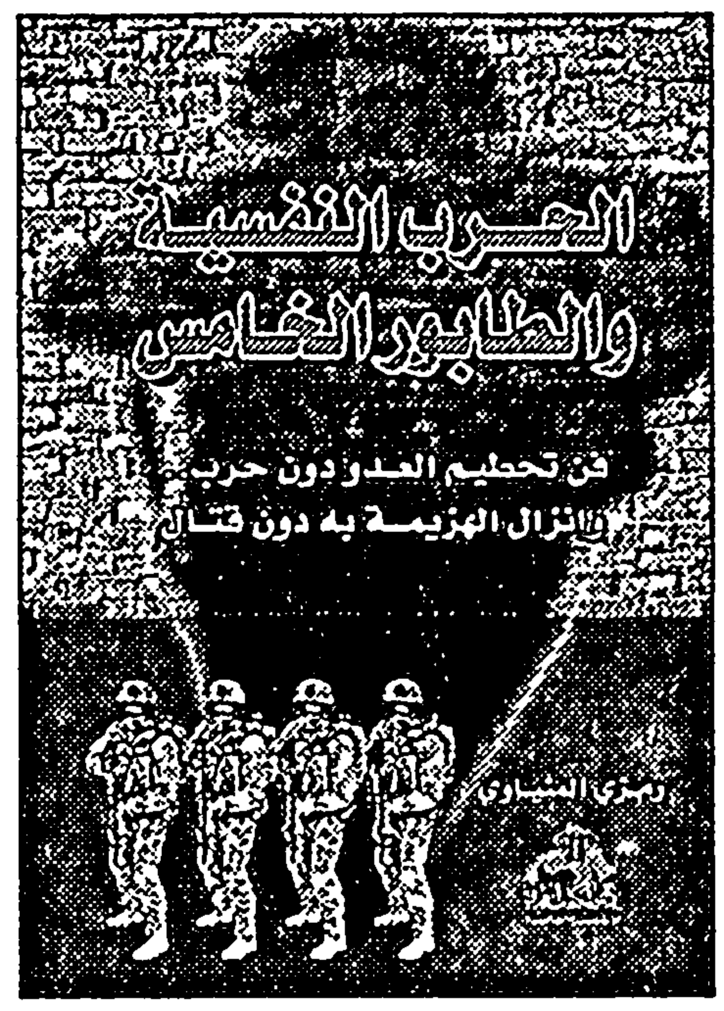
فن تحطيم العدو دون حرب..
وإنزال الهزيمة به دون قتال



رمزي المنياوي

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الحــرب النفسيــة
والطابور الخامس



اسم الكتاب: الحرب النفسية والطابور الخامس

اسم المؤلف: رمزي المنياوى

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٤٢٥٤/ ٢٠٠٩

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 978-977-376-524-6

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠١٠

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١

لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات

www.darketab.com - info@darketab.com

E-mail: darelkitab@yahoo.com - daralwalid@hotmail.com

الحرب النفسية ..
والطابور الخامس !!

"حرب الأعصاب" و"غسيل المخ" و"محو الذاكرة"!!

فن تحطيم العدو دون حرب ..

وإنزال الهزيمة به دون قتال

◆

تأليف

رمزي المنياوي

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

تقـديـم

□□□

يطلقون عليها اسم "حرب تحطيم المعنويات" ، و"حرب الأعصاب" ، و"حرب غسيل الأدمغة" ، و"حرب العقول" ، و"حرب الأفكار" .. كل هذه أسماء تُطلق على أخطر الحروب التي عرفها الإنسان على مدى تاريخه على الأرض ، وهى " الحرب النفسية "، التي يطلق عليها أيضا " فن تحطيم العدو دون حرب ..و إنزال الهزيمة به دون قتال " !!

الحرب النفسية و هى موضوع هذا الكتاب – ليست حربا بالمعنى التقليدى أسلحة وذخائر وجنود.. بل هى حرب بلا مدافع تُشَنُّ فى وقت السلم والحرب على السواء... فالحروب حرب بالمدافع وحرب بلا مدافع ويستخدم كل من النوعين لتحقيق وتنفيذ خطة أو إستراتيجية معينة .. والحرب ذات المدافع هي الحرب التقليدية هي حرب الحديد والنار. والحرب بلا مدافع تشمل الحرب السياسية، والحرب الاقتصادية، والحرب النفسية .

وكما سنرى في هذا الكتاب فإن الحرب النفسية أهم أسلحتها " الكلمة "من خلال الإشاعات أو الدعايات الكاذبة أو بث روح الانهزامية أو ممارسة عمليات غسيل الد ماغ.. إلخ .

في هذا الكتاب سنتعرف على مفهوم الحرب النفسية و أشكالها وأهدافها وتأثيراتها وأدواتها وعلاقتها بما يسمى بـ " الطابور الخامس " ، و بعض التطبيقات العملية للحرب النفسية من وحى الواقع ، حيث نقدم نماذج لها وقعت بالفعل . كما سنحاول التعرف على الحرب النفسية التي مارستها النازية في الحرب العالمية الثانية ، والحرب النفسية الصهيونية ضد العرب بصفة عامة و الفلسطينيين وحزب الله على وجه الخصوص ، وكذلك الحرب النفسية الأمريكية ضد العراقيين وكيف أسقطت بغداد دون قتال !!

هذا الكتاب محاولة للغوص في موضوع شائك و لكن بشكل شائق ومليء بالتفاصيل المثيرة والمفيدة أيضا .

رمزي المنياوي

1

الفصل الأول

فن تحطيم العدو
دون رصاصة واحدة !!

الحرب النفسية
والطابور الخامس

الحرب النفسية هي أخطر سلاح حربي تم استخدامه منذ أقدم العصور، لفرض إثارة الصراعات والفتن بين صفوف العسكريين، وشق وحدة الصف الوطني.

وقد برزت الحرب النفسية بأساليب مختلفة وتسللت إلى غرفة العمليات العسكرية وتركت بصماتها بوضوح، وكانت دائماً ترتبط بالمعارك الحربية بصورة أولية، وأُشيرَ إليها كعامل أساسي في نجاح أو فشل المعارك.

باختصار، إن الحرب النفسية هي فن حربي، يُنشر عن طريق الدعاية وبث الشائعات المسمومة أو، عن طريق إرسال الجواسيس بهدف جمع المعلومات عن الجهة التي توجّه إليها الحرب النفسية، بقصد التوصل إلى تدبير مخطط يستهدف قاعدة القيادة.

وقد سجل علم النفس موقفا صريحا من سياسة الحرب النفسية وأهدافها، وتوسع في تحليل المصادر والبصمات التي تتركها في المجال العسكري.

فالثابت أن الحرب تقوم على صراع الإرادات ، صراع إرادتي خصمين يحاول كلاهما أن يجبر خصمه على الرضوخ لإرادته، فالهدف الأساسي لأي حرب، هو كسر إرادة الصمود لدى العدو وبالدرجة الأولى قيادته، وإجباره على الاستسلام الكامل غير المشروط، أي، تجريده من الإمكانات والقوى المادية والمعنوية، وجعله لا إراديّاً يتراجع في كل موقع حاملاً معه خسائره الكبيرة.

ولا ريب أن أخطر أسلحة الحرب فتكاً هي التي تستهدف تمزيق الروح المعنوية وتساعد الخصم على تحقيق سياسة دولته وأهدافها. لهذا نجد جميع الجيوش في العالم تستخدم أساليب الحرب النفسية لتحجيم قوة الخصم، ومحاولة التأثير على معنوياته والقضاء عليها من جهة، ورفع معنويات قطعها العسكرية وتحريكها باتجاه إيجابي للصمود أمام الأزمات في أوقات الشدة والخطر من جهة ثانية.

من هنا، لنا أن نتصور خطورة الدور الذي تلعبه الحرب النفسية، خاصة في المجال العسكري، فالجيش هو نواة السلطة، وأي نقد أو تشهير أو فشل يطاله، هذا معناه بالتأكيد، بأن الدولة نفسها قد سُلِّط عليها الضوء، وطالها النقد، وحاصرها الفشل.

فإذا قيل مثلاً، أن سياسة الدولة ليست متزنة، أو أن وضعها الداخلي مرتبك أو أن اقتصادها ليس مستقرّاً، أو إذا أثيرت حولها الشائعات والتصورات التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة، لتشويه صورتها والانتقاص من قوتها ودفاعاتها الهادفة إلى تحقيق النمو الشامل، هنا، تستطيع الدولة أن تأخذ موقف الدفاع وترد على مثل هذه المواقف من دون أن تشعر بإحراج كبير، فبيان أو تصريح من المسؤول المعني بالأمر المشار إليه، قد يُطمئن من يهمهم الأمر، أو يجنبهم القلق على أقل تقدير، ويصحح ما أشارت إليه الشائعات عن أن النشاط الذي تقوم به ليس مجدياً.

أما حين تتسرب شائعة تنطوي على أبعاد وخلفيات تؤثر مباشرة على معنويات الجيش وتشكِّل استغلالاً للمشاعر الوطنية، هنا تصبح المشكلة أكبر وأخطر، ذلك أن بوادر القلق وعدم الارتياح والرضا تولّد في النفوس أعراض الانفعال والاضطراب من الوضع السائد، وبالتالي ينجم عنها عجز وارتباك في صفوف الجيش ينتقص من قدرة العسكريين ويمنعهم عن الاستجابة والمشاركة الفعّالة ويقودهم إلى تجاوز المسؤولية.

وهذه الحالة شغلت اهتمام علم النفس نسبة لخطورتها، ووجد أنه لا بد من اتباع طرق لإثارة انتباه الجنود إلى فعالية القيادة وأهدافها، بحيث يتمكن القادة من عزل الحرب النفسية التي يشنها الخصم ضد قضيته.. لأن الجندي عليه أن يؤمن بالهدف،

ويكون متأكداً من أن النظام الذي يسود قيادته سليم، وأن يكون مقتنعاً من أنه يقاسي ويعيش المحن لأسباب ودوافع وطنية مقدسة ونبيلة وليس جزافاً.

وهنا يأتي دور التوجيه السياسي والعسكري، ودور التوعية التي تعزز إيمان الجندي بوطنه وقيادته وتجعله أكثر قدرة وتعاطفاً، ولديه مقومات الاستمرار والتواصل والنضال، فلا تغريه شائعة أو تجعل منه هدفاً سهل المنال.

ويعج التاريخ الحديث والقديم بأمثلة كثيرة حول أشكال الحرب النفسية ، منها ما نجح به جنكيز خان أثناء اجتياحه للبلاد وقتله للعباد ، فقد تمكن بنجاح من نشر دعاية الرعب بشكل لا نظير له عبر التاريخ البشري .

فقد استخدم جنكيز خان أعدادا هائلة من المقاتلين واجتاح بهم أغلب مناطق العالم، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن أراضي وسط آسيا لا يمكن ان تعيل أعدادا كبيرة من السكان في ذلك الوقت الذين بإمكانهم غلبة سكان المناطق المجاورة المكتظة بالسكان، فإمبراطورية المغول بنيت بإبداع عسكري ليس إلا، باستخدام قوات مدربة سريعة الحركة واستخدام العملاء و الجواسيس مع الاستخدام الصحيح للدعاية، فقد أشاع المغول أن أعدادهم خرافية و أن طباعهم شرسة وقاسية بغرض إخافة أعدائهم وخفض معنوياتهم ومن الرجوع للتاريخ لايمكنا معرفة من هو أول من عرف التعذيب النفسي ولكن يمكن القول أنه ظهر بصورة مشتته لا يصلح أن نطلق عليها أنها طريقة سائدة من طرق الحروب البشرية ومثال لذلك غزوات التتار فنجد أنهم لم يقوموا بهذه الأمور الوحشية في البلاد التي استولوا عليها لمجرد القتل والسلب والنهب والحرق وخاصة أنهم ليست بينهم عداوة سابقة ولكنها رغبة في ترهيب باقي الأمم من خلال الحرب النفسية .

كما استخدم هتلر شكلا من أشكال الحرب النفسية سنة (١٩٣٦) جعل تشيكوسلوفاكيا تنسحب من منطقة السويدات دون أن تطلق طلقة واحدة ،ونجح في احتلال مناطق واسعة جدا من فرنسا خلال ست ساعات .

واستخدموا في مصر القديمة المراوغة والحيلة والخدعة في الحروب ، واعتمدوا على ذلك عند فتح يافا في فلسطين ، واستُخدم السحر في الصين القديمة ، كما استُخدم السباب والشتائم والتشهير السياسي بغرض التأثير على الروح المعنوية للعدو في اليونان القديمة أيضاً.

ويقول المخطط العسكري الصيني صن تزو : إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال .

القائد الألماني روميل قال : إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل مبادأتهم .

أما الحلفاء فقد نشروا في الحرب العالمية أنهم لا يريدون محاربة الشعب الألماني، وإنما يريدون محاربة هتلر ، وهو تماما ما يفعله اليوم الاحتلال الإسرائيلي عندما يقول: إن حربه على الإرهاب (كما يسميها) وليس على الشعب الفلسطيني .

ولا تقل الحروب النفسية شأنا عن المعارك العسكرية ، ومن أجل نجاحها أو فشلها فهي تعتمد أساسا على قدرة طرف على فهم الطرف الآخر من الناحية النفسية ، وطرق التفكير، ومستوى الثقافة ، وطبيعة التعبئة والأيديولوجية ، والعادات والتقاليد وأنماط السلوك ، ويعني ذلك الاعتماد على طبيعة منظومة التركيبة البنيوية للطرف المحارَب ، من حيث الانتماء والاعتقاد ، والوعي والإيمان بالهدف الذي يقاتلُ من أجله[1].

وللحرب النفسية قدرة كبيرة على إلحاق الأذى ، أو أكبر قدر ممكن من الخسائر أو الهزيمة في الطرف المقابل .

إن نسبة الفهم وحجم دقته من الطرف المحارِب للطرف المحارَب أو من العدو إلى عدوه ، تنسجم تماما مع نسبة تحقيق الأهداف ، بمعنى آخر بسيط : كلما فهمنا نحن عدونا كلما اقتربنا من تحقيق بعضٍ من أهدافنا ، وكلما فهمَنا عدونا كلما حقق بعضا

١ – الحرب النفسية – تحسين يحيى أبو عاصي – مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية – ٣٠مارس ٢٠٠٩) .

من أهدافه لصالحه على حسابنا ، بحيث أنه كلما كان أي خلل في أي موطن من مواطن الفهم ، يؤدي بالقطع إلى خلل في نتيجة المعركة .

وينطبق ذلك أيضا على النزاعات المسلحة التي تقوم ما بين التنظيمات أو الميليشيات أو ما شابه ذلك ، وكل فهم عقلي وسيكولوجي دقيق لطبيعة الطرف الآخر يؤدي إلى مزيد من الاقتراب في تحقيق الهدف .

ولقد صرح بذلك بعض القادة الأمريكان ، كما أثبتت الوقائع المادية أن مجتمع العدو الصهيوني يتأثر تأثرا كبيراً من الدعاية الإعلامية ، إلى درجة تؤثر على مستوى الهجرة والهجرة المضادة (من وإلى دولة الكيان) ، ومن المعروف أن الدعاية الإعلامية جزء من الحرب النفسية وشكل من أشكالها .

قال بول لينباجر: إن الحرب النفسية هي استخدام الدعاية ضد العدو، مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية واقتصادية أو سياسية بما تتطلبه الدعاية ، ويقول : إنها تطبيق لبعض أجزاء علم النفس لمعاونة المجهودات التي تبذل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

والحرب النفسية من أهم موضوعات الساعة وتعتبر الحرب النفسية من أخطر أنواع الحروب ومن أمثلة الحرب النفسية تلويح العدو بإنتاج القنبلة الذرية . والحروب حرب بالمدافع وحرب بلا مدافع ويستخدم كل من النوعين لتحقيق وتنفيذ خطة أو إستراتيجية معينة.

والحرب ذات المدافع هي الحرب التقليدية هي حرب الحديد والنار. والحرب بلا مدافع تشمل الحرب السياسة، والحرب الاقتصادية، والحرب النفسية . ولنبدأ بالحديث كالعادة بتعريف الحرب النفسية .

ومن تعريفات الحرب النفسية أنها حرب تغير السلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية . وهي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو وقت السلام لإجراءات إعلامية بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف

وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة[1] .

وعلى العموم فإن الحرب النفسية هي حرب باردة، هي حرب أفكار تهدف للحصول على عقول الرجال وإذلال إرادتهم، هي حرب إيديولوجية عقائدية، وهي أيضا حرب أعصاب، وحرب سياسية، وحرب دعاية، هي حرب كلمات وإشاعات، وهي حرب تزلزل العقول وتغير السلوك.

الحرب النفسية هي إذن استخدام علم النفس بصفة عامة وعلم النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر.

وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفعال في قتل إرادة وتحطيم معنويات العدو والحصول على استسلامه.

ومن أمثلة الحرب النفسية :

١- في مصر القديمة استخدام الحيلة والخديعة والمفاجأة في حروبها خاصة عند فتح يافا في فلسطين .

٢- وفي الصين القديمة استخدم السحر و العرافون والعسكريون.

٣- وفي اليونان القديمة استخدم السب والشتائم والتشهير السياسي للتأثير على الروح المعنوية للعدو.

٤- واستخدم المغول الجاسوسية وأجاد التتار الحرب النفسية وكانوا أساتذة فيها. والقراصنة أيضا استخدموا الحرب النفسية البحرية .

٥- وفي الحرب العالمية الأولى تحولت الحرب النفسية من وسيلة عرضية إلى أداة عسكرية رئيسية. وقيل إن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب .

---

١ - (كتاب " علم النفس الإجتماعي " – د.حامد عبد السلام زهران) .

وبين الحربين قام الانجليز والألمان والروس والأمريكان بجهود كبيرة في ميدان الحرب النفسية. وفي الحرب العالمية الثانية استخدم الذعر الكامل والانهيار العصبي وحرب الإعلام. وبعد الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أصبحت الحرب النفسية مستمرة لا هي حرب فعلية ولا هي سلام حقيقي. إنها الحرب الباردة .

وفي الحروب الإسلامية أيضا استخدمت الحرب النفسية إذ بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام استغل الكفار هذا لإحداث الفرقة بين المسلمين، ولكن أبا بكر رضي الله عنه قال (أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، واسمعوا قول الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين) .

وقال طارق بن زياد (أيها الجنود، العدو أمامكم والبحر وراءكم، وليس لكم والله إلا الموت أو النصر) .

وتدخل الحرب النفسية في نطاق ما يعرف بـ " نظرية الحرب بلا قتال " فالقوات المسلحة لها مصدران للقوة مصدر معنوي ومصدر مادي، والمصدر المعنوي للقوة أهم بكثير من المصدر المادي، حتى يتم إحراز النصر يجب توجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات العدو باعتبارها مصدر القوة لديه.

إن أفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو هو الحرب النفسية. وإن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال، والحرب النفسية تستهدف عقل وتفكير المقاتل بغرض تحطيم معنوياته والقضاء على رغبته وقدرته على القتال .

والشخصية هي ميدان الحرب النفسية. وأسلحة الحروب تتغير، بينما الطبيعة البشرية لا تتغير .

إن الأسلحة المادية ليست العامل الوحيد ولا الأول والأخير في كسب الحرب. والحرب ليست مجرد سلاح ضد سلاح وإنما الحرب إرادة ضد إرادة. إن الناس يلجئون إلى القتل عندما يعجزون عن تحقيق أهدافهم بوسائل أخرى.

ويجب ألا تلجأ الأطراف المتنازعة إلى حرب الحديد والنار إلا بعد أن تستنفد كل الطرق الأخرى، بعد أن يثبت عدم جدوى الحرب السياسية والحرب النفسية والحرب الاقتصادية.

ويجب أن تمهد الحرب النفسية مع شقيقاتها حرب الحديد والنار وتلازمها وتستمر بعدها. إن الأسلحة يجب أن تكون آخر وسائل الحرب . وإن أصلح استراتيجيات الحرب هي أن تؤجل العمليات الحربية حتى يهيء تحلل القوى المعنوية للعدو إلى الضربة القاضية بسهولة ويسر. وأن الغرض من القتال ليس دائماً تدمير قوات العدو، ويمكن تحقيق الغرض دون أن يجري قتال على الإطلاق .

إن من أضمن الاستراتيجيات أن تدفع العدو إلى تحطيم نفسه أو انهزامه عن طريق نفسه. إن إخضاع دولة بالوسائل النفسية أرخص بكثير من اخضاعها بقوة السلاح. لقد أصبح في مقدور الجيوش أن تنتصر بواسطة الحرب النفسية بأقل عدد وعلى أرض غير مناسبة إذا مهد لها علم النفس الطريق بإضعاف معنويات الأعداء العسكريين والمدنيين وبتقوية معنويات القوات الضاربة والجبهة الداخلية .

ويمكن تعريف الحرب النفسية ومفهومها بأنها وضع الأمور والشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والعقائدية التي خطط لها موضع التنفيذ الفعلي بهدف التأثير على الآراء والمواقف ووجهات النظر والسلوكيات في هدف معين.

ولكن بالرغم من ذلك فإن من الصعوبة بمكان تفهم بدقة ماهية الحرب النفسية ومدلولاتها التي اتسعت في عصرنا الحاضر وخاصة بعد التطور الهائل في جميع فروع المعرفة الإنسانية .

وبالرغم من هذه الصعوبة التي تواجهنا لدي تعريف الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التي شاعت عن الصراع الأيديولوجي الذي يسود العالم اليوم فقد وجدنا أن هناك ما يمكن تسميته معركة الكلمة ومعركة المعتقَد .

وتستخدم الحرب النفسية الدعاية ضد الخصم بالإضافة إلى استخدام وسائل أخرى لها طابع النشاط الحربي أو الاقتصادي أو السياسي على النحو الذي يكون مكملا لنشاط الدعاية وإذا أخذنا في ذلك نجد أن الحرب النفسية هي لون من النشاط الدعائي الذي استجد بعد الحرب الكونية الثانية.

وتوجه الحرب النفسية لشل معنويات العدو وتقليل عزيمته على القتال وإلقاء الرعب في قلبه ودفعه إلى الاستسلام. والحرب النفسية حرب شاملة توجه إلى القوات المسلحة وتمتد إلى الجبهة الداخلية، إلى الشعب كله عسكريين ومدنيين، وهي حرب متصلة ومستمرة في زمن الحرب والسلم على السواء.. إنها تشن قبل الحرب الفعلية لتحطيم معنويات العدو، وتتغلغل الحرب النفسية في جميع شؤون ونواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وتقوم الحرب النفسية على الهجوم والدفاع في وقت واحد وتستخدم أوسع نطاق الحرب الخاطفة.

ولكل جيش في العالم مصدران للقوة معنوي ومادي والمصدر المعنوي أهم بكثير من المصدر المادي لإحراز النصر بتوجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات العدو لأنها مصدر القوة لديه وأفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو هي الحرب النفسية التي تستهدف عقل وتفكير وقلب المقاتل بهدف تحطيم معنوياته والقضاء على رغبته وقدرته على القتال لأن الشخصية هي ميدان الحرب النفسية لان الحرب المادية ليست العامل الوحيد ولا الأول في كسب الحرب والحرب ليست مجرد سلاح ضد سلاح بل إرادة ضد إرادة .

فالناس يلجأون إلى القتال عندما يعجزون عن تحقيق أهدافهم بوسائل أخرى وإن الغرض من القتال ليس دائما تدمير قوات العدو ويمكن تحقيق هذا الغرض دون أن يجري أي قتال على الإطلاق فالحرب النفسية هي التي تحطم قوة الجيش وانهزامه عن طريق نفسه وإن الحرب النفسية أقل كلفة من الحرب المادية وباستطاعة أي جيش

أن ينتصر بواسطة الحرب النفسية بأقل عدد فهي وسيلة لإضعاف معنويات الأعداد العسكريين والمدنيين وتقوية معنويات القوات الضاربة والجبهة الداخلية.

ويستطيع الفرد عن طريق معرفته الفطرية بنفسه أن يدرك ما فيه من قوة جبارة يستطيع بها مواجهة أشد الصعاب، فالذي يجعل الفرد يعمل حتى نسيان الإحساس بالألم هو الوقود النفسي، والذي يجعله يقتحم الأهوال وتحدي الأخطار هو الوقود النفسي، وهذا الوقود يتمثل في المعنويات ، وأن الحرب النفسية أحرص ما تحرص على هدم أو تدمير هذه المعنويات في الإنسان التي تمثل مصدرا للطاقة. وهذا المنبع هو من منابع القوة والإصرار على الاحتمال.

فلا غرابة أن تسمى الحرب النفسية باسم حرب المعنويات . وتعتبر المعنويات شيئا أساسيا لدى المقاتل العسكري، فالقوات المسلحة لها مصدران للقوة : مصدر معنوي- مصدر مادي.

والمصدر المعنوي للقوة هو أهم بكثير من المصدر المادي. ولإحراز النصر يجب توجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات الخصم (كما فعلت إسرائيل في حرب ٦٧- وحرب لبنان ٨٢) باعتبارها مصدر القوة .

وأفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للخصم هو الحرب النفسية، وإن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة الخصم دون قتال.

وتستهدف الحرب النفسية -كما أشرنا - عقل وتفكير وقلب المقاتل العسكري، بغرض تحطيم معنوياته والقضاء على رغبته وقدرته على القتال حيث إن الأسلحة هي آخر وسائل الحرب النفسية، وإن أصح استراتيجيات الحرب هي، أن تأجل العمليات الحربية حتى تهيئ القوى المعنوية للخصم إلى الضربة القاضية بسهولة ويسر، حيث إن من أضمن الاستراتيجيات اليوم أن تدفع بالخصم إلى تحطيم نفسه أو انهزامه عن طريق نفسه، لأن إخضاع دولة بالوسائل النفسية صار أرخص بكثير من إخضاعها بقوة السلاح.

وتستطيع الجيوش اليوم أن تنتصر بواسطة الحرب النفسية واقل الخسائر، إذا ما مهد لها علم النفس العسكري الطريق بإضعاف معنويات الأعداء العسكريين والمدنيين، وبتقوية معنويات القوات الضاربة والجبهة الداخلية.

إن الروح المعنوية العالية هي شرط أساسي حتى تؤدي أية منظمة اجتماعية وظيفتها التي تكونت من أجلها، فمعنى وجود روح معنوية عالية في جماعة ما، أن هذه الجماعة تؤدي عملها على الوجه الأكمل وان أفراد الجماعة يؤدون واجباتهم أداء سليما كل ما فيما يخصه.. كما أنهم يتعاونون فيما بينهم تعاونا وثيقا، بحيث يعملون جميعا كوحدة متماسكة أو مترابطة.

وهناك عاملان أساسيان لابد من توافرهما لقيام روح معنوية عالية هما:

أ- قيام كل فرد من الجماعة بواجبة المنوط به.

ب- تعاون الأفراد الذين يكونون الجماعة على أداء الواجب الكلي للجماعة.
والشرط الأساسي هنا، أن تنبع هذه الروح من صميم الجماعة نفسها لا من القوة المسيطرة عليها.

وتتمثل العلاقات الرئيسية للروح المعنوية العالية للمنظمة الاجتماعية في:

- وجود ميل يسود جميع أفراد الجماعة المتماسك.
- اتجاه الجماعة إلى مقابلة الظروف والمواقف المختلفة الداخلية التي يمكن إن تنشا في نطاق الجماعة وتحدث صراعا داخليا، بحيث ينتهي الأمر إلى استعادة التماسك وروح الوحدة.
- وجود اتجاه نفسي لدى كل أفراد الجماعة إلى الترحيب بالعمل والتزامل مع بقية أفراد الجماعة.

• فهم أفراد الجماعة للأهداف والوظائف التي ترمى إليها وتؤديها الجماعة كوحدة، ووجود اتجاهات نفسية إيجابية لديهم نحو هذه الأهداف والوظائف، ونحو القيادة التي تتولى رئاسة الجماعة.

ويمكن تعريف الروح المعنوية أيضا بأنها الحالة العقلية للفرد في وقت معين، وتحت تأثير ظروف معينة .

فالفرد في وقت معين وتحت تأثير ظروف أخرى قد تجده متخاذلا وفاقدا للنشاط، وهذا يعني أن حالة الإنسان العقلية هي التي تحركه في هذا الوقت أو ذاك إلى السلوك المتسم بالقوة أو الضعف، أو بالسعادة العقلية أو بالحزن.

وهذه الحالة تسمى " الروح المعنوية " وتعتبر الروح المعنوية العالية هي أهم عوامل النصر في الحروب.. فهي الباعث الأساسي لإرادة القتال، وهي مستودع القوة، والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها والتصميم على إحراز النصر على "الخصم" مهما كانت التضحيات، كذلك تعتبر الروح المعنوية العالية في وقت السلم من أهم الدوافع إلى الإخلاص والإيجابية. وان الحماسة في العمل في مجالات الاستعداد والتدريب والحراسة وغيرها تعتبر من أسباب إعداد القوة التي هي بلا شك مطلب حيوي للنصر في الحرب.

ويحتل العامل المعنوي مكانا هاما في التخطيط الاستراتيجي في كل جيوش العالم، كما أصبح هدف تدمير الروح المعنوية للعدو، من أهم الأهداف الاستراتيجية التي تسعى الجيوش المتصارعة إلى تحقيقها، فتصنع الخطط للضربات التي تستهدف تدمير المعنويات سواء بأعمال القتال أو بالحرب النفسية.

ولاشك أن معنويات الجماعة نوع من الدرع الواقي يحمي الفرد ضد الضغوط الخارجية، بما في ذلك ضغوط كل وسائل الإعلام الجماهيري، وبالطبع فإنه يتوافر لكل شخص من المعنويات الشخصية، حتى ولو كان يعيش في نطاق ذاتيته وحدها وهو يستمد هذا من وعيه القوي لذاتيته الشخصية وبالاتصالات البيئية التي تحفظ له هذه الذاتية بل توجدها إلى حد بعيد.

ولهذا فإن الهدف الأول لأسلوب أي عملية لغسيل الدماغ هو إزالة كلا الحسيين بوسائل مختلفة مثل: العزل الاجتماعي، أو بالتعذيب، أو بالإذلال، فالحرب النفسية هي إجراءات تهدف إلى سل إرادة الخصم وتحطيم رغبته في القتال لثنيه وردعه بإيصاله إلى وضع لا يرى فيه أي أمل في الاستمرار في المقاومة أو القتال.

وتظل الشخصية الإنسانية هي ميدان الحرب النفسية، وأسلحة الحروب تتغير بينما الطبيعة البشرية لا تتغير، وان الأسلحة المادية ليست هي العامل الوحيد ولا الأول والأخير في كسب الحرب.. والحرب ليست مجرد سلاح ضد سلاح، وإنما الحرب إرادة ضد إرادة.

والحرب النفسية تعبير يبعث صورًا مظلمة من الكذب والتلاعب بالعقول، إنه جزء غامض وغير مفهوم من العمليات العسكرية، جزء يتضمن جوانب فنية وجوانب علمية تحليلية.

يعمل الجنود سرا على ابتكار وسائل التلاعب هذه، ثم يطلقونها للاستهلاك الجماهيري، يعتقد الكثيرون أن هذه الكلمات والصور قد تقنع بطريقة ظالمة أشخاصًا محترمين بخيانة أصدقائهم وبلادهم.

لكن البشر يدركون منذ آلاف السنين قيمة الإقناع في أثناء الصراعات، منذ ألفي عام، كتب المحلل الاستراتيجي العسكري الصيني "سان تزو"، عن فنون الحرب، فقال: ليس على المرء أن يدمر عدوه، على المرء أن يدمر قدرة عدوه على القتال.!

في الحروب الحديثة، يستخدم أخصائيو الحرب النفسيون المنشورات، مكبرات الصوت، والرسائل الإذاعية، على أمل أن يكون القلم أمضى من السيف، وعلى الرغم من عدم إمكانية قياس الإقناع بدقة، يبدو أن هذه الوسائل الإقناعية، قد ساهمت إلى جانب الحروب التقليدية، في إنقاذ آلاف البشر بتقصير فترات الحروب.

لطالما كان تصوير العدو بأنه الشر الذي يجب القضاء عليه أمرًا مغريًا، لكن المدهش أن من أنجح وسائل الحرب النفسية الحقيقة نفسها.

دعونا لا نخطئ الأمر، الحرب النفسية من أنواع المناورة، لكنها مناورة مرتكزة على أقصى امتداد ممكن لاستخدام الحقيقة، فهي ستحدد مدى مصداقية رسائلك، لأنه إذا اتضح أنك كذبت مرة، فستنهار بسرعة مصداقية رسائلك وبالتالي مصداقية منظمتك.

اليوم، تعرف الولايات المتحدة بأنها متطورة في الحرب النفسية، هنا في فورت براج بشمال كارولينا، تعمل فرق من الجيش الأمريكي بشكل مستمر على تحسين مهاراتها المعقدة وابتكار رسائل موجهة إلى مجموعات مختلفة من الجمهور.

تتدرب وحدات الإنتاج المتحركة وفرق مكبرات الصوت المسلحة على تسليم هذه الرسائل إلى أخطر المناطق في العالم وأبعدها عن التأثير، وتندرج جميع هذه المهام تحت مظلة ضخمة يطلق عليها اسم "العمليات النفسية" التي تمتد أهدافها إلى ما وراء ميدان القتال.

الهدف الأول للحرب النفسية يكمن في التقليل الفوري من معنويات جنود العدو الموجودين في الميدان، وإقناع ذلك العدو بالاستسلام وهو الهدف الأقصى.

فساحات المعارك أماكن مرعبة، تمتلئ عادة بأشخاص مذعورين بغض النظر عن مدى تدريب الجنود.

وهكذا تكون محاولة بث الرسائل لحثهم على الاستسلام أو الفرار أو حتى الابتعاد عن المعركة، إنها مهمة صعبة بالفعل.

كما في الإعلانات تمامًا، فإن فهم الجمهور المستهدف برسالة محددة هو أمر بالغ الأهمية.

محللون مدنيون، كرسوا مهنتهم لدراسة تاريخ وثقافة دولة ما، أو منطقة ما من العالم، يقومون بمساعدة الجنود على بلورة رسائلهم، وهو ما يعرف أيضًا بالدعاية، وقد يتم حاليًا الحصول على معلومات أحدث نسبيًّا من عملاء الاستخبارات القابعين خلف خطوط العدو أو عبر استجواب سجناء الحرب.

إن تجميع مصادر المعلومات السرية هذه يقدم أفضل فرصة لكي تصبح الكلمات أقوى من الرصاص، لكن أبسط الأخطاء في عالم الحرب النفسية قد تؤدي إلى نتائج كارثية.

وقد وقعت حوادث محرجة كثيرًا في تاريخ الحرب النفسية لأن هؤلاء الأشخاص أو المنظمات التي كانت تحاول إقناع جمهور ما، وقعت في هفوات كبيرة بسبب عدم فهم الألفاظ العامية أو اللغة المحلية.

في حرب الخليج عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين، حاول القادة العراقيون التقليل من عزم الجنود الأمريكيين الذين كانوا يحاربون في أرض غريبة تبعد آلاف الأميال عن موطنهم، حيث حاولت إحدى المذيعات العراقيات، إحباط عزيمة جنود القوات الأمريكية.

قالت مذيعة بغداد إنه وبينما الرجال في الصحراء، فإن زوجاتهم يستمتعون في الوطن مع مشاهير الممثلين أمثال ميل جيبسون وبرات سيمبسون، من الواضح إنهم لم يعرفوا أن برات سيمبسون شخصية من الرسوم المتحركة.

ظهر الاستخدام النظامي الحديث للحرب النفسية خلال الحرب العالمية الأولى، حيث كان يتم إرسال الرسائل على البالونات الصغيرة عبر الحدود، لكن الطائرات قدمت فيما بعد وسيلة أكثر دقة لرمي المنشورات على الأعداء.

كان الجيش الألماني أول من نثر المنشورات في خريف عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر، فوق أرض المعركة في فرنسا في الحرب العالمية الأولى ، أما البريطانيون فقد ترددوا في الاستجابة إلى محاولات مشابهة للإقناع.

يجب أن نذكر أن كلا من علمي النفس والإعلان، كانا في البدايات، وكذلك الناس، كانوا يظنون أن التدخل بمسألة الأفكار أمر معيب، لهذا السبب كان الشك في الحرب النفسية كبيرًا، ولم يكن العقل البشري مفهومًا كما نفهمه اليوم.

لورد نورث كليف مالك صحيفتي لندن تايمز ودايلي مايل، أراد قيادة الرد على الحرب النفسية، في البداية كان إقناع قادة الجيش البريطاني عملية صعبة، وكما قال أحد جنرالات الجيش، الهدف هو قتل الألمان، لكن مع حلول مارس آذار من العام ألف وتسعمائة وخمسة عشر، بدأ البريطانيون بنشر المنشورات فوق الجبهة الأمامية لألمانيا، وقد عمل الجانبان على تصوير قادة العدو بالعبء الثقيل على الشعب لزيادة الشقاق بين صفوف الناس، لكن وبعد أن تحولت الحرب بسرعة إلى مأزق، أصبح من الصعب على كل من الجيشين إثبات مصداقيته وتفوقه.

بعد أن منعت البحرية التابعة للحلفاء كميات من الذخائر من الوصول إلى ألمانيا، ومع تدفق أعداد كبيرة من الرجال والعتاد من أمريكا إلى فرنسا في عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر، تغير مجرى الحرب، بدأت معنويات جنود الحلفاء ترتفع بينما استمرت معنويات الجنود الألمان بالانخفاض، مما أضعفهم وجعلهم هدفًا سهلاً للحرب النفسية.

عندما صرح عدد من مساجين الحرب الألمان بأن الطعام أصبح قليلاً في ألمانيا، اندفع العاملون في مجال الدعاية الأمريكية والبريطانية للعمل.

منشورات الطعام كانت الوسيلة الأكثر فعالية، كانت تقول إن حصة الجندي الألماني الأسير تشبه حصة الجندي الأمريكي، وقد أعدوا لائحة يسيل لها اللعاب من الأطعمة التي يتناولها الجنود الأمريكيون.

من الإشارات الواضحة على نجاح تلك الصور والكلمات، الواقع المعروف من أن الضباط الألمان كانوا يعاقبون الجنود الذين يقرأون نشرات الحلفاء أو الذين يحتفظون بها في جيوبهم.

انتصار الحلفاء في أرض المعركة وتراكم مشاكل التموين في ألمانيا وتجريد القيصر فيلهلم من ملكيته، ظروف ساهمت جميعًا في إنهاء الحرب في تشرين الثاني نوفمبر من العام ألف وتسعمائة وثمانية عشر.

وقد قال الجنرال أريك فون لودن دروف أحد أهم القادة في الجيش الألماني حينها: لقد تمكنت دعاية العدو من تنويمنا كما تفعل الأفعى بالأرنب.

أما أحد أفراد الجيش الألماني وهو ضابط عادي في المشاة، فقد كان مهتما جدّا بنجاح الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وهو ضابط ستصبح الدعاية أحد أهم أركان محاولاته لتبوء السلطة، وستكون الركيزة التي سيبني عليها أحلامه لغزو العالم.

بعد هزيمة الألمان في الحرب العالمية الأولى، أبدى أدولف هتلر في كتابه "كفاحي" إعجابه بنجاح الحلفاء في استخدام الدعاية، فكتب: "تعلم جنودنا أن يفكروا بالطريقة التي أرادها العدو".

خلال الثلاثينيات أصبح هتلر ووزير إعلامه جوزيف جوبلز، سادة الدعاية الإستراتيجية والسياسية، على المستويين الألماني والعالمي.

لكن عندما بدأت الحرب العالمية الثانية في عام ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين، تركز اهتمامهما على الأهداف المدنية أكثر من التخطيط للحرب النفسية.

كان البريطانيون قد فككوا برنامج الدعاية الناجح الخاص بهم بعيد الحرب العالمية الأولى واضطروا للإسراع بترميم قدراتهم عند نشوب الحرب العالمية الثانية.

في السنوات الأولى للحرب، كان البريطانيون أكثر استعدادًا لاستخدام "الدعاية السوداء" وهي رسائل خادعة تبدو وكأنها قادمة من بلد محدد، بينما هي موجهة نحو دولة أخرى.

وقد لعب خبير الدعاية البريطاني سيفتون ديملر دور مذيع ألماني ادعى أنه يبث الأخبار من محطة ألمانية رسمية داخل تلك البلاد، وقد هاجم تشرشل والعائلة المالكة ليجذب اهتمام الجمهور ويكسب مصداقية، لكنه كان أيضًا ينتقد الحزب النازي، وقد تمكن من نشر فكرة كانت مقبولة من الشعب الألماني حينها وهي عدم التوافق مع هتلر.

شخصيات موهوبة من أمثال ديملر كانت تعمل بكفاءة في ذلك الوقت حيث اندفع المفكرون للعمل في هذا العلم العسكري الناشئ.

وقد اهتمت الإذاعة البريطانية، أو، بي بي سي، ببث رسائل الحرب النفسية خصوصًا وأن عددًا كبيرًا من الجنود الألمان كان يستمع إلى هذه المحطة الإذاعية.

وبينا استعد الألمان لاحتمال حدوث اجتياح عبر القنال الإنجليزية في صيف عام ألف وتسعمائة وأربعين، بدأ المذيعون الساخرون بتعليم الغزاة الألمان مقاطع لغوية قد يكونون بحاجة لفهم معانيها، مثل عبارة "أنا أحترق" أو "قاربي يغرق" وكانوا يكررون الأمر تباعًا.

كان البريطانيون صادقين في رسائلهم تلك لأنهم وضعوا خطة لإشعال المحيط بإطلاق وإشعال كميات من النفط قبالة شواطئ إنجلترا، لكن ما لم يقولوه للألمان هو أن تلك الخطة كانت محددة بمساحة صغيرة قبالة الساحل الجنوبي لإنجلترا.

ما قاموا به كان مثلاً لما وصفه خبير الدعاية البريطاني، ريتشارد كروسمان بعبارة الحقيقة المنتقاة، والمقصود بها الحقيقة، ولكن ليس بالضرورة كل الحقيقة، وغالبًا ما كانوا يخفون من الرسالة أكثر مما يظهرون.

بدأ خبراء الحرب النفسية الأمريكيون بالعمل أول مرة خلال حملة شمال إفريقيا، في نوفمبر تشرين الأول من العام ألف وتسعمائة واثنين وأربعين، إلى جانب الخبراء البريطانيين.

في الواقع، تحكمت أربع وكالات مختلفة موجودة في دولتين، بحملة الإقناع التي قام بها الحلفاء، وقد لجأ الجنرال دوايت أيزنهاور قائد القوات الموجودة في شمال إفريقيا حينذاك، إلى الجنرال روبرت ماكلور لإزالة الارتباك الحاصل بين الوكالات.

في وقت سابق لتلك الفترة عُين ملحقًا عسكريًا في لندن، لذلك كان على معرفة سابقة بالحلفاء البريطانيين، وقد تم اختيار ماكلور لهذا العمل لأن جزءًا من عمله

كملحق عسكري كان يتعلق بالعلاقات مع وسائل الإعلام، وليس لأنه يملك خلفية مركزة في موضوع الحرب النفسية، تلك الخبرة التي لم يكن يمتلكها أحد في ذلك الحين.

تعثر رجال ماكلور كثيرا أثناء حملة شمال إفريقيا، فتحدثوا عن استسلام وحدات ألمانية كانت تحتفل للتو بانتصاراتها في عدد من المعارك.

لنقل إننا في تراجع، وهم كانوا قد نسوا الموضوع، والجانب الآخر مستمر في عمله، وهكذا لا تحصل على نجاح كبير، قد يتوجب عليك توفير طاقتك.

بعد توغل الحلفاء في إيطاليا في تموز يوليو من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين، كانت جهودهم في الحرب النفسية قد تحسنت، لكن حتى عندما كان يتم تحضير الرسائل بشكل لائق وتسليمها للعدو وهو في حالة نفسية منخفضة، كان الفشل ممكنا أيضًا.

المصداقية كانت من الأساسيات، وهذا ما تعلمه الحلفاء بعد رمي عدد من المنشورات فوق الجنود الألمان.

لقد وعدت تلك المنشورات، الجنود الألمان المستسلمين بنفس طعام الجنود الأمريكيين المؤلف من اللحم والبيض، ولم يكن الأمريكيون يحرفون الوقائع حينذاك، لكن القوات الألمانية لم تصدق أنه يمكن للقوات الأمريكية الحصول على الرفاهيات كاللحم والبيض في أزمة كالحرب.

ورغم أن الرسائل كانت صادقة إلا أن رد الفعل عليها كان عكسيًا، مما سيزيد من شك الجنود الألمان في جهود الإقناع التي سيقوم بها الحلفاء مستقبلاً.

عندما تمت تسمية الجنرال أيزنهاور قائدًا أعلى لقوات الحلفاء التي هدفت لاستعادة أوروبا الغربية، في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين، كُلف من جديد الجنرال ماكلور مسؤولية جميع نشاطات الحرب النفسية، وهكذا سيتحول الرجل الذي دخل هذا المجال عرضاً إلى ملتزم فعلي بقوة الإقناع في المعارك.

لقد تمكن أخيرًا من إقناع القوات الجوية بتخصيص فرقة خاصة لرمي المناشير الجوية، ولم تكن المهمة سهلة لأن القوات الجوية كانت تشعر أن هدفها الأول هو فقط رمي القنابل المتفجرة، وليس الأوراق.

بعد أن تمركز الحلفاء في القارة في يونيو حزيران من عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين، انطلقت عمليات الحرب النفسية بقوة، فإضافة إلى رمي المناشير، كان هناك فرق مكبرات الصوت التي تقدمت أمام القوات الزاحفة لتسليم الرسائل للألمان لتوضح الظروف الواقعية لساحة المعركة.

كانت فرق مكبرات الصوت في الموقع، ومن أهم ما كان يقومون به هو التقدم نحو الجبهة التي يتمركز فيها الألمان، ليقولوا لهم، إنهم يستسلمون، أو لا سبيل أمامكم للفرار، إذا استسلمتم ستعاملون بشرف، وكان الأمر ينجح.

كانوا أحيانًا يثبتون مكبرات الصوت على الدبابات لتقديم قدر أكبر من السلامة وتقليل الإصابات بين الجنود المتخصصين.

حاول الألمان إقناع جنود الحلفاء باستخدام مناشيرهم ونشراتهم الإذاعية، لكن جهودهم لم تكن فعالة.

كانوا يتراجعون، خاصة وأن حملتهم الدعائية العسكرية كانت تتضمن مقاطع غريبة عن اللغة الإنجليزية، وعندما حاولوا بث الشعور بالوحدة بين الجنود الأمريكيين، صوروا زوجاتهم وصديقاتهم في أيدي اليهود الفاسقين.

في نوفمبر من العام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين ومع استمرار تقدم قوات الحلفاء لجأ خبراء الحرب النفسية الأمريكيون، إلى الدعاية الخرافية، وبالمقابل بدأ الخبراء الألمان بتوزيع منشورات تشجيعية لمواجهة الانحدار الحاد في معنويات الجنود، وكانت تلك المنشورات ممهورة بتوقيع شخص خرافي اسمه العقرب.

بعد أن أصبح الوضع ميئوسًا منه وقلت المؤن، قرر المزيد من الجنود الألمان أن الاستسلام والبقاء على قيد الحياة أفضل من القتال والموت، وكانت رسالة "السلوك الآمن ينجيك" مصممة لجعل عملية الاستسلام مقبولة، أما رسالة "تذكرتك للخروج من الحرب" فقد زودت جنود العدو بتعليمات محددة لكيفية الاستسلام.

كان يجب تعريفه بكيفية الاستسلام، كما يجب تطمينه بأن الجنود في الجانب الآخر لن يطلقوا النار عليه وأن بإمكانه الاستسلام بأمان، وهكذا أصبحت رسالة السلوك الآمن ينجيك من أفضل الوسائل لإبلاغ ذلك المضمون.بقيت العوامل الثقافية مهمة على الرغم من اندفاع الجانبين.

لقد احترم الألمان الانضباط كثيرًا، وهكذا تم تصميم منشور يبدو وكأنه يتضمن أوامر، موقعة من قبل الجنرال أيزنهاور الذي يطلب الاستسلام بأقصى سرعة.

شن الحلفاء حربًا نفسية فعالة لدعم الأسلحة العسكرية التقليدية في أوروبا، لكن نظراءهم في المحيط الهادئ واجهوا تحديًا أكبر، لأنهم يتصدون لثقافة غامضة، غير مفهومة بالنسبة إلى لغربيين، حيث كل شيء، بما في ذلك الموت، مقبول أكثر من الاستسلام.

عندما تصادمت القوات الأمريكية التقليدية مع اليابانيين في بيرل هاربر عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين، كان عدد الخبراء النفسيين الأمريكيين قليلاً، وكانوا غير مستعدين بعد لمواجهة عدوهم الجديد، لقد قللوا من شأن اليابانيين الأقوياء، فالشرف والإخلاص للإمبراطور حتى في وجه الموت، كان بالنسبة إليهم أهم من البقاء، ولم يتمكنوا من معرفة شيء عنهم حتى قرروا استشارة أمريكيين من أصل ياباني محتجزين في المخيمات الدولية، وكانت الفرصة بعد ذلك لاستجواب عدد من أسرى الحرب اليابانيين، عندئذٍ فقط اكتشفوا كم هي مهينة كلمة الاستسلام في الثقافة اليابانية.

أول منشور كان يقول " أنا أستسلم" في الواقع الجندي الياباني لا يستسلم أبدًا، لذا انتقلنا إلى المنشور الثاني والذي قلنا فيه "أنا أتوقف عن المقاومة" "أنا اختار الطريق المشرف".

عملية عرض نماذج من الرسائل على مساجين الحرب، أو على مجموعة مشابهة ثقافيا، كالمهاجرين اليابانيين الجدد، وإجراء تعديلات بالاستناد إلى الملاحظات الموضوعة، اشتهرت فيما بعد بالاختبار المسبق، وبسبب تعقيد اللغة والثقافة اليابانية، انتقل الأمريكيون إلى مرحلة جديدة في هذا المجال.

كان الأمريكيون اليابانيون مستعدين للتعاون معنا، يأخذون المناشير ولا يكتفون بتنقيحها والتأكد من ملائمتها الثقافية، بل كانوا يعدولنها لغوياً أيضًا.

مع بداية عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين، تغيرت وجهة الحرب في المحيط الهادئ، كانت القوات الأمريكية تتقدم في حملة دموية ضد مقاومة يابانية هائلة، وبدأ الطعام ينفد من الجنود اليابانيين، كما بدأت مؤنهم تقل، مما انعكس سلبًا على معنوياتهم، لكن القليل جدّاً منهم استسلم.

رغم ذلك، تمكن خبراء الحرب النفسية الأمريكيون من تحقيق بعض النجاح، فالجنود الأمريكيون من أصل ياباني، وضعوا أنفسهم في المقدمة لاستخدام مكبرات إذاعة الرسائل للعدو باللغة اليابانية، كما قام الأمريكيون برمي المناشير من الجو قبل وبعد الغارات الجوية المكثفة، وقد ركزت تلك الرسائل على تفوق الأمريكيين عسكريا وعلى عدم جدوى المقاومة.

حتى الإمبراطور الياباني هيروهيتو، شعر بقوة وتأثير تلك الكلمات والصور.

التقط الإمبراطور أحد المناشير وهو في حديقة قصره الإمبراطوري، وقد عرف من المنشور أن طوكيو ستتعرض للقصف المدفعي، وقد قال في مقابلة له بعد الحرب، بعد قراءة المنشور: عندما رأيت طوكيو تتعرض للقصف، عرفت أن اليابان ستخسر الحرب.

لم تنجح جهود اليابانيين في الحرب النفسية، فالنمط والثقافة الأوروبية كانت غريبة عنهم كما هي ثقافتهم بالنسبة للأمريكيين، كما أنهم خرقوا أهم قوانين الحرب النفسية، لا تهن جندي العدو الذي تحاول إقناعه.

اعتاد أعداؤنا اليابانيون أو الألمان على تصويرنا نحن الأمريكيين كجبناء نحتاج إلى دعم دائم، أقصد أنه علم نفس بدائي.

حاولت المنشورات اليابانية أن تشعر الجنود الأمريكيين بالوحدة كما حاولت الإيحاء بأن زوجاتهم غير مخلصات لهم وهو أمر يمكن لأي دولة أن تستخدمه.

لقد كان الأمر مدعاة للسخرية، ولم يؤثر في معنويات الجنود، في الواقع شعر بعض الجنود بخيبة أمل عندما لم يقم العدو برمي مثل تلك المناشير.

النشرات الإذاعية التي بثتها وردة طوكيو، كانت ذات تأثير ضئيل أيضًا.

ربما شعر بعض الجنود بالحنين للوطن بسببها، لكن إلزام المستمعين بالأيديولوجية اليابانية كان مسألة أخرى.

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، استسلم مئات الآلاف من قوات الأعداء أمام قوات الحلفاء، وكان عدد كبير منهم يحمل بيده المنشور الذي فيه "السلوك الآمن ينجيك" وغيره، ومع أن تحديد الأرقام بدقة كان أمرًا صعبًا، فإن فعالية قوة الإقناع بدت جلية.

ساهمت الحرب النفسية في إنقاذ الناس من الجانبين، من جهة الجندي الأمريكي الذي لم يكن مضطرا إلى تعرضه للقتل وهو يطارد الجندي العدو إلى مكانه الذي يختبئ فيه، ومن جهة ثانية، الجندي الذي تم إنقاذه.

على رغم من نجاحهم في دعم العمليات القتالية، عاد معظم خبراء الحرب النفسية الأمريكيين إلى حياتهم المدنية، بعد انتهاء الحرب.

من جديد تم تكليف الجنرال روبرت ماكلور بإجراء مزيد من التحقيقات، حدث بعض التقدم لكن عدد الأشخاص المدربين في قارة آسيا كان قليلاً جدا عند نشوب الحرب الكورية فجأة في حزيران يونيو عام ألف وتسعمائة وخمسين، في ذلك الوقت، كان وودال جرين، وهو عنصر مهم في فريق الجنرال ماك آرثر للحرب النفسية إبان الحرب العالمية الثانية، قد عُين في المحيط الهادئ، عندئذٍ بدأ بالضغط على موارده المحددة.

واجه فريق الحرب النفسية الأمريكي، خصمًا مشابهًا لليابانيين، وكما حدث في الحرب العالمية الثانية، تعلم الأمريكيون من أخطائهم، فما أن دخل الصينيون الصراع إلى الجانب الشيوعي، في أكتوبر تشرين الأول من عام ألف وتسعمائة وخمسين، حتى بدأ الأمريكيون بالتصويب عليهم. عمل سكان كوريا الجنوبية مع الأمريكيين لبث النشرات من مكبرات الصوت على الأرض، ولأول مرة من الجو أيضًا، وكانت مكبرات الصوت الجوية تغطي مساحات كبيرة، وتصل إلى عدد أكبر من الجماهير. ومع ذلك بقيت المنشورات الوسيلة الأنجح لإقناع القوات الشيوعية.

وربما كانت الرسالة الأمريكية الأكثر تأثيرًا في تلك الحرب هي الرسالة المعروفة باسم "ذو الحذاء الأبيض" عندما بدأت الحرب تتأرجح على وضع المفاوضات المعقودة في بان مونجون عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين، والتي استمرت سنتين تقريبًا، لاحظ أحد خبراء الحرب النفسية الأمريكيين شيئًا في صورة أحد القادة المفاوضين باسم كوريا الشمالية، الجنرال بام الثاني، وذلك في شتاء عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين.

تمامًا كاليابانيين في الحرب العالمية الثانية، فقد عانى سكان كوريا الشمالية والصينيون مع اللغة الانجليزية، وكانوا ينعتون القادة الأمريكيين باسم اليانكي أو كلاب الرأسمالية الإمبرياليين، ولم يكن من المدهش ألا يقتنع الجنود الأمريكيون بهذه اللغة الغريبة، مع أن بعض أفكار الشيوعيين حينذاك نجحت بالفعل.

مع ازدياد أعداد الجنود الأمريكيين الذين يتساءلون عن سبب اشتراكهم في القتال في الحرب الأهلية لكوريا الموجودة في آخر العالم بالنسبة لهم، بدا المنشور الذي يقول اتركوا كوريا للكوريين، مؤثرا جدا بالنسبة إلى الكثيرين، لكن مرة أخرى لم تتمكن رسائل العدو من دفع الجنود الأمريكيين إلى الاستسلام أو تقبل نمط الحياة الكوري الشمالي.

بعيد انتهاء الحرب الكورية، عملت أمريكا في منتصف الخمسينيات على التقليل الجذري من قدراتها في مجال الحرب النفسية، من جديد وبعد عقد من الزمان، سيكون خبراء الدعاية الأمريكيون غير مستعدين لحرب قواتهم المقبلة في فيتنام.

الحروب الحديثة أصبحت معارك ذهنية بقدر ما هي معارك جسدية.

في عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين، وبعد سنوات من العمل المضني الذي قام به الجنرال روبرت ماكلور، نجحت جهوده في افتتاح مركز تدريب سيعرف فيما بعد باسم المركز الأمريكي المتخصص بالشؤون العسكرية في فورت براج، وكما كان ذلك المركز مقرا للتدريب على شؤون الحرب النفسية، كان أيضًا مقرا للوحدات التي ستتحول فيما بعد إلى الوحدات الخاصة في الجيش الأمريكي.

على الرغم من جهود ماكلور في الخمسينيات، كان خبراء الدعاية الأمريكيون يكافحون لمساندة حكومة جنوب فيتنام في منتصف الستينيات، وخصوصًا بعد تصاعد وتيرة الصراع هناك.

العمليات النفسية، عبارة أصبحت تدل على المفهوم الأمريكي الجديد لجهود الإقناع المبذولة تجاه الأصدقاء والأعداء في فيتنام، أحد أهم أسباب استخدام هذا المفهوم الواسع، كان في تحول عدد كبير من الخبراء في مجال الدعاية لتكريس أعمالهم لاستمالة عقول وقلوب المواطنين الأصدقاء والمحايدين منهم.

وجود نوعين من القوات المعادية، متمثلة بالقوات النظامية لجيش شمال فيتنام، ومحاربي العصابات في فيتنام الجنوبية، فرض تحديًا آخر بوجه أخصائيي الحرب النفسية الأمريكيين.

من تسجيلاتهم المصممة للتأثير في العدو والتي أثبتت فعاليتها، ما عرفت بـ"الروح التائهة".

آمن الشعب الفيتنامي بضرورة دفن رفاة الميت في مكان يدفن فيه الأسلاف، وإلا ستتوه روح ذلك الشخص في الفضاء إلى الأبد بحسب عقائدهم، وكان الشريط مصممًا بصوت رجل وتم تسجيله في غرفة تضمن تردد الصدى، وقد قلد صوت روح تائهة لجندي ميت. لكن في بعض الحالات كان التسجيل أكثر إقناعًا من اللازم.

لقد كان التسجيل الصوتي فعالاً لدرجة أن التعليمات قضت بعدم تشغيله قرب القوات التابعة لجنوب فيتنام، لأن الشك كان يساورهم تمامًا كفيتناميي الشمال.

أدى تحسين سرعة عمل المطابع إلى تطور عملية طباعة المناشير في فيتنام، كان لبعض الوحدات ثلاث مطابع تعمل على مدار اليوم لطباعة المناشير التي توزع على مسافة مائة ميل يوميا.

أدى مستوى الإنتاج وفعالية الرسائل التي تبث إلى جعل مراكز الطباعة تلك هدفًا للفيتناميين في دولة لا يوجد فيها مكان آمن.

ريك هوفمان كان ضابط العمليات المسؤول عن المطبعة الإقليمية في سايجون.ويقول من أكثر طرق المديح تأثيرًا، عندما يظن خصومك أنك تضر بهم كثيرًا لدرجة أنهم يودون تفجيرك، في الرابع من ديسمبر كانون الأول من عام ألف وتسعمائة وستة وستين، حصلوا على خبر مفاده أننا سننتج منشورًا، يتضمن صورة جنرال في الجيش الفيتنامي وقد فر واستسلم، جاءت قوة صغيرة محملة بالمتفجرات، نزلت من السقوف، وكان الانفجار قويا جدا، لدرجة أنني سمعته على بعد ثلاثة أميال.

تبين هذه الصورة فداحة الأضرار، لكن قبيل الانفجار كانت المناشير قد وضبت في الشاحنات، وسلمت في الموعد.

استخدام جنود العدو لكتابة رسائل شخصية أو للإذاعة عبر مكبرات الصوت، كان أسلوبًا جديدًا اعتمده فريق الدعاية الأمريكية كبرنامج له في فيتنام.

وكان ذلك الأسلوب معروفا باسم "الذراعين المفتوحتين" وقد استخدمه الأمريكيون ومقاتلو فيتنام الجنوبية كإعلان عن الخطوة الأولى نحو حياة أفضل.

لقد رحبوا بالمستسلمين والفارين، أطعموهم وأعطوهم مكانًا ليناموا فيه وعلموهم تجارة بسيطة أيضًا.

أحيانًا كان الفارون يُستخدمون رأسًا بمجرد استسلامهم للتأثير في معركة ما تزال قائمة، في تلك الظروف كان يطلق على مناشير العملية اسم "رد الفعل السريع" خاصة وأنه كان بالإمكان رمي ما يقارب من خمسين ألف منشور من الجو خلال ساعات.

هاجم فيتناميو الشمال قاعدة جوية قرب بن وا، وبينما وقف الأمريكيون وفيتناميو الجنوب بوجه محاولات فيتنامي الشمال السيطرة على القاعدة وتحرير عدد كبير من السجناء التابعين لهم، هاجموا قرية تان هاب، فهرب السكان وبدأت المعركة.

في تلك المعركة وقع في الأسر اثنان من فيتنامي الشمال، أحدهما كان ضابطًا، فأقنعه مقاتلونا بتسجيل شريط وكتابة رسالة يمكن توجيهها إلى باقي السكان المستسلمين من قوات فيتنام الشمالية الذين مازالوا في القرية.

هذا هو المنشور الذي تمت كتابته ذلك النهار، يتضمن رجاءً شخصيا لبعض الأصدقاء القدامى للرجل، وقد أغفلت هويته لأسباب أمنية لأنه لا يزال يواجه صعوبات وتحديات في فيتنام، ألقي المنشور وأذيع البيان بالتزامن مع الهجمات الجوية الأمريكية.

بعد أن تمت إذاعة البيان رميت المنشورات مرات عدة، خرج عدد من فيتنامي الشمال من مخابئهم رافعين أيديهم فوق رؤوسهم، وسرعان ما تبعهم آخرون وآخرون، وفي نهاية اليوم كنا قد جمعنا ستاً وستين أسير حرب من فيتنام الشمالية، وكانت هذه الحرب حربًا قاسية على الجميع.

جرى احتواء سكان القرية بدون أي خسارة في البشر، لكن فيتنامي الشمال غالبًا ما كانوا يفضلون الوسائل الأكثر عنفًا أثناء الحرب، فلم يتوانوا قط عن قتل قادة المدنيين في القرى المختلفة، للمحافظة على ولاء الناس لقضيتهم، كما أنهم واجهوا الحرب النفسية الأمريكية بإلقاء محاضرات بين صفوف قواتهم، تضمنت قصصًا مرعبة عن معاملة الأمريكيين لسجناء فيتنامي الشمال.

غالبًا ما كانوا يقولون إن الأمريكيين لم يعاملوهم معاملة إنسانية وهم في الأسر، إنهم لم يتلقوا المعدات الطبية التي وعدوا بها، وهم كانوا يكذبون في ذلك ويخترعون القصص لفيتنامي الشمال حتى لا يستسلموا.

على الرغم من الجهود المبذولة لمواجهة الدعاية الأمريكية، استسلم حوالي مائة وستة وتسعون ألف جندي معظمهم من فيتناميي الشمال، من خلال جهود برنامج شيو هوي مع نهاية الحرب في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين.

في الثمانينيات، انكسر أخيرا النموذج النمطي لتراجع العمليات النفسية الأمريكية بعد كل حرب من الحروب الهامة، وذلك عندما عمد الرئيس ريغان إلى زيادة الإنفاق العسكري، ومع حلول موعد إرسال القوات الأمريكية إلى بنما في عام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين لمواجهة مانويل نورييجا، كانت مجموعة الحرب النفسية قد بدأت بوضع خطة الحرب في مرحلة مبكرة جدا.

ولا زال معظم الناس يذكرون جزءًا من صورة اجتياح بنما، حيث مكبرات الصوت الأمريكية تصدح لتعذيب نورييجا نفسيا، لقد حدث هذا في ديسمبر كانون الأول من العام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين بينما كان يلتجئ إلى المبنى التابع للفاتيكان في مدينة بنما، المعروف باسم بابال نونشيو، لكن ما لم يدركه كثير من الناس هو أن هدف خبراء الحرب النفسية كان مختلفًا في ذلك الوقت.

كان للضجيج مفعول مزدوج فسرعان ما استسلم نورييجا دون قتال، لم يكن أولئك الجنود يتخيلون أن تلك العملية ستكون اختبارًا أوليا لصراع أوسع سيحدث بعد عدة أشهر فوق الرمال الساخنة في الشرق الأوسط.

بعد نجاح العمليات النفسية في بنما، ازداد عدد القادة العسكريين الأمريكيين الراغبين في استخدام وسائل الإقناع كجزء من خططهم الحربية، التي كانوا يعدون مراحلها الأولى لحرب الخليج في عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين.

وكانت الاستخبارات الأمريكية قد توقعت انخفاض معنويات الجنود العراقيين بسرعة بعد بدء العمليات القتالية مباشرة.

ويقول نورمان شوارزكوف: إن كنا سنذهب إلى الحرب، فإن العمليات النفسية بالغة الأهمية، إنها ركيزة لأي حملة يمكن أن نشترك فيها.

سمح التخطيط المسبق للعاملين في مجال الحرب النفسية باختبار نوع رسائلهم، وبما أنه لم يكن هناك سجناء حرب في تلك المرحلة، فقد تم استخدم بعض الجنود كعينة اختبار، من جديد، كان تعقيد الثقافة الغريبة أمرًا مؤثرًا بالفعل.

لم يتمكن معظمهم من تحديد ماهية تلك الأفكار، لأن الأمر لم يكن شائعًا في تلك البقعة من الأرض، أمر آخر كشفنا عنه مبكرًا، إنهم لسبب ما لم يربطوا كثيرًا بين ما يتضمنه وجه منشور مطبوع وما تتضمنه الجهة الثانية منه.

أضيفت التغييرات وساعد بعض الرسامين على تعديل الرسومات لتصبح مفهومة من الجنود العراقيين.

وبما أن الإذاعة العراقية صورت الأمريكيين بالهمج الذين يجتاحون البلاد، فقد تقرر زيادة مستوى الشعور بالإخوة بين العراقيين والشعوب العربية الأخرى المشتركة جيوشها مع قوى التحالف، لكن نجاح مساعي زيادة الشعور بالإخوة جعل الفرق الغربية تشعر بعدم الراحة.

تم نشر رسم رجلين أحدهما خليجي والآخر عراقي يسيران في وقت الغروب ممسك كل منهما بيد الآخر، بعض القوات الأمريكية ترى في الصورة أكثر من مجرد التعبير عن الإخوة، لكن الرسائل كانت فعالة جدًا لأن الرجال العاديين في الشرق الأوسط يسلمون باليد على غيرهم من الرجال دون حرج.

عندما بدأت قوات الحلفاء في القصف الجوي في يناير كانون الثاني من العام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين، ألقيت المناشير التي تضخم حجم قوتهم، وكما في الصراعات السابقة، الوعد بالتدمير ثم تنفيذه كان فعالاً جدا، وكما أشار تقارير الاستخبارات، انحدرت معنويات الجنود العراقيين بسرعة واستسلم عدد منهم قبل أن تبدأ العمليات البرية.

عندما تقدمت مكبرات الصوت أمام القوة البرية في الرابع والعشرين من فبراير شباط، كان عدد الجنود العراقيين المستسلمين قد أصبح كبيرًا.

كانت النشرات والبيانات ترشد العراقيين لتفادي التخريب والتدمير بترك معداتهم، وُفرت مسالك آمنة تتضمن معلومات مفصلة حول كيفية وقف المقاومة مقابل وعد بمعاملة سجناء الحرب جيدا، وبما أن عددًا كبيرا من الجنود العراقيين لم يكن يملك ما يقتات به بعد صمود دام خمسة أسابيع من القصف المستمر، فقد ركزت المناشير على الطعام الذي حرك مشاعر الجوع عند العراقيين.

فسجناء الحرب الذين صرحوا بأن الموز كان من الرفاهيات في العراق، لم يظنوا إنهم يصرحون بأمر مهم، لكن خبراء الحرب النفسية الأمريكيين استخدموا هذه المعلومة لتصميم منشور ذي مدلول كبير، وعاء من الموز الشهي تقدمه قوات التحالف إلى الجنود العراقيين برسالة تعرف بوليمة العرب.

أما جهود الحرب النفسية العراقية فلم تكن قط في المستوى المطلوب فقد كرروا عددًا كبيرًا من الأخطاء التي قام بها خبراء الجيش الأمريكي في الحروب الأولى التي خاضوها كتصوير الجندي الأمريكي بصورة الجبان وإهانته.

في النهاية، نرى أن عدة عناصر أدت مجتمعة إلى ظروف فريدة من نوعها في حرب الخليج.

كانت علامة فارقة في تاريخ استخدام الحرب النفسية، لأن عدد الجنود العراقيين المستسلمين فاق بكثير عدد القتلى منهم، لذا فإن عاصفة الصحراء ترمز إلى، مثال مركزي، حول فعالية عمليات الحرب النفسية.

لكن إذا كان استسلام ستة وثمانين ألف جندي عراقي في عاصفة الصحراء قد جدد قناعة الغرب بجدوى الحرب النفسية، فإن حرب البلقان في كوسوفا في عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ستعيد التساؤلات حولها من جديد.

خبراء الدعاية من حلف الناتو، ومن منظمة حلف شمال الأطلسي، أغرقوا المنطقة بنحو مليون منشور بعد قيام القوات الصربية باجتياح المنطقة المسلمة من كوسوفا، سبعين مليون منشور منها رميت فوق منطقة البلقان، قام حلف الناتو بالقصف الجوي

الفعال أيضًا، لكن بسبب تغافل القوى البرية المتقدمة، لم يكن أحد قادرا على إقناع جنود سلوبودان ميلوزوفيتش بالاستسلام في أثناء القتال، هذا سبب هام لتذكير خبراء الحرب النفسية بأن وسائلهم منفردة لا تربح حربًا، مع ذلك، فإن فن الإقناع الغامض هذا يستمر بالتطور.

عندما تمت كتابة تاريخ القرن العشرين، لاحظ المؤرخون أن الحرب النفسية كانت جزءا من كل مواجهة، ما نتعلمه للقرن الحادي والعشرين، إن هذه الوسيلة ربما تبقى وسيلة هامة في القتال والمعارك.

التدريب مستمر في مركز الجيش الأمريكي في فورت براج بكارولاينا الشمالية، موطن المجموعة الرابعة للعمليات النفسية، يتابع خبراء الحرب النفسية تحسين مهاراتهم، وتطوير رسائلهم باستخدام التصوير الممكن، وإعادة إنتاجه بمطابع فائقة السرعة، حيث يسلمونه في ميدان القتال أو ينشرونه حول العالم باستخدام الأقمار الصناعية أو بالإنترنت.

هناك تحدٍّ آخر يواجه خبراء الحرب النفسية هو الصورة السلبية الناتجة عن المهمة التي يقومون بها، رغم النجاحات التي عرفها هذا المجال على مر السنين، فإن عددًا كبيرًا من الناس لا يزالون ينظرون إلى الأمر على أنه تلاعب بالعقول.

طالما كانت النظرة إلى الحرب النفسية نظرة غريبة، في أيام السلم والحرب، فلا يزال العمل فيها محاطا بالسرية، وأعتقد أن للأمر علاقة بالشك في كون الموضوع يتعلق بالتلاعب بالعقول، أو التأثير فيها بطريقة ما غير مقبولة، لكن هل إطلاق النار على أحدٍ وقتله مقبولان أكثر من محاولة إقناعه بترك سلاحه والبقاء على قيد الحياة ؟

تعتبر الحرب النفسية من اخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في الإنسان عقله وتفكيره وقلبه لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على إرادة القتال والمواجهة لديه وتقوده نحو الهزيمة كما أن الحرب النفسية هي أخطر الحروب التي تواجه الحركات الثورية والإصلاحية في كل زمان ومكان فهي تحاول أن تصيب الأفكار والتعاليم الناهضة

وتحول بينها وبين الوصول إلى العقول الرسوخ في القلب وهي تعمل على بذر بذور الفرقة والانقسام بين أبناء الشعب أو المجتمع الواحد وتضع العقبات أمام مسيرة التقدم والتطور وتعمل في الظلام وتطعن من الخلف .

كما تلجأ الحرب النفسية إلى تشويش الأفكار وخلق الأقاويل والإشاعات المغرضة ونشر الإرهاب وإتباع وسائل الترغيب والترهيب مما يجعل هذه الحرب أشد خطورة من حرب المواجهة العسكرية في ميادين القتال. كما تفعل إسرائيل الآن في الشارع الفلسطيني من حرب نفسية تعتمد على بث الإشاعات التي يقف وراءها الطابور الخامس وخفافيش الظلام بهدف خلق البلبلة في المجتمع الواحد وشق الصف الوطني ووضع العقبات إمام مسيرة البناء والتقدم الاجتماعي مستخدمة كل ما تستطيع من أدوات، كعمليات غسيل للدماغ ودعايات وإشاعات وغيرها من أدوات الحرب النفسية.(١)

يمكن تعريف الحرب النفسية ومفهومها بأنها وضع الأمور والشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والعقائدية التي خطط لها وموضع التنفيذ الفعلي بهدف التأثير على الآراء والمواقف ووجهات النظر والسلوكيات في هدف معين.

ولكن بالرغم من ذلك فإن من الصعوبة بمكان تفهم بدقة ماهية الحرب النفسية ومدلولاتها التي اتسعت في عصرنا الحاضر وخاصة بعد التطور الهائل في جميع فروع المعرفة الإنسانية .

وبالرغم من هذه الصعوبة التي تواجهنا لدي تعريف الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التي شاعت عن الصراع الأيديولوجي الذي يسود العالم اليوم فقد وجدنا إن هناك ما يمكن تسميته معركة الكلمة ومعركة المعتَقَد وتستخدم الحرب النفسية الدعاية ضد الخصم بالإضافة إلى استخدام وسائل أخرى لها طابع النشاط الحربي أو الاقتصادي أو السياسي على النحو الذي يكون مكملا لنشاط الدعاية .

---

١ - (الحرب النفسية ومقوماتها - منتديات صوت فلسطين — ١٠ يونيو ٢٠٠٨) .

ومن ثَم نجد أن الحرب النفسية هي لونا من النشاط الدعائي الذي استجد بعد الحرب العالمية الثانية.

و توجه الحرب النفسية لشل معنويات العدو وتقليل عزيمته على القتال وإلقاء الرعب في قلبه ودفعه إلى الاستسلام والحرب النفسية حرب شاملة توجه إلى القوات المسلحة وتمتد إلى الجبهة الداخلية، إلى الشعب كله عسكريين ومدنيين، وهي حرب متصلة ومستمرة في زمن الحرب والسلم على سواء.

إنها تشن قبل الحرب الفعلية لتحطيم معنويات العدو، وتتغلغل الحرب النفسية في جميع شؤون ونواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وتقوم الحرب النفسية على الهجوم والدفاع في وقت واحد وتستخدم أوسع نطاق الحرب الخاطفة.

وتدخل الحرب النغسية ضمن ما يُطلق عليه " نظرية الحرب بلا قتال ، حيث لكل جيش في العالم مصدران للقوة معنوي ومادي والمصدر المعنوي أهم بكثير من المصدر المادي لإحراز النصر بتوجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات العدو لأنها مصدر القوة لديه وأفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو هي الحرب النفسية التي تستهدف عقل وتفكير وقلب المقاتل بهدف تحطيم معنويته والقضاء على رغبته وقدرته على القتال لان الشخصية هي ميدان الحرب النفسية لأن الحرب المادية ليست العامل الوحيد ولا الأول في كسب الحرب .

والحرب ليست مجرد سلاح ضد سلاح بل إرادة ضد إرادة فالناس يلجأون إلى القتال عندما يعجزون عن تحقيق أهدافهم بوسائل أخرى وأن الغرض من القتال ليس دائما تدمير قوات العدو.

ويمكن تحقيق هذا الغرض دون أن يجري أي قتال على الإطلاق فالحرب النفسية هي التي تحطم قوة الجيش وانهزامه عن طريق نفسه وإن الحرب النفسية أقل كلفة من الحرب المادية .

وباستطاعة أي جيش أن ينتصر بواسطة الحرب النفسية بأقل عدد فهي وسيلة لإضعاف معنويات الإعداد العسكريين والمدنيين وتقوية معنويات القوات الضاربة والجبهة الداخلي. و يستطيع الفرد عن طريق معرفته الفطرية بنفسه أن يدرك ما فيه من قوة جبارة يستطيع بها مواجهة أشد الصعاب.

فالذي يجعل الفرد يعمل حتى نسيان الإحساس بالألم هو الوقود النفسي، والذي يجعله يقتحم الأهوال وتحدي الأخطار هو الوقود النفسي، وهذا الوقود يتمثل في المعنويات، وأن الحرب النفسية أحرص ما تحرض على هدم أو تدمير هذه المعنويات في الإنسان التي تمثل مصدرا للطاقة.

وهذا المنبع هو من منابع القوة والإصرار على الاحتمال، فلا غرابة أن تسمى الحرب النفسية باسم حرب المعنويات.

وتعتبر المعنويات شيئا أساسيا لدى المقاتل العسكري، فالقوات المسلحة لها مصدران للقوة: مصدر معنوي - مصدر مادي، والمصدر المعنوي للقوة هو أهم بكثير من المصدر المادي. ولإحراز النصر يجب توجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات الخصم (كما فعلت إسرائيل في حرب ٦٧- وحرب لبنان ٨٢) باعتبارها مصدر القوة لديه.

وأفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للخصم هو الحرب النفسية، وإن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة الخصم دون قتال.

وتستهدف الحرب النفسية - كما ذكرنا آنفا - عقل وتفكير وقلب المقاتل العسكري، بغرض تحطيم معنوياته والقضاء على رغبته وقدرته على القتال حيث إن الأسلحة هي آخر وسائل الحرب النفسية، وإن أصح استراتيجيات الحرب هي، أن تؤجل العمليات الحربية حتى تهيئ القوى المعنوية للخصم إلى الضربة القاضية بسهولة ويسر، حيث إن من أضمن الاستراتيجيات اليوم أن تدفع بالخصم إلى تحطيم نفسه أو انهزامه عن طريق نفسه، لأن إخضاع دولة بالوسائل النفسية صار أرخص بكثير من إخضاعها بقوة السلاح.

وتستطيع الجيوش اليوم أن تنتصر بواسطة الحرب النفسية وأقل الخسائر، إذا ما مهد لها علم النفس العسكري الطريق بإضعاف معنويات الأعداء العسكريين والمدنيين، وبتقوية معنويات القوات الضاربة والجبهة الداخلية.

فالروح المعنوية العالية هي شرط أساسي حتى تؤدي أية منظمة اجتماعية وظيفتها التي تكونتِ من أجلها، فمعنى وجود روح معنوية عالية في جماعة مًّا، أن هذه الجماعة تؤدي عملها على الوجه الأكمل وأن أفراد الجماعة يؤدون واجباتهم أداء سليمًا كل ما فيما يخصه.

كما أنهم يتعاونون فيما بينهم تعاونا وثيقا، بحيث يعملون جميعا كوحدة متماسكة أو مترابطة.

وهناك عاملان أساسيان لابد من توافرهما لقيام روح معنوية عالية هما:

أ- قيام كل فرد من الجماعة بواجبة المنوط به.

ب- تعاون الأفراد الذين يكونون الجماعة على أداء الواجب الكلي للجماعة.

والشرط الأساسي هنا، أن تنبع هذه الروح من صميم الجماعة نفسها لا من القوة المسيطرة عليها.

وتتمثل العلاقات الرئيسية للروح المعنوية العالية للمنظمة الاجتماعية في:

- وجود ميل يسود جميع أفراد الجماعة المتماسك.
- اتجاه الجماعة إلى مقابلة الظروف والمواقف المختلفة الداخلية التي يمكن إن تنشأ في نطاق الجماعة وتحدث صراعا داخليا، بحيث ينتهي الأمر إلى استعادة التماسك وروح الوحدة.
- وجود اتجاه نفسي لدى كل أفراد الجماعة إلى الترحيب بالعمل والتزامل مع بقية أفراد الجماعة.

- فهم أفراد الجماعة للأهداف والوظائف التي ترمى إليهم وتؤديها الجماعة كوحدة، ووجود اتجاهات نفسية إيجابية لديهم نحو هذه الأهداف والوظائف، ونجو القيادة التي تتولى رئاسة الجماعة.

ويمكن تعريف الروح المعنوية بأنها الحالة العقلية للفرد في وقت معين، وتحت تأثير ظروف معينة .

فالفرد في وقت معين وتحت تأثير ظروف أخرى قد تجده متخاذلا وفاقدا للنشاط، وهذا يعني أن حلة الإنسان العقلية هي التي تحركه في هذا الوقت أو ذاك إلى السلوك المتسم بالقوة أو الضعف، أو بالسعادة العقلية أو بالحزن، وهذه الحالة تسمى الروح المعنوية وتعتبر الروح المعنوية العالية هي أهم عوامل النصر في الحروب.

فهي الباعث الأساسي لإرادة القتال، وهي مستودع القوة، والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها والتصميم على إحراز النصر على الخصم مهما كانت التضحيات.

كذلك تعتبر الروح المعنوية العالية في وقت السلم من أهم الدوافع إلى الإخلاص والإيجابية. وأن الحماسة في العمل في مجالات الاستعداد والتدريب والحراسة وغيرها تعتبر من أسباب إعداد القوة التي هي بلا شك مطلب حيوي للنصر في الحرب.

ويحتل العامل المعنوي مكانا هاما في التخطيط الاستراتيجي في كل جيوش العالم، كما أصبح هدف تدمير الروح المعنوية للعدو، من أهم الأهداف الاستراتيجية التي تسعى الجيوش المتصارعة إلى تحقيقها، فتصنع الخطط للضربات التي تستهدف تدمير المعنويات سواء بأعمال القتال أو بالحرب النفسية.

لاشك أن معنويات الجماعة نوع من الدرع الواقي يحمي الفرد ضد الضغوط الخارجية، بما في ذلك ضغوط كل وسائل الإعلام الجماهيري، وبالطبع فإنه يتوافر لكل شخص من المعنويات الشخصية، حتى ولو كان يعيش في نطاق ذاتيته وحدها ، وهو يستمد هذا من وعيه القوي لذاتيته الشخصية وبالاتصالات البيئية التي تحفظ له هذه الذاتية بل توجدها إلى حد بعيد.

ولهذا فأن الهدف الأول لأسلوب أي عملية لغسيل الدماغ هو إزالة قدرة الشخص على الصمود والثبات بوسائل مختلفة مثل: العزل الاجتماعي، أو بالتعذيب، أو بالإذلال، فالحرب النفسية هي إجراءات تهدف إلى سل إرادة الخصم وتحطيم رغبته في القتال لثنيه وردعه بإيصاله إلى وضع لا يرى فيه أي أمل في الاستمرار في المقاومة أو القتال.

وتظل الشخصية الإنسانية هي ميدان الحرب النفسية، وأسلحة الحروب تتغير بينما الطبيعة البشرية لا تتغير، وان الأسلحة المادية ليست هي العامل الوحيد ولا الأول والأخير في كسب الحرب. ومن ثم فالحرب ليست مجرد سلاح ضد سلاح، وإنما الحرب إرادة ضد إرادة.

ويرى الدكتور سعيد العبيدي إن معطيات الصراع وطبيعته التي كونت شكل النظم السياسية في عالم اليوم تؤكد أن محاولات الهيمنة وتأمين المصالح واحتمالات المواجهة حالة موجودة بين الحلفاء والأصدقاء مثلما هي واقعة بين الخصوم والأعداء، وفرقها الوحيد لا يتعلق بمديات وجودها واستمرار بقائها، بل بوسيلة التنفيذ وطريقة التوصيل ووقت الشروع التي عادة ما تكون محكومة بالظروف المحيطة ووسائل الضبط المتيسرة، وهذا استنتاج يتطلب أيضا ديمومة التعامل معه دون توقف، لذا نجد في عالمنا اليوم اندفاعاً لمعظم النظم باتجاه تقوية جيوشها وتمتين اقتصادها ودعم دبلوماسيتها وتطوير وسائلها النفسية وإعداد شعوبها للدفاع الكفء ماديّاً ومعنويّاً من جانب وتهيئة فرص أفضل للهجوم وظروف أحسن لفعل التأثير في عقول المستهدَفين عندما تقتضي المصالح وضرورات استمرار الوجود من جانب آخر.[1]

ومن حيث التطبيق نرى أن للحرب النفسية بمفهومها الحديث فعاليات شاملة وإجراءات متداخلة يكمل بعضها البعض.

١- (الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد و اتجاهات التحصين في المنطقة العربية والإسلامية - د . سعد العبيدي - مجلة النبأ - مارس - ٢٠٠١) .

فأعمال السياسة الخارجية على سبيل المثال ذات الصلة بالعلاقات والخطب والمؤتمرات والرسائل والاتصالات والمذكرات تهدف في بعض جوانبها إلى تكوين قناعات تساعد في كسب ود الأصدقاء وتمتين عرى صداقتهم وجلب المحايدين إلى دائرة الصداقة ومن ثم التخفيف من عدوانية الخصوم ومحاولة تحييدهم، وهي معطيات نفسية قد يطلب المعنيون بالتعامل معها مساعدة الإعلام بكل وسائله وأدواته وأنشطته المعروفة لتجسيدها على أرض الواقع، وقد يستعينوا بالمقاطعة الاقتصادية والمساعدات المالية لنفس الغرض، كذلك تقتضي الضرورة اللجوء إلى العمل الاستخباري السري لتنفيذ بعض فقراته، وهذه التصورات تنطبق متغيراتها على معظم أهداف القوى السياسية الحالية في النظام العالمي الجديد الذي أصبح فيه استمرار تسجيل النقاط في وعي الآخرين أمراً أساسيا.

كانت الحرب بمفهومها العسكري التقليدي إحدى أهم الوسائل المتاحة لفض الصراعات القائمة وفرض الإرادات، حتى وقت قريب تدخلت فيه بعض المتغيرات التي أثرت على اتجاهات السياسة في الاعتماد المطلق على الحرب المباشرة، أو الصدام المسلح كعامل فاعل لتأمين غاياتها.

ومن بين تلك المتغيرات التي يعددها الدكتور العبيدي :

أ- ظهور الأسلحة المتطورة لدى العديد من الدول أدخل العالم حقبة الإستراتيجيات الشاملة بشكل أصبحت فيه احتمالات الحرب التقليدية كوسيلة من وسائل إدارة الصراع قليلة الاحتمال إلا في حدود ضيقة، لأن الاستخدام العام لتلك الأسلحة لا يسمح بخروج منتصرين في حرب سيحل الدمار بجميع أطرافها.

ب- على الرغم من مقدرة الجيوش الحديثة وضخامة الأسلحة التي بحوزتها وقدرتها على التحشد والإسناد الإداري فإنها أصبحت شبه عاجزة لوحدها عن تحقيق الحسم العسكري بشكله الاعتيادي رغم تفوقها على

خصم أصبح ونتيجة للتطور يتمتع بفرص جيدة للمناورة وإمكانات عالية في استجلاب الدعم والإسناد وحرية معقولة لتأمين الاتصال بمستويات زادت من فرص مقاومته.

ج- التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاتصال ونقل المعلومات جعل عالم اليوم صغيرا للحد الذي يستطيع فيه المرء أن يرى أحداثاً تقع في مختلف أنحائه لحظة وقوعها وهو جالس في بيته مما جعل هذه الوسائل ذات تأثير كبير على تشكيل الآراء والتوجهات والقناعات يمكن استثماره وبأقل ما يمكن من الخسائر.

وهكذا فإن المعطيات السابقة أثرت على رؤية القوى المتنفذة في العالم (أمريكا والغرب) على وجه الخصوص، ودفعتهما إلى التفكير بوسائل جديدة قادرة على إحداث فعل التأثير على تشكيل الآراء والقناعات المناسبة، وتكوين الاستجابات المطلوبة، تتوافق في واقع الحال ومساعيهما الحثيثة لتسيير واستغلال الشعوب الأخرى بطرق مقبولة لا تثير احتمالات المقاومة كما يحدث عادة في التعامل مع الأساليب القديمة المتمثلة بالحرب التقليدية، وبكلفة أقل بالمقارنة مع الكلف الباهظة للحروب التقليدية، وسعة تدمير أقل بالمقارنة مع تلك الحروب.

ولذا فقد بات التعامل على المستوى النفسي يحتل الحيز الأكبر بين الأسلحة المستخدمة في النظام الدولي الجديد للتأثير على وعي المستهدفين، أخذت فيه الحرب النفسية إطارا أكثر شمولية وأصبح فيه الإعلام أحد أدواتها المعروفة، وبات مفهومها الدقيق : استخدام المعطيات النفسية السرية والعلنية لإيجاد القناعات والآراء والاتجاهات التي تسهل تأمين المصالح وتعين على إدارة وتحليل الصراع.

لكن الحرب النفسية مفهوم لم ترتبط نشأته بتطور تقنيات الإعلام ولا بشيوع تطبيقات النظام الدولي الجديد بل ويعود إلى الحروب، عندما أدرك بعض القادة العسكريين أن جنودهم يقاتلون قتالا شرسا تارة، ويتبلدون إلى حد الجبن تارة أخرى، وكذلك جنود

العدو الذين يستبسلون في الدفاع عن مواضعهم تارة، وينسحبون متقهقرين تارة أخرى حتى عزوا ذلك التناقض الانفعالي إلى العامل النفسي وتوجهوا إلى المختصين لدراسته وتطوير وسائل تقويته عندهم، وإضعافه عند خصومهم، فكانت إجراءاتهم العملية في هذا المجال شملت العديد من الوسائل والأدوات وضعت تحت عنوان الحرب النفسية التي عُرِفَت ما بعد الحرب العالمية الثانية بالاستخدام المخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات عاتية بقصد التأثير على آراء وعواطف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعبر عن تحقيق سياسة الدولة وأهدافها. وعرفت بعد ذلك بقليل بأنها حملة شاملة تستعمل كل الأدوات المتوفرة وكل الأجهزة للتأثير في عقول جماعة محددة بهدف تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوكية تتفق مع مصالح الطرف الذي يشن هذه الحملة .

لكن تلك التعريفات قد تغيرت مع تطورات الأحداث والتقنية والنضج الفكري في مجالها لتكون الاستخدام المنظم لمعطيات علم النفس التطبيقية في تحليل وإدارة الصراع .

التصور المذكور للحرب النفسية واعتمادها في تحليل وإدارة الصراع أعطاها أهمية بالغة ودفع العالم الغربي وأمريكا (القطب الواحد) في النظام الدولي الجديد على وجه الخصوص، **إلى استخدامها سلاحا كأحد أفضل الأسلحة المؤثرة لاعتبارات أهمها:**

آ- إنه سلاح غير مباشر يعتمد على المعرفة النفسية وتطبيقاتها في التعامل مع الوعي الإنساني تلك المعرفة التي قطعت فيها تلك الدول أشواطاً بعيدة المدى وتمرست في استخداماتها بمستوى يحقق لها التفوق المطلوب في العديد من بقاع العالم.

ب- إن أمريكا في النظام العالمي الجديد امتلكت السلطات التشريعية والتنفيذية العالمية معاً وبموجبها حرمت على سبيل المثال التشويش على الإذاعات المرئية والمسموعة ومنعت الرقابة على المطبوعات والرقائق السينمائية وبقية وسائل الاتصال، وغيرها من ضوابط وقوانين مهدت

لفتح الأبواب على مصاريعها أمام أسلحتهم النفسية دون أية مقاومة أو بقليل منها في أحسن الأحوال.

ج- إن الابتعاد جهد الإمكان عن التدخل المباشر باستخدام الجيوش التي ارتبطت حركتها بالاستعمار التقليدي المقيت أمر يحتاجه أولئك المعنيون في الوقت الحاضر لتجميل صورتهم التي تشوهت في اكثر من مكان على الكرة الأرضية، إلا أن هذا الاتجاه يعني تقييد لحركتهم وخسارة لمصالحهم الآنية والمستقبلية لا يمكن قبوله تماماً، وكتعويض لذلك فسح المجال واسعاً لاستخدام السلاح النفسي الذي يلبي الطموحات دون أية مشاكل جانبية.

د- أمريكا والدول المتنفذة الأخرى هي دول رأسمالية يدير معظم مفاصل القرار فيها أصحاب رؤوس الأموال وفق نظام يضع في الحسبان الكلف المادية ومؤشرات الربح والخسارة لكل الفعاليات وبينها العسكرية، وبمقارنة بسيطة بين ما تتطلبه الحرب التقليدية أو النووية من مصاريف ضخمة، وما تحتاجه الحرب النفسية من أموال وجهود معقولة نجد أن ميزان المفاضلة تميل كفته لصالح الأخيرة وبفارق كبير جدا.

هـ- يمتاز السلاح النفسي عن غيره من الأسلحة التقليدية كون إجراءاته متعددة ومتغيرة تتلون باستمرار تبعا للظروف، والمواقف، كذلك يتوجه إلى أهداف ليست معلنة واتجاهاته على وجه العموم غير مباشرة. وسلاح بهذه الخصائص يكتسب قوة التأثير غير المباشرة دون مقاومة المستهدفين أو ممانعة من قبل المجاورين في المنطقة.

و- إن اللجوء إلى استخدام الجيوش في الحروب عبر كل الأزمنة يتمحور حول فرض إرادة أحد أطراف الصراع بالقوة عندما تعجز الوسائل الأخرى عن فرضها. وهذه نتائج لا يدوم أمدها طويلا لأنها وبقدر قوة الصدمة

وقسوة الشروط التي يفرضها المنتصر ستخلق مشاعر للعدوان ويتشكل سلوك للمقاومة عند مواطني الطرف المقابل يدفعهم إلى تكثيف جهودهم لإزالة تلك النتائج بأسرع ما يمكن. أما السلاح النفسي الذي لا يتوقف تأثيره عند حالة معينة يمتاز بالاستمرارية وبسهولة التكرار والمرونة في اختيار الوقت والوسيلة، والمناورة بالجهد المتيسر، وهي مبادئ توفر له فرصاً جيدة لإدامة زخم التأثير بدرجات أشد وفترات زمنية أطول.

ز- تمثل الحرب الاعتيادية مواجهة ساخنة بين أطراف الصراع يتلقى العسكريون فيها قوة الصدمة التي قد تمتد آثارها إلى المدنيين في العمق الاستراتيجي تبعا لشدتها واتساع رقعتها (شموليتها) وخلالها يحتفظ القادة المعنيون أحياناً بجهود تحمي المدنيين أو تقلل من تأثيراتها عليهم جهد الإمكان. بينما تختفي الحدود والفواصل في استخدامات السلاح النفسي (إلا إذا أريد له ذلك) وساحته على وجه العموم شاملة لكل المجتمع المستهدف. وبمعنى آخر إن تأثيراته السلبية لا تقتصر على جبهة القتال، والعبء الأكبر فيها لا يقع على العسكريين بمفردهم، وهو ما تسعى أطراف الصراع إلى تحقيقه في الوقت الحاضر.

ح- إن سياقات تطبيق الحرب النفسية في كثير من الأحيان تعتمد على التعامل مع ميول الإنسان وحاجاته ورغباته ومن ثم غرائزه بأساليب إشباع مرغوب، أو تجنب منفر، وهي معطيات تستهوي في معظمها المتلقين وتمهد الطريق أمام السلاح النفسي للوصول إلى الهدف المطلوب في الزمان والمكان المحددين.

والحرب النفسية على وفق ما ورد سابقا : عمل لا يتعلق إنجازه بالمؤسسة العسكرية فقط، لأن استخدام الجيش أو القوة العسكرية كان ولا يزال بيد الساسة بقصد فرض الإرادات وخلق القناعات " لصالح المنتصر " أو تحوير أمور أخرى بالاتجاه الذي يريده المنتصر، وبالتالي أصبح الجيش وفعله أثناء الحرب وقبلها أو بعدها إحدى أدوات الحرب

النفسية. وهو كذلك لا يقتصر فعله على الدبلوماسية فقط، في ممارسة الضغط والعزل وقطع العلاقات، ولا على الاقتصاد والتجارة وعمليات التجسس والاستخبارات فحسب، بل على كل جهد مدني أو عسكري الطابع، أو اقتصادي أو اجتماعي أو معلوماتي **يمكن استثماره في تحليل وإدارة الصراع :**

أ- فإن كان أحد الأطراف في أحد كفتي الصراع على سبيل المثال يمتلك القدرة العسكرية الجيدة فقد يستخدمها أو يلوح باستخدامها ضد خصمه لخلق قناعات أو قبول واقع جديد، والقناعة والقبول مسألة نفسية.

ب- وإن كان الاقتصاد هو الأقوى في جعبته فإنه سيلجأ إلى استخدامه على شكل عقود خاصة، ومنع تصدير وحصار وغيرها لتكوين تصورات وأفكار، والأفكار والتصورات مسألة نفسية.

ج- وإن امتلك وسائل الاتصال وتقنية المعلومات، فسيبادر إلى استخدامها للتأثير في تكوين الاتجاهات والميول والرغبات، وهذه هي الأخرى معالم نفسية.

ومن هنا أصبحت معظم الإجراءات التي يقوم بها الطرف المعني لإدارة صراعه مع الطرف المقابل ذات أبعاد نفسية ، ومن خلالها يمكننا القول : إن الحرب النفسية على وفق مفهومها الحالي في تحليل وإدارة الصراع، **يحاول القائمون عليها استثمار معطياتها في أكثر من اتجاه، بينها :**

أ-يلجأ من خلالها كل طرف من أطراف الصراع لأن يُثبت في عقل الطرف الآخر نقاط قوامها الأفكار، والمفاهيم، والتصورات التي تدفعه للقيام بفعل معين، أو تجنب القيام بآخر.

ب- وفيها يسعى كل طرف أن يهزم عدوه عمليا أو عقليا، وإن وجد نفسه غير قادر على ذلك يتحول بجهوده صوب التقليل من عدوانيته، أو تحييده.

ج- وفيها أيضا يسعى كل طرف إلى جعل المحايدين في دائرة صراعه أصدقاء له لتفادي نتائج تحولهم إلى الكفة الأخرى مستقبلا، وكذلك يسعى لزيادة أواصر العلاقة مع أصدقائه، لجلبهم إلى صفه دعما لكفته في الصراع مع الآخرين.

وهكذا تبقى الحرب النفسية عملية مستمرة دائمة، لا تقتصر على الحروب والأزمات، ولا على الأزمنة والأوقات، وبات هذا التصور الأكثر ملاءمة لفهمها في وقتنا الراهن.

ومن هنا فإن معطيات الصراع وطبيعته التي كونت شكل النظم السياسية في عالم اليوم تؤكد أن محاولات الهيمنة وتأمين المصالح واحتمالات المواجهة حالة موجودة بين الحلفاء والأصدقاء مثلما هي واقعة بين الخصوم والأعداء، وفرقها الوحيد لا يتعلق بمديات وجودها واستمرار بقائها، بل بوسيلة التنفيذ وطريقة التوصيل ووقت الشروع التي عادة ما تكون محكومة بالظروف المحيطة ووسائل الضبط المتيسرة، وهذا استنتاج يتطلب أيضا ديمومة التعامل معه دون توقف، لذا نجد في عالمنا اليوم اندفاعاً لمعظم النظم باتجاه تقوية جيوشها وتمتين اقتصادها ودعم دبلوماسيتها وتطوير وسائلها النفسية وإعداد شعوبها للدفاع الكفء ماديا ومعنويا من جانب وتهيئة فرص أفضل للهجوم وظروف أحسن لفعل التأثير في عقول المستهدفين عندما تقتضي المصالح وضرورات استمرار الوجود من جانب آخر.

ويؤكد الدكتور العبيدي على أنه وبناء على نفس الأسس الواردة لن يتبقى مجال للدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص إلا السعي لتطوير قدراتها في تحليل وإدارة الصراع وزيادة هامش مرونتها في التعامل مع الدول ذات التأثير الأقوى في عقول المتلقين من مواطنيها.

ومن حيث التطبيق نرى أن للحرب النفسية بمفهومها الحديث فعاليات شاملة وإجراءات متداخلة يكمل بعضها البعض. فأعمال السياسة الخارجية على سبيل المثال ذات الصلة بالعلاقات والخطب والمؤتمرات والرسائل والاتصالات والمذكرات تهدف في بعض جوانبها إلى تكوين قناعات تساعد في كسب ود الأصدقاء وتمتين عرى صداقتهم

وجلب المحايدين إلى دائرة الصداقة ومن ثم التخفيف من عدوانية الخصوم ومحاولة تحييدهم، وهي معطيات نفسية قد يطلب المعنيون بالتعامل معها مساعدة الإعلام بكل وسائله وأدواته وأنشطته المعروفة لتجسيدها على أرض الواقع، وقد يستعينون بالمقاطعة الاقتصادية والمساعدات المالية لنفس الغرض، كذلك تقتضي الضرورة اللجوء إلى العمل الاستخباري السري لتنفيذ بعض فقراته، وهذه التصورات تنطبق متغيراتها على معظم أهداف القوى السياسية الحالية في النظام العالمي الجديد الذي أصبح فيه استمرار تسجيل النقاط في وعي الآخرين أمراً أساسيا.

وهكذا ستبقى الحرب النفسية خيارًا جذابًا لكونها تساعد على إنقاذ البشر، كما أنها أقل كلفة من أنظمة التسليح التقليدية، لكن إقناع عدو محتمل في أوقات السلم قد يكون أكثر أهمية.

(سون أتزو) الخبير الاستراتيجي العسكري الصيني القديم، عرف قوة الإقناع في منع حدوث صدام فقال: "أن تربح مائة انتصار في مائة معركة لا يعتبر مهارة فائقة! إن تقنع العدو دون قتال هو العلامة المطلقة على الامتياز".

ويمكن أن يحدث هذا حين يشعر الإنسان أن إرادته وقوته الداخلية محطمة ، مما يدفعه للركون للواقع المرير والاستسلام له دون محاولة تغييره وهذا هو ما يدفع الخصم إلى هذا الطريق من ألوان الحروب فهو أقل تكلفة من الناحية المادية .

●●●

2

الفصل الثانى

فتتعددُ الأشكال والأهداف واحدة!!

فوجئ العالم يوم الثامن من أكتوبر عام ٢٠٠١، ليس بالضربات الأمريكية على أفغانستان ، التي كان قد مضى على بدئها ثلاثة أسابيع ، ولكن بإعلان لوزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد، والذي أكد أن طائرات أمريكية قادمة من قاعدة "رامستين" الجوية الألمانية قد أسقطت ٣٧٥٠٠ عبوة من المؤن الغذائية للشعب الأفغاني!!

وقد بدا الأمر للبعض في حينه نفاقا سياسيا من جانب الحكومة الأمريكية، إلا أن الخبراء الإستراتيجيين أكدوا – آنذاك – أن ذلك لم يكن إلا جزءًا من الحرب النفسية التي تشنها الولايات المتحدة على أفغانستان من أجل اكتساب تأييد المجتمع الدولي لها، بل وتأييد الشعب الأفغاني نفسه (الضحية) !!

فقد أعلن وزير الدفاع الأمريكي في إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش - آنذاك– دونالد رامسفيلد –حسبما جاء في تقرير لمجلة " جينز " العسكرية - أنه قد تم –بالفعل، وقبل الضربات الأمريكية الحالية– شَن ما يُعرف بالعمليات النفسية داخل أفغانستان من خلال إسقاط منشورات أمريكية للشعب الأفغاني، ومن خلال برامج إذاعية يتم بثها من الطائرات .

كما أعلنت الحكومة الأمريكية توفير ٣٥٠ مليون دولار أمريكي من أجل إعانة اللاجئين الأفغان.

وفي خطاب الرئيس الأمريكي – آنذاك – جورج بوش للشعب الأمريكي عقب الضربات الأولى على أفغانستان قال: "إن الشعب الأفغاني المقهور سوف يعرف كرم أمريكا وحلفائها عن طريق إسقاط مؤن غذائية وأدوية وتجهيزات لجوعى أفغانستان من الرجال والنساء والأطفال أثناء قيام الجيش الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية داخل أفغانستان".

وقال بوش : " إن الولايات المتحدة الأمريكية صديقة للشعب الأفغاني، كما أنها صديقة لأكثر من مليار مسلم حول العالم".

زكانت شبكة الـ"بي بي سي" البريطانية قد أذاعت في اليوم الثاني للهجوم الأمريكي أن الطائرات الأمريكية قد أسقطت –بالإضافة إلى نفس كمية العبوات الغذائية لليوم السابق– أعدادا هائلة من أجهزة الراديو!!.

وهكذا نرى أمثلة واضحة لأحد أقدم أسلحة الحرب –وربما أكثرها فتكا–، ألا وهو السلاح النفسي أو الحرب النفسية !

حسب تعريف حلف الناتو الذي قادته أمريكا للهجوم على أفغانستان فإن الحرب النفسية هي أنشطة سيكولوجية مخططة تُمارَس في السلم والحرب، وتوجَّه ضد الجماهير المعادية والصديقة والمحايدة من أجل التأثير على مواقف وسلوكيات هؤلاء؛ لكي تؤثر إيجابيا نحو إنجاز هدف سياسي أو عسكري معين.

والأهداف العامة لشنّ حرب نفسية أثناء عملية عسكرية معينة هي:

- إضعاف المعنويات والفعالية العسكرية لقوات العدو.
- خلق جوٍّ عام من النزاع الداخلي وسط صفوف العدو، وتشجيع إحداث نوع من الانقلاب العسكري بينهم.
- دعم العمليات السرية لقوات التحالف.

- رفع المعنويات وسط صفوف قوات التحالف وصفوف المجموعات المحلية العسكرية الصديقة.

- إقناع السكان المحليين بدعم العملية العسكرية ضد حكومتهم.

وتقوم الوحدات الخاصة بالعمليات النفسية بتحقيق تلك الأهداف من خلال رسائل تصل إلى الجمهور المستهدَف باستخدام وسائل عديدة، وتشمل تلك الرسائل:

- رسم صورة إيجابية في ذهن الجمهور المستهدَف لقوات التحالف.

- تضخيم آثار القوة العسكرية لقوات التحالف وحقيقتها في ذهن الجمهور المستهدف.

- توفير أفكار لتصرُّف بديل يستطيع الجمهور المستهدَف أن يسلكه.

- رسم صورة سلبية للحكومة المعادية في أذهان الشعب المستهدف.

وبفضل تطور علوم سلوكيات الإنسان؛ فقد أصبحت قوات العمليات النفسية خبيرة في كيفية توصيل تلك الرسائل، وهي غالبا ما تشمل استغلال بعض البديهيات في كيفية التأثير على عقليات الناس. فقد تقوم –مثلا– بتكرار رسالة معينة مرارا وتكرارا حتى يبدأ الجمهور تصديقها من كثرة التكرار، أو قد تستغل بعض العقائد والخرافات الشعبية في توصيل معلومة ما، أو خلق جوٍّ مًّا يكون في صالح العملية العسكرية. كما أنها قد تذيع أخبارا كاذبة، أو غير مكتملة الجوانب، على أنها أخبار محايدة، وتمثل حقائق لا جدال فيها.[١]

وقد توصلت علوم سلوكيات الإنسان إلى أن الناس قد يصدقون ما يُعرَض عليهم بشكل عفوي أكثر بكثير من طريقة فرض الرأي. كما أنهم قد يميلون إلى تغيير آرائهم إذا عُرض عليهم رأيٌ ما من خلال عدة مصادر يساند بعضها بعضا.

١-(الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني – نادية العوضي – غسلام أون لاين – ١٣ أكتوبر ٢٠٠١) .

أسلوب آخر للتأثير على آراء الناس، قد يكون من خلال عرض رأي ما على لسان شخص يشعرون بنوع من الانتماء إليه، أو يُعرف عنه التخصص في مجال الرأي المعروض، أو أن يبدأ الشخص حواره بالتعبير عن رأي معيَّن له يتفق بشدة مع آراء المستمعين؛ وهو ما يكون من شأنه اكتساب ثقة المستمع. كما أنه من الممكن عرض موضوع ما بشكل يوحي للمستمع بأنه يسمع جميع الآراء المختلفة حول الموضوع، إلا أن العرض يكون بشكل يقلل من قيمة بعض الآراء على حساب تعزيز آراء أخرى.

وسائل نشر تلك الرسائل تكون بإسقاط المنشورات، أو بإصدار جرائد، أو بوضع الملصقات، أو بإذاعة برامج إذاعية وتليفزيونية، أو باستخدام مكبرات الصوت في ميادين القتال ووسط الشعوب، أو باستخدام الإنترنت وأجهزة الفاكس، أو عن طريق تقديم المعونات الإنسانية.

وتمثل المجموعة الرابعة للعمليات النفسية (التابعة للقوات الجوية) -والتي تتخذ من "فورت براج" بولاية "كارولاينا" الشمالية قاعدة لها- المجموعة الأمريكية الوحيدة النشطة للعمليات النفسية في القوات العسكرية الأمريكية، إلا أنها لا تمثل سوى ٢٦٪ من طاقة العمليات النفسية الأمريكية الكاملة، والتي تقع باقيها ضمن احتياطي الجيش الأمريكي.

وتتكون المجموعة الرابعة للعمليات النفسية من مركز للقيادة، وأربع كتائب للدعم الإقليمي، وكتيبة لانتشار العمليات النفسية، وكتيبة للعمليات والتخطيط، تقوم كلها بضمّ ١١٤٥ جنديا و٥٧ محللا مدنيّاً.

ولعل أقدم الأمثلة المعروفة للحرب النفسية هو ما فعله الإسكندر الأكبر المقدوني من صناعة عدد كبير من الدروع والخوذات الضخمة، والتي كان يتركها خلفه؛ ليجدها العدو فيعتقد أن جيش الإسكندر الأكبر به عمالقة من الرجال؛ فيمتنعون عن ملاحقته، كما أن القائد المغولي جنكيز خان كان يبعث أمام جيشه بمَن ينشر وسط البلد المستهدفة كلاما يدل على أعداد المغوليين الكبيرة، وأفعالهم الوحشية من أجل بثّ الرعب في النفوس.

كما أنه كان يقوم بخداع جيش عدوِّه؛ فيجعلهم يعتقدون أن جيشه أكبر من واقع الحال عن طريق مجموعة مدربة من الفرسان الذين كانوا يتحركون بسرعة كبيرة من مكان إلى آخر.

أما في الحرب العالمية الثانية، فقد استغلت هيئة الإذاعة البريطانية برامجها لتعليم الألمانية من أجل تخويف العدو الألماني بتعليمه عبارات بالإنجليزية تُوحي له بأن القوات البريطانية قد ابتكرت طرقا من أجل جعل مياه القناة الإنجليزية تحترق!!

وقد استخدمت القوات الأمريكية الحرب النفسية في حروبها مع بنما وكوريا الشمالية وفيتنام وكوسوفا، إلا أنها تجلّت في حرب الخليج؛ فمن أمثلة ذلك استخدام إحدى الوحدات الصغيرة للقوات الأمريكية لمكبرات الصوت، والتي أخذت تطلق أصوات الهليكوبتر والدبابات من خلال شرائط مسجلة من أجل إيحاء الجيش العراقي بأن إمكانيات الوحدة أكبر بكثير من حقيقة الأمر. كما قامت قوات التحالف -وعلى مدى سبعة أسابيع متواصلة- بإسقاط ٢٩ مليون منشور على هيئة ١٤ شكلا مختلفا وصلت إلى ٩٨٪ من الجيش العراقي تقوم بعضها بتهديد الجيش العراقي، وتتوعده في حالة عدم الاستسلام، وبعضها الآخر تُذكِّر الجنود العراقيين بالأهل الذين ينتظرون عودتهم. كما كانت بين تلك المنشورات واحد على شكل "دينار عراقي" يسهل إخفاؤه داخل أية محفظة، وقد أكدت القوات الأمريكية أنه مَن يأتي إليها من العراقيين حاملا ذلك المنشور؛ فسوف يجد لديهم الملاذ الآمن.

ومن أطرف طرق إسقاط المنشورات "قنبلة المنشورات"، والتي يتم إسقاطها من إحدى الطائرات، ثم تنفجر القنبلة في الهواء بعد ابتعادها عن الطائرة قليلا؛ لتفتح الصندوق الداخلي المحتوي على المنشورات، والتي -بالتالي- تُنتشر على مسافات بعيدة.

ومن أجل بثّ برامجها الإذاعية، عادة ما تختار القوات الأمريكية إحدى الموجات القريبة جدا من موجة أخرى يتم البثّ عليها حتى إن المستمع حين يقوم بالبحث عن إذاعته المفضلة يجد نفسه، وقد وقع اختياره على البثّ الأمريكي خطأ، أو قد تختار

القوات الأمريكية إحدى الموجات المستخدمة بالفعل من قِبل إحدى المحطات المحلية؛ فتستخدم نفس هذه الموجة عند انتهاء الإرسال الخاص بتلك الإذاعة.

ولم تتوان الولايات المتحدة الأمريكية عن استخدام الحرب النفسية ضد الشعب الأمريكي نفسه؛ حيث إنه منذ الساعات الأولى التي أعقبت الهجوم الإرهابي ضد أهداف أمريكية، وأجواء الحرب مشتعلة، بالإضافة إلى خلق الحكومة الأمريكية جوًّا عاما من الوطنية الشديدة، والتي لم تكن قوية بين الشعب الأمريكي في السنين الأخيرة.

فمن بين أمثلة جوّ الرعب الذي أنشأته الحكومة الأمريكية من أجل دفع الشعب الأمريكي إلى قبول مبدأ "الحرب ضد الإرهاب" أن قام الرئيس الأمريكي بإلقاء كلمته الأولى للكونجرس الأمريكي بعد الهجوم الإرهابي، وأصوات المروحيات واضحة جليّة في الخلفية، كما أعلن عن عدم حضور نائب الرئيس "ديك تشيني" وإخفائه في مكان آمن تحسبا لأي ظرف من الظروف.

أما خطاب الرئيس بوش للشعب الأمريكي بعد بدء الحرب على أفغانستان ، فقد امتلأ بعبارات من شأنها بثّ الوطنية وروح التضامن حول القوات الأمريكية، وحربها من أجل السلام!!

وأنهى بوش خطابه قائلا: "إنه قد تسلم خطابا من طفلة في الرابعة الابتدائية تقول فيه: إنها -بالرغم من عدم رغبتها في أن يذهب أبوها للحرب- إلا أنها تقبل أن تسلّمه للرئيس الأمريكي من أجل ذلك".

ووصف الرئيس بوش تلك الطفلة بأنها مثل صادق لما يمثله الشعب الأمريكي، وكم هي ثمينة تلك الهدية التي أهدتها تلك الطفلة للشعب الأمريكي!!.

ويقول الباحث والمؤلف الكبير هايل عبد المولى طشطوش إن التاريخ قد أثبت أن الحرب النفسية الموجهة ضد الخصم تلعب أبرز الأدوار وأعظمها في تحقيق النصر، وبما أن كل طرف في المعركة ليس له غاية سوى تحقيق النصر، حينها يبقى العامل النفسي المتقن الإبداع هو العامل الرئيس في تحقيق هذه الغاية، والأمم التي تعيش ضمن

بؤر ساخنة ومتوترة وفي حالة حرب دائمة أو شبة دائمة تنفق مليارات الدولارات من أجل توظيف طاقاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتعبئة مواطنيها وتوظيف كامل قدراتها من أجل تحقيق النصر ولكنها أحيانا تغفل أن كل ذلك لا يجدي نفعا بعيدا عن توظيف العامل النفسي لخدمة الهدف الأسمى الذي هو النصر على الخصم.(١)

إن المتتبع لمسيرة التاريخ الحربي بين الشعوب منذ البدء يرى أن العامل النفسي كان له حضور بارز، وكان له دور في قلب قوانين المعركة وتحويل الدفة من صالح طرف إلى صالح طرف آخر، ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى فنون وقدرات وإمكانيات مادية ومعنوية في ذات الوقت، ومن المفيد هنا وقبل الدخول في تفاصيل العامل النفسي أن نعرج بشيء من التفصيل على تعريف الحرب النفسية وكل ما يتعلق بها من مفردات ومفاهيم ولعل التعريف الإجرائي التفصيلي هو ما سيخدم مجال دراستنا في هذا المقام.

وقد تصدى الباحثون والدارسون وعلماء النفس لتحديد معنى الحرب النفسية وتفصيلها وأبدعوا وابتدعوا مسميات مرادفة لها، حيث يسميها الانجليز (الحرب السياسية) كمصطلح مرادف للحرب النفسية، ويطلق عليها البعض الآخر تسميات مختلفة مثل : حرب الأفكار، حرب العقيدة والأيدولوجيا ، حرب الكلمة، حرب الأعصاب، حرب العقل..إلخ، لذلك فإن هذا الأمر يجعل من الصعب وضع تعريف محدد مانع جامع لهذا المصطلح وفي هذا السياق يرى بعض الباحثين أمثال (لاينا رجر) بأن الحرب النفسية هي : تطبيق بعض أجزاء علم النفس من أجل معاونة وخدمة أي مجهود يبذل في المجالات كافة الاقتصادية والسياسية والعسكرية...إلخ في المعركة بغية تحقيق الغاية والهدف المنشود ، والحرب النفسية لا تستخدم أسلحة مادية تطلق النار من خلالها ولكنها تستخدم الأفكار والعواطف والسلوكيات من أجل تحقيق هدفها، وإن هذا الاستخدام للأفكار والسلوكيات لا يكون عشوائيا بل منظما تنظيما دقيقا وقائما على أصول علمية .

ويمكننا أن نجتهد في تحديد معنى المفهوم بقولنا : إن الحرب النفسية هي عملية تسخير كافة الطاقات والقدرات والإمكانيات التي تملكها جهة ما للتأثير على الطرف

١-(العامل النفسي ودورة في خدمة المعركة – هايل عبد المولى طشطوش – موقع أدباء الشام) .

الآخر مستهدفة عقله وفكره وسلوكياته وقيمه ومبادئه بغية تحقيق الهدف بغض النظر عن مجاله (اقتصادي، سياسي، عسكري، فني، تقني الخ) والذي يخدم بالنهاية الهدف الأسمى والأعلى (الأمن الوطني - مثلا-) للجهة التي قامت بهذه العملية ..

وقد سبق أن قلنا إن الحرب النفسية لا تستخدم القذائف والرصاص لتحقيق هدفها، بل إنها تمتلك وسائل مغايرة لأن غايتها مغايرة، وبما أن هدفها هو الإنسان والسيكولوجية التي يتحرك في إطارها بل بالتحديد المعنوية التي يعيش فيها وتعيش فيه..!!، لذا فإن وسائلها هي كل ما يؤثر على السيكولوجيا البشرية، ولعل من أبرز وسائلها الإشاعة حيث تستخدم الحرب النفسية (الكلمة) كعنصر أساسي من عناصر تحقيق أهدافها، وقد أثبت التاريخ أن للكلمة وقعا على النفس البشرية أقوى من حد الحسام البتار، ولا أفضل من الكلمة لتحقيق وسيلة الإشاعة المفيدة والنافعة لخدمة الهدف المنشود، والإشاعة التي يمكن تعريفها بأنها بث الخبر مع الترويج له بكل الوسائل المتاحة المكتوبة والمسموعة والمرئية والمحسوسة..الخ بغية إقناع الآخرين به وتصديقه وخلق حالة نفسية سيئة لدى الخصم من خلاله فإنها تلعب دورا حاسما في التأثير على المعنويات وتحطيمها وبالتالي التقليل من قدرة العدو على تحقيق الانتصارات وشل كامل قدراته القتالية، وعلى الطرف الآخر رفع معنويات أفراد الطرف الذي قام بها سواء كانوا مدنيين أم عسكريين، وهنا يبرز التساؤل حول دور معنويات المدنيين وأثرها على تحقيق النصر وإنجاز الهدف، فلاشك أن لمعنويات السكان المدنيين وتعبئتهم النفسية الجيدة في حالة الحرب أثرا كبيرا في تحقيق النصر لأنهم يشكلون الرديف الذي يسند الجبهة الداخلية ويحافظ على مقدرات الدولة ومكتسبات الوطن من العبث والتخريب، بل إنهم يشكلون رافدا للقوات المسلحة يمدها بالمعنويات وبما قد تحتاجه من تجهيزات خاصة إذا كانت في حالة من الانتشار الكثيف وضمن الأحياء السكنية، وقد أثبت تاريخ الحروب أن لمعنويات وصمود السكان المدنيين دورا كبيرا في النجاح في تحقيق الهدف والغاية المنشودة، وهذه أحد نطاقات الحرب النفسية التي يمكننا أن نطلق عليها (الحرب النفسية التعزيزية).

وعلى الرغم من تقدم وسائل الإعلام يبقى العنصر الأهم لبث الإشاعة والترويج لها ونشرها هو (الرأي العام) أي الشعب ذاته الذي يجب أن يعد إعدادا ذهنيا مبنيا على أصول علمية لكي يعرف أصول التعامل مع الإشاعة من أجل منعها من تحقيق الهدف الذي أطلقت من أجلة .

تزداد الإشاعة أهمية في وقت الحرب وتصبح سهلة التصديق - بسبب الخوف والترقب والحذر وعدم معرفة المجهول- لذا يجب استخدام عدة وسائل لكي لا تكون الإشاعة إحدى أسباب خسارة وضياع الهدف الأسمى، **ومن أبرز هذه الطرق والوسائل هو :.**

- عدم ترديد الإشاعة .

- تكذيب الإشاعة .

- استخدام الإشاعة المضادة .

- البحث عن مصدر الإشاعة وتطويقه ومحاصرته .

- تحويل انتباه الرأي العام لما يعود عليه وعلى وطنه بالنفع والفائدة، وهنا يبرز الدور الكبير لوسائل الإعلام بأشكالها المختلفة .

يبقى القول إن الجمهور المثقف الواعي المتعلم لا يصغي كثيرا للإشاعات ولا يلقي لها بالا بل على العكس يوظفها بما يخدم وطنه وأمته، عندها يدرك الخصم بأن هذه الوسيلة لم تُجْدِ نفعا ولم تحقق غايتها .

وهناك أبضا الدعاية وهى أنها إحدى الوسائل الهامة للحرب النفسية، والتي يمكن تعريفها بشكل مبسط بأنها استخدام كافة وسائل الإعلام المتاحة بهدف التأثير العلمي المنظم على أفكار وعواطف الخصم من خلال استخدام المعلومات والأفكار والعواطف المضادة، من أجل تحقيق هذا الهدف، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الهدف قد لا يكون تكتيكيا عسكريا ؟ أي في ساحة المعركة - فقد يكون هدفا سياسيا أو اقتصاديا أو

اجتماعيا...... بعيد المدى وفي هذه الحالة تسمى الدعاية بـ (الدعاية الإستراتيجية)، وهنا يجب الانتباه إلى ضرورة صنع ما يسمى بـ (الدعاية التعزيزية) أو الدعاية التثبيتية) التي غايتها تثبيت معنويات السكان والمحافظة عليهم من الانهيار النفسي وبالتالي انهيار الجبهة الداخلية الرديفة مما ينعكس سلبا على القوات المقاتلة في الميدان، والمحافظة على الرأي العام لتكون اتجاهاته وأفكاره منسجمة مع ما يتخذ من قرارات من قبل القيادة، وهنا يبرز للسطح أمر آخر هو وحدة السكان وتلاحمهم لأنه بغير اتحاد السكان وانصهارهم وانسجام سلوكياتهم وأفكارهم وتطابقها بقدر كبير فإنه من الصعب ثبات المقاتلين على الجبهات، فالوحدة الوطنية بين أفراد الشعب وحفاظهم على مكتسبات دولتهم عامل قد لا يوازيه عامل آخر في الأهمية ..!!.

ومن أبرز ما تحققه الدعاية بأنواعها المختلفة هو زعزعة معنويات العدو وتشكيكه بقيادته وتخريب أفكاره وإقناعه بأن الهزيمة وشيكة لا محالة، وتفريق صفوفه من خلال بث بذور الخلاف والفرقة بين أفراده أنفسهم وبين الأفراد وحكومتهم وبين الدولة وحلفائها وأنصارها، إضافة إلى كسب الأفراد الذين يتم أسرهم وخطفهم إلى جانب الطرف الذي حصل عليهم ضد قواتهم من خلال العبث بعواطفهم وهذا ما ينقلنا إلى الوسيلة الثالثة من وسائل الحرب النفسية وهى غسيل الدماغ وقد سبق أن ذكرنا بأن الحرب النفسية هي حرب الدماغ وحرب العقل وحرب الفكر...والعبث بالدماغ هو صورة من أقدم صور الحرب النفسية التي عرفتها البشرية واستخدمتها للتأثير على معنويات الخصم وتحقيق النصر عليه، ويقصد بها :عملية تشكيل الفكر وصياغة محتوياته من خلال وسائل مختلفة بدنية أو نفسية - عاطفية - والخروج بشخص جديد يؤمن بما يريده الطرف الفاعل ويكفر بما كان يؤمن به سابقا من أفكار .

لم تعد عملية غسيل الدماغ تتطلب السيطرة على الشخص بشكل محسوس حيث لعبت وتلعب وسائل التكنولوجيا الحديثة دورها الفعال في هذا العمل، حيث أصبحت عملية غسل الدماغ تتم من خلال ما يبث على هذه الوسائل من معلومات وأفكار حولت اتجاهات الملايين من البشر وغيرت أفكارهم وطرائق تفكيرهم ، ولعل من أبرز هذه

الوسائل التكنولوجية الحديثة هو شبكه الإنترنت وما عليها من مواقع تبث وتروج لأفكار صناعها ومن يقف خلفها .

إن وسائل استخدام العامل النفسي كثيرة ومتعددة ومتنوعة فقد عرفتها البشرية من خلال التطبيق العلمي لها في ميدان المعركة ومن خلال الحروب الكثيرة التي شهدتها البشرية، والتي كان أبرزها ميادين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، حيث استخدمت ألمانيا-على سبيل المثال - العامل النفسي بإتقان وبكثرة في معاركها المختلفة وتفوقت في ذلك على غيرها من الدول، ومن ذلك أيضا هو استخدام الولايات المتحدة الأميركية لأكثر من (١٢٦٢) عالما نفسيا في معاركها في الحرب العالمية الثانية، واليوم تهتم الجيوش بموضوع العامل النفسي وتستحدث له الإدارات المختلفة التي تعنى بشؤون العقيدة والأفكار والمعنويات والطب النفسي والإرشاد النفسي والفكري والتوجيه العقيدى والمعنوي....الخ بغية إيجاد الدراسات والأبحاث العلمية التي تستخدم لتحقيق أهدافها وغاياتها .

وهنا يجب الإشارة إلى أن العامل النفسي ليس فقط مصمما للاستخدام بغية تحقيق أهداف عسكرية أو ميدانية بل إن الدول تستخدمه من أجل خدمة أغراضها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأحيانا الثقافية ولعل ما يحرك الدول في كل هذه السلوكيات هو مصلحتها بالدرجة الأولى وخاصة بعد أن أصبح الحاكم الرئيس للعلاقات الدولية هو (المصلحة) بالدرجة الأولى ليس إلا .

لقد شهدت البشرية في العقدين الأخيرين ثورة هائلة من التقنيات والاتصالات الحديثة التي جعلت من العالم قرية صغيرة وسهلت مهمة الاتصال بين أجزائه وقربت كل بعيد وجعلت كل ما خفي يظهر للعيان بوضوح وتجاوزت المحرمات ودخلت إلى كل مكان في هذه المعمورة فأصبحت متاحة في البيت والمدرسة والجامعة والعمل والسوق، والأهم من ذلك أنها أفرزت وسائل إعلام لم تكن معروفة في سابق العهود وجعلت منها الوسيلة الأقرب والأبرز والأشد تأثيرا على نفوس البشر، ومن أبرز هذه الوسائل هي شبكة الإنترنت التي وضعت العالم والعلم بكل تفاصيله على شاشة صغيرة محمولة في

جيب الإنسان يسهل عليه من خلالها رؤية ابعد الأماكن مسافة عنه، ووضعت بين يديه كل المعلومات التي كان من المستحيل عليه أن يحصل عليها، وهذا الواقع فرض على الدول والحكومات أن تسرع الخطى نحو هذا التقنيات وتسخيرها لخدمتها، وقد برز دور هذه التقنيات في استخدامها من قبل طرف للتأثير على الطرف الآخر بغية الحصول على منفعة أو الإضرار به بهدف تحقيق نصر ما سواء كان نصرا ماديا أو معنويا .

أما دورها في تحقيق النصر النفسي لطرف على طرف فهو دور بارز وفعال لأنها الأقرب إلى العقول والقلوب والنفوس لذا فان تأثيرها ساحر يجذب الألباب ويشد الأنظار ويشنف الآذان، ولعل كثيرا من الدول والجهات والمنظمات والتنظيمات سخرتها لصناعة الحرب النفسية وبث كل مضامين هذه الحرب مستخدمه إياها كأكبر وسيلة دعاية وإشاعة وغسيل دماغ بل استخدمتها من أجل تحقيق الصدمة النفسية للطرف الخصم، فهناك عشرات الآلاف من المواقع التي ليس لها غاية سوى التأثير النفسي من قبل طرف على طرف، وقد أثبتت هذه الوسيلة فاعليتها ونجاحها المنقطع النظير وخاصة أنها تجمع بين عناصر الإحساس المختلفة فهي مرئية ومسموعة بل وأحيانا محسوسة ومشاهدة على شكل بث حي ومباشر .

وتلعب الفضائيات دورا كبيرا كوسيلة هامة من وسائل الحرب النفسية لأسباب كثيرة أولها انتشارها الفائق، وتنوعها، وقربها إلى النفوس، وغزارة تدفق المعلومات من خلالها فهي لا تقل أهمية عن شبكة الإنترنت، وقد شاهدنا أمثلة حية كثيرة لاستخدام هذه الوسائل المبتكرة والمعاصرة والفائقة التقنية، فمنذ حرب الخليج الثانية مرورا بحرب الخليج الثالثة ثم إلى سقوط بغداد وما تلاها من أحداث قوية وهامة في العالم ليس فقط على الصعيد العسكري بل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي أيضا، كالأزمة المالية العالمية مثلا، والعامل النفسي في مثل هذه الظروف يلعب دورا كبيرا في التأثير على صناع القرار في العالم سواء السياسيين أو الاقتصاديين ليقوموا بصياغة القرار المناسب في الوقت المناسب وملاحظة تأثيراته على سكان المعمورة، وتبرز (الحرب النفسية الإلكترونية) بكل وضوح في الحرب الأخيرة التي شنتها إسرائيل على غزة حيث

تستخدم فيها كل التقنيات الحديثة من هواتف نقالة إلى فضائيات إلى إنترنت، حيث يشير المراقب الإعلامي في إذاعة إسرائيل إلى ذلك بقوله : إن الإنترنت وسيلة اتصال فاعلة ولها تأثير كبير خصوصا بين الشباب كون تقنيتها سهلة فأي شخص يستطيع أن يلتقط عبر هاتفه النقال صورا ويبثها ، وقد أثبتت الحروب الأخيرة بأن هناك جبهات غير تقليدية ومبتكرة للصراع يمكن فتحها والقتال من خلالها وهي الجبهة الالكترونية - الإنترنت- والفضائيات المفتوحة، وهذه ما يدور حاليا على مواقع الانترنت، إنها حقا حرب وحرب مضادة وحرب مضادة للمضادة وهكذا يستمر المشهد حيث يمارس كل طرف حربة ومعركته النفسية ضد الطرف الآخر بمهاجمة المواقع الخاصة بالطرف الآخر، ولعل من أبرز المواقع التي مورست وتمارس عليها الحرب النفسية المواقع الأكثر رواجا في العالم مثل(الفيس بوك) وموقع(اليوتيوب) ويقوم كل طرف بالانتقام من الطرف الآخر إلكترونيا حيث تم خلال العشرة الأيام الأولى من حرب إسرائيل على غزة مهاجمة أكثر من ١٠ آلاف صفحة الكترونية، بل إن أحد (الهاكرز) استطاع اختراق ٢٤٨٥ موقعا إلكترونيا، حقا إنها ميادين جديدة للحرب تفرض على الدول الاستعداد لها أكثر من الاستعداد لأي جانب آخر واستغلالها للنجاح في حربها النفسية ضد خصمها وتوظيفها أحسن توظيف .

ويخلص طرطوش إلى أن الحرب على غزة — التي مرت بها منطقتنا ولا تزال قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك بأن الدول ما زالت تخشى من العامل النفسي ودوره الفعال في المعركة رغم ما تمتلك من أسلحة متطورة وفتاكة، ومن أدلة ذلك هو قيام إسرائيل بالتعتيم الإعلامي الكامل وحجب المعلومات قطعيا عن وسائل الإعلام المختلفة عن خسائرها وأحوال المعركة ومجريات عملياتها عن الجمهور المحلي والإقليمي والعالمي - كما فعلت بحجب موقع (تيك ديبكا) الإلكتروني- والهدف لاشك معروف وهو الحفاظ على جبهتها العسكرية والمدنية من الانهيار .

إن التطورات التقنية كما أعطت طرفا ما إمكانات كبيرة للتأثير على خصمه فإنها كذلك أتاحت للطرف المتضرر القيام بعملية الحرب النفسية المضادة بل أيضا والمضادة

للمضادة وهو ما يفرض على الجهات الرسمية وغير الرسمية في كل بلد أن تحسن استغلال هذه التقنيات والوسائل بما يخدم أهدافها ومصالحها العليا من أجل الحفاظ على وطنها وشعبها لتبقى بعيدة عن كل ما قد يصيبها بضرر .

ومن هنا تبرز أهمية التعرف على أنواع الحرب النفسية و أهمها :

أولا : الحرب النفسية الاستراتيجية

تصمم لتحقيق أهداف عامة شاملة بعيدة المدى، و تتسق مع الخطط الإستراتيجية العامة للحرب، و هي تتميز بالشمول و الامتداد من حيث الزمان و المكان، و قد تستغرق وقتاً طويلا، عشرات السنين أو حتى مئات السنين، كما أن بُعدها المكاني قد يشمل المناطق المجاورة للهدف و أحياناً القارة كلها أو حتى الكرة الأرضية و ذلك حى يتحقق الهدف، ثم تستمر بعد النصر لكي يتم تثبيت دعائمه .[1]

وقد عرف الاستراتيجيون الحرب أيًّا كان نوعها بأنها: "فعل يقوم به فرد أو تقوم به جماعة بهدف إجبار الخصم على التسليم بما هو مطلوب منه" أو بالأحرى ما هو مفروض عليه، فهي صراع دموي بين إرادتين تبغي كل منهما التفوق على الأخرى بهدف حملها على التسليم.

وتتباين الحرب تبعاً لأهدافها أو لنتائجها أو لأدواتها، والحرب النفسية وفقاً لهذا التصنيف هي: "تلك الحرب التي تعتمد على أدوات التأثير النفسي لتحقيق نفس أهداف الحرب العامة"، وعرفها بعض العلماء بأنها:"الحرب التي لا تطلق فيها رصاصة ولا يراق فيها دم ولا يقتل فيها أحد، وأن أحسن صور الحرب هي التي تستطيع فيها دولة ما إضعاف موقف عدوها دون قتال".

وإذا كانت الحرؤب المادية تستهدف الماديات بما فيها أجساد البشر فإن الحرب النفسية تستهدف تعديل سلوك وأفكار البشر، وذلك وفقاً لما هو متوافر من قوانين عملية تتيح التحكم في السلوك وتعديل أنماطه.

١-(مفهوم وأهداف الحرب النفسية – الموسوعة الإعلامية – ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩) .

فإذا نظرنا إلى الحرب النفسية باعتبارها سلاحاً من أسلحة القتال -وهي كذلك بالفعل- فإننا نستوعب حقيقة أن العاملين في هذا السلاح يحتاجون - شأن غيرهم من المقاتلين- إلى توافر ما يشبه خطوط الإمداد والتموين، وتحديث معلوماتهم عن الجماعة التي ينتمون إليها، ومعلوماتهم عن العالم المحيط بهم من أصدقاء وأعداء على حد سواء، وكذلك تحديث معلوماتهم في مجال تخصصهم أي علم النفس بفروعه المختلفة، وإذا كانت المعلومات العسكرية تهتم بحجم القوات ونوعية تسليحها ومواقع انتشارها، فإن المعلومات النفسية تشمل كل ما يتعلق بالسلوك البشري الراهن والمتوقع للجماعات المستهدفة في الداخل والخارج، وتزداد أهمية تلك المعلومات كلما اقترب السلوك المرصود من مناطق التأثير على الروح المعنوية للخصم وللآخرين على حد سواء.

وأهم وسائل الحرب النفسية الدعاية السوداء ونشر الأخبار الكاذبة وحملات الشائعات المدبرة بهدف التأثير على الروح المعنوية للجيوش وتشكيكهم في مشروعية القتال وإضعاف حماسهم له، والمبالغة في تصوير قوة العدو وإمكانيات تسليحه، وممارسة عمليات الضغط النفسي التي تؤدي إلى زعزعة ثقة الشعب في زعمائه وقادته، فللضغط النفسي تأثيراته على كيمياء المخ التي تظهر في أشكال وجدانية مثل الضجر والعصبية الزائدة ومشاعر الخوف والرهبة، كما تظهر في أشكال جسمانية مثل الشعور بالغثيان وفقدان الشهية وخفقان القلب والشعور المستمر بالإرهاق.

وتستهدف الحرب النفسية الاستراتيجية :

- تثبيت خطط الدولة السياسية الخاصة بالحروب وشرح أهدافها وأغراضها.
- تأكيد العقوبات الاقتصادية التي تفرضها الدولة على العدو.
- خفض الروح المعنوية بين العدو وأفراده.
- بث روح الكراهية داخل دولة العدو وبخاصة العناصر المضطهدة.
- إطهار التأييد الأدبي للعناصر الصديقة في إقليم العدو.

- تقديم المعاونة اللازمة لعمليات الدعاية التكتيكية.
- الظروف التي تسهل نجاح الحرب النفسية الإستراتيجية:
- الهزائم العسكرية التي يعانيها العدو.
- النقص في الحاجات الأساسية ، و المعدات الحربية للعدو.
- التضخيم النقدي الخطير لدى العدو.
- التعب، و افتقار الثقة في القادة.
- نقص المواد الخام اللازمة لاقتصاديات العدو.
- مظالم الحكم و عدم العدالة في إدارة دولة العدو.

أما القيود على الحرب النفسية الاستراتيجية فهي :

- من الصعب تقدير نتائج عمليات هذه الحرب لأنها طويلة الأمد، و قد يتعذر لمس النتائج لعدم توفر المعلومات الكافية في معظم الظروف.
- قد تقابل هذه الإجراءات، إجراءات أخرى مضادة في أرض العدو ، إذ أن العدو قد يلجأ إلى فرض عقوبات على أفراده العسكريين أو المدنيين في حال استماعهم على وسائل إعلام الخصم. مثل اعتماد إسرائيل في حربها على العرب و خاصة الفلسطينيين الحرب النفسية الاستراتيجة التي ما زالت منذ عشرات السنين.

ثانيا : الحرب النفسية التكتيكية

هي حرب الصدام المباشر مع العدو والالتحام به وجهاً لوجه سواء بالحرب السياسية أو الاقتصادية أو المعنوية أو العسكرية.

ويستخدم في ذلك منشورات توزع بواسطة المدفعية والطيران ومكبرات الصوت والإذاعة اللاسلكية والصحف والكتيبات والمجلات التي تلقى من الطائرات.

أما أهداف الحرب النفسية التكتيكية فهى :

- تثبيط معنويات العدو و كفاءته القتالية.
- تسهيل احتلال مدن العدو عن طريق توزيع الإنذارات .
- معاونة الحرب النفسية الإستراتيجية بالحصول على معلومات أدق حول نقاط ضعف العدو .
- تقديم المعلومات و التوجيهات اللازمة للعناصر الصديقة التي تعمل داخل منطقة العدو .
- حث العدو على أن ينظر إلى أسباب الحرب بنفس النظرة التي ينظرها إلى أسباب حربه، و بذلك يضعف الحماس في قتاله .

أما بالنسبة للظروف المساعدة في نجاح الحرب التكتيكية :

- الهزائم المتكررة للعدو، و الخسائر الفادحة التي يُصاب بها.
- موقف العدو العسكري المزعزع.

ولكن ماذا عن أشكال الحرب النفسية قبل وبعد الحرب الباردة ؟ يجيب عن هذا السؤال الدكتور محمود شمال حسن في كتابه (مفهوم الحرب النفسية) وأهداف الحرب النفسية في عصر المعلومات وخطاب الأمس واليوم في الحرب النفسية". الصادر ضمن سلسلة آفاق التي تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة، في العراق، وفي حلقتها الرابعة والعشرين، صدرت قراءة جديدة في (الحرب النفسية الموجهة إلى المجتمع العربي)، للدكتور محمود شمال حسن.

وقد تناول المؤلف في مقدمة الكتاب بأن برامج الحرب النفسية التي كانت سائدة أيام الحرب الباردة تنطلق من منطلقات أيديولوجية الأطراف المتعادية.

فالمعسكر الاشتراكي ينطلق في برامجه على أساس تخطئة الفلسفة الرأسمالية وبيان عيوبها.

في حين ينطلق المعسكر الرأسمالي في برامجه الموجهة إلى خصمه على أساس الرفاهية الفردية وحرية الفرد في المجتمع وتخطئة الفلسفة الاشتراكية، وحشد الأدلة التي تشير إلى مساوئها على صعيد المجتمع.

كون الحرب النفسية إبان الصراع الأيديولوجي كانت تهدف إلى تشكيل الاتجاهات والتوجهات الآيديولوجية، لكن برامج الحرب النفسية تغيرت تماماً عند انتهاء الحرب الباردة، أي عند انهيار الكتلة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، وتفكك الاتحاد السوفياتي، ليدخل العالم برمته مرحلة جديدة.

ويشير المؤلف في معرض الحديث عن (مفهوم الحرب النفسية)، إلى أن المصطلح كانت بداياته في الميدان العسكري، إذ استخدم إبان الحرب، ووضعت له البرامج.

فالهدف من الحرب النفسية هو محاولة التأثير في الروح المعنوية لأفراد القوات المسلحة للخصم، ومن ثم إيصاله إلى حالة من اليأس والاستسلام، حسب الفهم العسكري للحرب النفسية.

لكن الخطاب في ما بعد لم يعد موجهاً إلى القوات المسلحة فقط، بل أخذ يتوجه إلى عموم المجتمع بهدف إشاعة حالة من اليأس والقلق بين صفوف الأفراد، ومن ثم إشاعة التذمر والاستياء، بعد أن أدرك مخططو الحرب النفسية أهمية ما تسمى بـ «الجبهة الداخلية»، التي تعد امتداداً لجبهة القتال..

وهكذا امتدت الحرب النفسية إلى القطاع المدني بقصد التأثير في أفراده، إضافة إلى القطاع العسكري.

ثم أدخلت إلى التعريف أطرافا أخرى غير القطاع المدني، حيث شمل «الجماعات الصديقة والمحايدة» لتشكيل اتجاهاتها، بهدف ضمان تأييدها، أو في أقل تقدير ضمان حيادها، ليصبح تعريف الحرب النفسية بأنها (استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة دول للدعاية التي تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير في آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تدعم الأهداف المحددة). ومن هنا،

وحسب التعريف هذا، نجد أن الحرب النفسية موجهة إلى ثلاث جماعات، هي: الجماعة الصديقة بهدف ضمان تأييدها لأهداف الدولة المعلنة، والثانية الجماعة التي اتخذت موقفاً محايداً إزاء الصراع بقصد الحفاظ على حيادها وعدم تحولها إلى طرف معاد، وأما الثالثة فهي الجماعة المعادية التي تتركز أغلب برامج الحرب النفسية نحوها.

أما (أهداف الحرب النفسية في عصر المعلومات)، فيراها المؤلف أنها تركزت على مساوئ أيديولوجية لكل طرف، مصحوبة بمحاولات إثارة الهياج أو الاضطراب داخل المجتمع من خلال تحريض إحدى الفئات الاجتماعية على فئة أو فئات أخرى، ومحاولة نشر الفرقة والانقسام بين الجماعات التي يتألف منها المجتمع، فضلا عن العداء بين الأقليات والقوميات التي يتألف منها المجتمع.

ويجد المؤلف أن خطاب الحرب النفسية اليوم اختلف تماماً عن خطاب الأمس، نتيجة تغيُّر المجتمعات البشرية، التي تعرضت إلى تغييرات كبيرة في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الأمر الذي استوجب إعادة النظر في الخطاب الذي تنطوي عليه برامج الحرب النفسية.. فلقد استمرت الحرب النفسية بالتركيز على التباين الآيديولوجي ابتداء مما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى انهيار المعسكر الاشتراكي، وبذلك فإن انهيار المعسكر الاشتراكي وضع نهاية للأساليب المستخدمة في عهد الصراع الآيديولوجي أو الحرب الباردة.

إن عالم اليوم يشهد حرباً نفسية من نوع آخر أطلق عليها المفكر العربي (محمد عابد الجابري) اصطلاح (آيديولوجية الاختراق الثقافي)، وهذا الاختراق الثقافي للشعوب يتحقق بإشاعة جملة من الأساطير أو الأوهام كما يسميها الباحث الأميركي (روبرت شيللر) في كتابه (المتلاعبون بالعقول)، **وهذه الأوهام أو الأساطير هي:**

- أسطورة الفردية أو الاختيار الشخصي.

- أسطورة الحياد.

- أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة.

- أسطورة غياب الصراع الاجتماعي.

- أسطورة التعددية الإعلامية.

فالأسطورة الأولى مثلا ترى أن حقيقة وجود الفرد تكمن في فرديته، وأن كل ما عداه غريب عنه، أي لا ينتمي إليه، والهدف من إشاعة هذه الأسطورة أن ينشغل كل فرد بذاته بعيداً عن الجماعة التي ينتمي إليها. أما الأسطورة الثانية فهي تحاول الوصول بالفرد إلى حالة من التحلل من كل التزام وانتماء، إذ أن وجوده في هذا العالم هو وجود محايد، أي لا ينتمي لهذا الطرف أو ذاك. وتحاول الأسطورة الثالثة تكريس الفروق بين الأفراد وعدم مناقشتها بذريعة أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحياة التي نعيشها، لذا ينبغي قبولها والسكوت عن إثارتها، وهذه الأسطورة تخالف في واقع الأمر حقيقة أن السلوك البشري يتطور على الدوام بفعل عمليات التعلم الحادثة في الوسط الاجتماعي.

●●●

3

الفصل الثالث

الحـــرب النـــفســـيـــة
فى الحملات العسكرية

تُعدُّ الحرب النفسية أشدَّ خطورة على سير المعارك من الأسلحة الفتّاكة، والمعدّات القتالية المتنوعة، والتكنولوجيا الحربية المتطوّرة؛ ذلك لأنّها ترمي في محصّلة أهدافها إلى تجريد العدو من إرادته القتالية، وتسعى إلى تحطيم معنوياته، ودفعه نحو الانهزام ووقف القتال، والخضوع، و التراجع عن مساعيه أو بعضها.

ولا توجد حرب عسكرية دون حرب نفسية مرافقة ، بل إن الحروب النفسية هي حروب تقع قبل الفعل العسكري وتستمر بعد انتهاء المعارك العسكرية ذاتها. ومنذ عرفت البشرية فكرة العنف والقتل الجماعي لتحقيق أهداف معينة ، جرى استخدام الوسائل النفسية في التأثير على المقاتلين الخصوم لإخافتهم وزرع الرعب في قلوبهم وإفقادهم الإرادة على القتال سواء عبر استخدام الأصوات المخيفة أو من خلال استخدام حيوانات قوية مخيفة وغير معروفة للمقاتلين الخصوم ، خلال القتال.. إلخ.(1)

كما كان الجواسيس أو الطابور الخامس هم الأشد خطراً على الجيوش والمجتمعات إذ هم من كانوا يشيعون الرعب في النفوس قبل بدء المعارك. ومن بعد استخدمت الدول في الحروب النفسية كل المنجزات البشرية في مختلف العلوم الإنسانية (علم الاجتماع وعلم النفس.. الخ) في تلك الحروب ، بما جعل الحروب النفسية تتوسع في وسائلها وأنماطها وفي تأثيراتها ، وفي ذلك باتت الوسائل التكنولوجية في مجالات علوم الاتصال والإعلام هي الأشد تأثيراً وقدرة في مجالات تلك الحرب.

1-(الحرب النفسية: الصادقة والكاذبة- طلعت رميح – صحيفة الحقائق – 18 أغسطس 2007) .

وأهمية الحرب النفسية تأتي من أنها واحدة من أهم وسائل تحقيق النصر في الحروب ، حيث الحروب هدفها النهائي ليس قضاء أحد الجيشين المتقاتلين على الآخر وإبادته ، وإنما الأساس هو إفقاده الإرادة على القتال ووصول المجتمع والدولة والجيش المعادى إلى تصور بعدم القدرة على مَواجهة الآخر ، وبأن الآخر حتماً سينتصر ، بما يجعلهم يفقدون القدرة على المقاومة ويقررون الاستسلام.

وتعتمد الحرب النفسية في فكرتها المبسطة على تحويل الخوف الإنساني الطبيعي (الذي هو جزء من مكون النفس البشرية) إلى حالة جماعية ، وجعل الخوف هو المسيطر على القرار في مجتمع بأكمله وعلى جيش وقادته ، من خلال تعميق الشعور لدى المجتمع والدولة والجيش بضخامة قدرات الخصم وبأن لا سبيل إلا الانكسار أمامه لإنقاذ الحياة.

وتتحقق الظروف النموذجية لنجاح الحرب النفسية من قبل المعتدين والمحتلين ، حين يكون الجيش الغازي أو المعتدي ، قد حقق انتصارات سابقة حاسمة في أوقات قصيرة ، كما النماذج الأشد تأثيراً هي تلك التي يجري فيها الجمع بين الانتصارات والمذابح التي تستهدف المدنيين لإحداث الذعر في المجتمع ولإضعاف الجبهة الداخلية خلف الجنود ، بما يؤثر عليهم في جبهات القتال ، سواء من زاوية القلق النفسي على أسرهم وممتلكاتهم أو من زاوية الشعور بقدرة العدو على الوصول إلى داخل الوطن ، بما يفقد الثقة في قيادة الدولة والجيش.

وفي نماذج الحرب النفسية وتأثيراتها ، فقد قامت الدعاية النازية على فكرة ومنظومة من الكذب المتراكم وفق نظرية اكذب اكذب حتى يصدقك الناس. والقصد هنا هو فكرتان ، الأولى ، هي استخدام الكذب وسيلة في الخداع والتأثير على نفسية الشعوب والمحاربين ، والثانية هي أن تكرار الفكرة أو المعلومة الكاذبة واستمرار ترديدها بوسائل متعددة ومن مصادر مختلفة ، يحولها إلى حقيقة في أذهان المتابعين أو المتلقين لها.

كما أن من نماذجها ، ما جرى بعد حرب عام ٦٧ ضد الشعوب والدول العربية ، حين جرى استغلال نتائج الحرب في تصوير الجيش الإسرائيلي بأنه الجيش الذي لا يقهر - مع التركيز على أن الأمر لا يعود إلى طبيعة السلاح الذي يمتلكه ولا بسبب أخطاء القيادات العربية - وهو ما تطلب قبل حرب أكتوبر مواجهة نفسية عميقة لإنهاء تلك الأسطورة ، سواء من خلال التشديد على أهمية ضرب المدمرة الإسرائيلية إيلات باعتبارها كاشفاً للقدرة على توجيه ضربات ناجحة أو من خلال التركيز في متابعة الأعمال المقاومة - تلك التي كانت تجري من منظمة سيناء العربية في الأراضي المصرية المحتلة - على أن كل قتال جرى وجهاً لوجه مع الجندي الصهيوني كان يهرب فيه أو يقتل وأنه فقط قوي بما يمتلكه من وسائل التكنولوجيا.

وكان أوضح نماذج الحرب النفسية حدة في المرحلة الأخيرة ، هو ما جرى منذ بداية التحضير للعدوان الأمريكي على العراق وحتى الآن. في تلك الحرب ، استخدمت الدعاية السوداء (حرب الشائعات) على أوسع نطاق ، كما استخدمت حالة القدرة الأمريكية التكنولوجية في تحقيق أهداف الخوف للمواطن والجندي العراقي ، وكذا استخدمت أشد أنواع التخويف "دهاء". في استخدام الدعاية السوداء فقد كانت شائعة هروب الرئيس العراقي صدام حسين في بداية الحرب واحدة من نماذجها لهز الثقة بين الجيش والشعب وقيادة الحرب.

وفي استخدام القدرة التكنولوجية لإحداث الخوف والهلع الإنساني ، كان اختيار مصطلح الصدمة والترويع جزءاً من تلك الحرب النفسية المعتمدة على التهويل في القدرات التكنولوجية .

كما كانت "عملية" الكشف عما جرى في سجن أبو غريب أحد أبرز وسائل الدهاء في الحرب النفسية ، إذ استهدفت العملية إرهاب المواطنين العراقيين نفسياً وردعهم عن الانخراط في المقاومة ، مع أقل الضرر للسمعة الأمريكية ، إذ جرى تخطيط العملية لكي تظهر مدى بشاعة التعذيب من ناحية ولتؤكد كيف أن الصحف الأمريكية تتمتع بحرية في كشف ممارسات الجيش الخاطئة ، ولتؤكد في النهاية أن الجيش الأمريكي ، لا يسمح

بوقوع تلك الجرائم ، وأنه فوراً يحقق فيها ويحاسب مرتكبيها . (تحقيقات وهمية بقصد التحقيق في حد ذاته) .

وقد توصّل الباحثون إلى أنّ الحروب التي تخوضها الجيوش هي في حقيقة الأمر نابعة من القدرات النفسية للمقاتلين، وتستمد جذوتها من إرادة القتال المستقرة في النفس؛ فليست الرصاصات تنطلق وحدها، ولا القذائف تنقذف بذاتها، ولا تُغير الطائرات بدون تحكم،

وإنما تحتاج إلى مقاتلين يستخدمونها في إطار مخططات يحدوها الأمل في تحقيق الأهداف المرسومة، ويمتلك منفذوها ما يشجعهم على الفعل.

وفي غزة تحديدا عندما دارت رحى الحرب وبالمثال يتضح المقال؛ إذ تظهر بعض معالم الحرب النفسية التي صنعها اليهود لإحباط المجاهدين والحطّ من عزائمهم وإيهامهم بأنهم غير قادرين على تحقيق الانتصار، وترويع المقاتلين وبثّ اليأس في نفوسهم ليوقفوا قتالهم ويتحولوا إلى أسلحة صامتة، وإلى جبهة ساكنة خانعة كما فعلوا بجنوب لبنان من قبل.

فمن أهداف الحرب النفسية اليهودية :

١) بث اليأس والرغبة في الاستسلام والكفّ عن الصراع في نفوس العدو، وذلك عن طريق:

- التهوين من إمكاناتهم وإقناعهم أن مصالحهم تتحقق بالاستسلام.
- التهويل من قوة وإمكانات الجهة القائمة بالحرب النفسية وإقناعهم بأن المواجهة معها تُعد عبثا وانتحاراً.

٢) تضخيم أخطاء قيادات العدو لزعزعة الثقة بينهم وبين مناصريهم والعاملين معهم، مما يؤدي إلى تفسخ العلاقات الرابطة بينهم وضعف الانضباط والتماسك.

٣) إضعاف الجبهة الداخلية للعدو وإحداث الثغرات فيها؛ وذلك من خلال:

- تشجيع الفئات والجماعات المناهضة لنظام الحكم على الانشقاق.
- تشكيك الجماهير في قدرة قيادتها السياسية.
- تشكيك الأفراد في قدرة القوات المسلحة.

٤) العمل على تفتيت الوحدة بين عامة الشعب والقوات المسلحة بحيث لا يثق أحدهما بالآخر.

٥) كسب العدو فكريا وبث روح اليأس من جدوى المقاومة.

٦) حشد و توجيه الحقد والكره على العدو وتجميع الجهود وتعبئة المشاعر ضد العدو.

٧) إقناع الشعب بأهمية المعركة للاحتفاظ بالمعنويات العالية.

٨) كسب صداقة القوى المحايدة وتثبيت فكرة حتمية النصر.

٩) تعزيز و تمكين الصداقة مع الشعوب الحليفة.

وقد بدأ اليهود حربهم النفسية على قطاع غزة وغيره من الأقاليم منذ سنوات طويلة واشتدت مؤخراً بعد وصول حركة «حماس» إلى الحكم عبر الاحتكام إلى الديمقراطية بطريقة الانتخابات، وكان القصف المتواصل والحصار المضروب على القطاع من أبرز إجراءات الحرب النفسية ضد أهالي قطاع غزة.

ومن الأهمية أن نستعيد الإجراءات المرافقة للحرب على قطاع غزة عام ٢٠٠٨.فقد اعتمدت عصابات اليهود على ضربة مفاجئة لنحو ٣٠ مقراً أمنيّاً تابعا لحكومة حماس في غزة في يوم السبت ٢٧ديسمبر ٢٠٠٨ استمدت نجاحها من غفلة القادة الأمنيين وركونهم إلى تطمينات الحكومة المصرية في أرض الكنانة بأنه لا نية لدى الصهاينة للاعتداء على غزة، وهذه الدماء التي سفكت بسبب الغفلة والركون يتحمل مسئوليتها القادة الأمنيون.

وعملت هذه الضربة الكبيرة المفاجئة على تمهيد الأذهان للتأثر بالأساليب الأخرى وأضعفت معنويات الناس بمقادير متفاوتة تعتمد في ضررها على مدى رباطة الجأش، وملكة التمييز بين مستويات القوة وفاعليتها، والقدرة على الصبر والاحتمال والاحتساب؛ وفي مثل هذه المواضع تبرز معاني العقيدة الراسخة والتوحيد الخالص لله عزّ وجلّ، ويجري التمحيص لما في القلوب ويبلو الله ما في الصدور.[1]

ولإرهاب الناس في قطاع غزة ميدان المعركة ،خرج على الناس ايهود أولمرت رئيس وزراء العدو و ايهود باراك وزير حربه، وتسيبي ليفني وزيرة خارجيته، في مؤتمر صحفي قالوا فيه كلاماً كثيراً من بينه أن الضربة الأولى هي مجرد بداية وأن العملية ستطول وتمتد وأنها مقدمة لاجتياح كبير.

واعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي ما تقوم به «إسرائيل» من جرائم ومذابح على أرض غزة عملية دفاعية ترمي إلى توفير الأمن للضعفاء اليهود المعتدَى عليهم، وأدانت الأعمال الجهادية التي يدفع بها المستضعفون في غزة عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم واعتبرتها مصدراً للتوتر وعدم الاستقرار في المنطقة.

أما محمود عبّاس فقد اعتبر سيطرة حماس على قطاع غزة مبرّراً كافيا لإجرام اليهود وإحراق القطاع وأدان كعادته إطلاق الصواريخ التي يرد بها المجاهدون العدوان وطالب بالتخلي عنها ودعا العالم إلى إرسال قوات تحتل قطاع غزة وتمنع المقاومة من أداء واجبها.

وهذا التوجه السياسي والإعلامي الذي اتجه به عبّاس اتهمه البعض بأنه يأتي ضمن إستراتيجية الحرب النفسية لعزل الناس عن " حماس " وداعماً لتصريحات قادة العدو التي تقول بأن الحرب لا تستهدف أهالي قطاع غزة وإنما هي موجهة إلى حركة حماس.

١-(- غزة تواجه حربا أخطر من العسكرية - أبو طه المقداد - مجلة قضايا جهادية - العدد الخامس)

وأفادت وزارة الإعلام-المكتب الإعلامي الحكومي في بيان لها يحذر من الحرب النفسية وحرب الإشاعات بأن الجواسيس والعملاء -الذين لم يستهدفوا بالقتل الواجب منذ سنوات طويلة- انتشروا ليزرعوا الخوف وينشروا الأكاذيب ويبثوا القلق في صفوف الناس، بتحذيرات من أن منازل ومؤسسات ومواقع سيتم قصفها لإثارة حالة من الإرباك ونسبوا ذلك إلى ما يسمى الصليب الأحمر الدولي غير أن الناطق باسمه في غزة إياد نصر أكد في تصريحات صحفية منشورة بأن الجيش الإسرائيلي لم يبلغهم بأية إشارات من هذا النوع وهم لم يتصلوا بأية منازل أو مؤسسات.

وقامت طائرات العدو بإلقاء منشورات من الجو تحمل تحذيرات لتخويف الناس وزعزعة ثقتهم بالمقاومين وقدرتهم على المواجهة، وتطالبهم بأن يدلوا عن أماكن تواجد المجاهدين إن أرادوا السلامة لأنفسهم وعائلاتهم.

وهذا نص أحد المنشورات ظهرت فيه صورة لمبان مدمرة:

" إلى سكان قطاع غزة.. تحملوا المسؤولية عن مصيركم!..إن مطلقي الصواريخ والعناصر الإرهابية يشكلون خطرا عليكم وعلى عائلتكم... إذا كنتم ترغبون في تقديم يد العون والمساعدة لأهاليكم وإخوانكم في القطاع، ما عليكم إلا الاتصال على الرقم أدناه لإطلاعنا على مواقع منصات الصواريخ والعصابات الإرهابية التي جعلت منكم رهينة لعملياتها ... منع وقوع الفاجعة أصبح بين يديكم ... لا تترددوا!.. سنرحب بجميع المعلومات المتوفرة لديكم- بدون الحاجة إلى ذكر تفاصيلكم الشخصية ... السرية مضمونة ... يمكنكم الاتصال على الرقم التالي: 02-XXXXXXX أو على العنوان التالي: XXX@gmail.com.. لتقديم أي معلومة لديكم عن نشاط العناصر الإرهابية... ملاحظة: صونا لأمنكم نرجو منكم المحافظة على السرية عند إقامة أي اتصال بنا... قيادة جيش الدفاع الإسرائيلي ".

ومن الواضح أن القائم بالحرب النفسية كان يحاول إيهام الناس بأن جيش العدو لا يريد قتلهم وأنهم إن تركوا قتاله فذلك من مصلحتهم كما أنه يريد أن يقنعهم بأنه

حريص على حياتهم وعلى أمنهم، وأن المجاهدين الذي يدفعون عنهم صولة الصائلين هم سبب الهجمة وأن الإرشاد عن أماكنهم يوفر للناس الحماية والهدوء، والملاحظة التي أوردها اليهودي الماكر تخاطب العاطفة بحيث توحي لهم بأن جيش العدو معني بألا يتعرضوا لمشاكل إن أدلوا بمعلومات.

والفعل الحربي على الأرض يسهم في أن يجعل هذه الرسائل والمنشورات ذات جدوى لدى ضعفاء النفوس من خلال الاعتماد على الجواسيس الذين يحددون أماكن إطلاق الصورايخ فتأتي الطائرات لتقصف المنازل المجاورة والأراضي الخالية التي انطلقت منها.

وبعد أيام ألقيت منشورات في أكثر من مكان تفيد كذبا بأن مناطق أخرى استجابت لنداءات الجيش الصهيوني وتدعوهم للقيام بمثل ذلك: « إلى سكان قطاع غزة .. نشر جيش الدفاع الإسرائيلي قبل عدة أيام مناشير في رفح حذر فيها السكان من عملية وشيكة وأوعز إليهم بإخلاء منازلهم صونا لسلامتهم ... إن انصياع سكان رفح لتوجيهات وتعليمات جيش الدفاع حال دون المساس بالسكان الذين ليس لهم ضلع في الاقتتال ... ستصعد قوات الجيش خلال الفترة القريبة من عملياتها الموجهة ضد الأنفاق ومخازن الوسائل القتالية والعناصر الإرهابية في كافة أرجاء القطاع ... من أجل سلامتكم وسلامة عائلتكم إنكم مطالبون بالامتناع عن التواجد بالقرب من العناصر الإرهابية ومخازن الوسائل القتالية ومواقع تتم منها عمليات إرهابية... يرجو جيش الدفاع الاستمرار على هذا النهج في الانصياع للتعليمات الموجهة إليكم عبر كافة الوسائل ... قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي ».

وبنمط مماثل من الرسائل الموجهة وجه العدو رسائل مسجلة إلى أرقام هواتف عشوائيا تهدد بتدمير البيوت التي تحتوي على أسلحة أو تأوي مسلحين لإرهاب الناس وزرع الخوف والإرباك في نفوسهم ودفعهم لتصرفات عشوائية مضرة.

وفي ذات سياق الحرب النفسية ذكرت تقارير صحفية أن جيش العدو الإسرائيلي أرسل رسائل " إس إم إس " قصيرة إلى هواتف محمولة تحذر الأهالي من مساعدة

المقاومة وتدعوهم إلى التصدي لمطلقي الصواريخ، وهذه عينة من تلك الرسائل: "معكم جيش الدفاع الإسرائيلي، عليكم إخلاء المنازل التي بها أسلحة وكل من يساعد الإرهابيين سيتعرض للقصف".

وشاهد المتابعون لقناة الأقصى الفضائية التابعة لحركة حماس، وقناة القدس اختراقات الصهاينة للبث الفضائي وتوجيه رسائل تخويف للناس وتهدد بالدمار والقتل، وتحاول التشكيك في قدرة المقاومة على صد العدوان، والطعن في قدرات قادة حماس وأعضاء حكومتها في غزة معتمدا على الصوت والصورة وموجهاً خطابه مباشرة إلى جماهير حماس وأهالي قطاع غزة بالتحديد.

كما اخترق الصهاينة الإذاعات المحلية الفلسطينية في قطاع غزة وقاموا بتوجيه رسائلهم التي تستهدف الحطّ من العزائم وتخويف الناس بحسب وزارة الإعلام التابعة لحماس: "يمارسون القرصنة على أثير الإذاعات المحلية ويوجهون رسائل رعب وتخويف للمواطنين".

واستغل القائم بالدعاية اليهودي دعوة بعض جهات العرب والمسلمين إلى الاتصال على أرقام بشكل عشوائي على أهالي قطاع غزة ودعم صمودهم وتثبيتهم ليتصل على أرقام هواتف عشوائيا ويسأل عن أحوال المقاومة والقدرة على المواجهة بهدف قياس مدى تأثر الناس بالحرب النفسية والدعاية الموجهة.

وعلى ما يبدو فإن استطلاعات الصهاينة واستكشافاتهم للأوضاع المعنوية لأهالي قطاع غزة أشارت إلى صبر وصمود في وجه الهجمة الصهيونية ومساندة للمجاهدين على الأرض، فأرادوا أن يرهبوا الناس بطريقة أخرى من خلال إهانة مقدسات المسلمين فقصفوا نحو ١٨ مسجدا بعضها أثناء أداء الصلوات المكتوبة، وأغارت الطائرات على مراكز الإيواء التي لجأ إليها الناس المدمرة منازلهم.

وهكذا الحروب فمهما كان حجمها وامتداداتها وأهدافها لكنها تشترك بهويّة واحدة كونها الهاوية التي تنفرط فيها توازنات العقل، وسيطرة جنون القوة.. في القرن الماضي اشتعلت حربان كونيتان كان لهما عنوان واضح هو قسمة الخارطة الجغرافية والسياسية في مواقع المصالح الاستراتيجية.

كانت الساحة واضحة وكتل الصراع الرئيسة والفرعية معلومة.. الجميع له أهداف ومن أجلها استحضر كل خصم إمكانيات الفوز على الخصم الآخر، وكانت هناك كتلٌ بشرية تحت عناوين سياسية في طور النمو من بينها الكتلة العربية، لم يكن لها أهداف خارج محيطها، بل كانت ميادين للنار و جسوراً ناقلة وخطوط إمدادات متعاكسة، احترقت أجسامها في اللهيب، ولم تخرج في النهاية حتى بضمادات لتلك الجروح، ولم تحفظ في ذاكرتها سوى وعود من صانعي الحروب تحوّلت إلى مشاريع لقسمة النفوذ وتوزيع الخرائط.

في حروب القرن الماضي كانت هناك استحضارات للإمكانيات البشرية والمادية.. قوّة السلاح وقوة المعنويات..كلاهما يتبادل الأدوار لتنفيذ صفحات المعارك بل كانت حرب المعنويات في أحيان كثيرة تتقدم على حرب الصواريخ والقنابل..فجبهة الحرب النفسية قادرة على إسقاط الجدران التي لا تصلها القنابل.

وكانت وسائلها الفنيّة تؤدي أهدافها بشكل مثير، لكن رموز الحروب وقادتها كانوا في المقدّمة يبعثون برسائلهم لشعوبهم وللخصوم.. الحرب الأولى للقرن الواحد والعشرين هي حرب الولايات المتحدة الأمريكية ضدَ ما تسميه (الإرهاب) اشتعلت شرارتها الأولى في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ من داخل ركام (برجي التجارة العالميين ومقر البنتاجون) .

وكانت أول معالم الحرب النفسية قد جاءت في البيان الأمريكي الأول (حرباً دفاعية) وطالب العالم بمساندتها ضدّ العدو الإرهاب وهو عدو حددت هويته بالانتماء العروبي والإسلامي من خلال قوائم الأسماء المعلنة والمتابعة الإجرائية منذ اليوم الأول للواقعة، وحدّدت موقعه الأوّل أفغانستان حيث الصفحة الأولى من العمليات العسكرية، وستليها مواقع أخرى غير معروفة في مقدمتها بلدان عربية.

وأمريكا ذات القوّة العسكرية والمادية الأولى في العالم القادرة على تحقيق أهداف كبيرة في أية بقعة في العالم من دون الحاجة لعون خارجي، وجدت ان جبهة الحرب

النفسية تتطلب استعدادات وإمكانيات هائلة لتجاوز الثغرات الكبيرة التي قد تترك قوة السلاح تتحرك لوحدها في الميدان.

وتولي الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش إبان وجوده بالسلطة قيادة الحرب النفسية بنفسه فيما يتولى أركان إدارته فعاليات الحرب العسكرية والدبلوماسية. وهذا الميدان الحيوي لحرب القرن الجديد ليس امتداداً لأنماط تقليدية، لكنه ليس خالياً من عناصرها الأساسية.

فركنا حرب المعنويات هما : الحشد النفسي، ومهاجمة الخصم.. وكان على الرئيس الأمريكي أن يتحوّل إلى قائد تعبئة من طراز لم تألفه الولايات المتحدة الأمريكية في تاريخها الحديث حيث تدور الحرب على أرضها وتمس شعبها مباشرة وليس جنودها المكلفين بواجباتهم خارج البلاد.. ولهذا وجد ان من أولى مسؤولياته استنهاض عناصر الإلهام الوطني الكامنة في نفوس أبناء الشعب الأمريكي للدفاع عن مكاسبهم الحضارية في الحرّية الأمن. ومن ثمّ محاولة نقل ميدان الحرب إلى خارج الحدود الأمريكية.

وقد تمّكن بوش من تحقيق هذا الهدف في اختياره ساحة أفغانستان لأهداف عديدة، من بينها تاكتيكية مباشرة تستهدف تنظيم القاعدة وزعيمه (بن لادن)، وأخرى استراتيجية تغذّي الطموح الكامن في ملفّات المؤسسات الاستراتيجية للوصول إلى مناطق قلب آسيا.

وقد تعرّض الخطاب السياسي والإعلامي الأمريكي لحالة إرباك في مقدّماته الأولى، وذلك لعدم توقع مثل هذه الصدمة ضدّ السياسة الأمريكية، وما تحفظه ذاكرتها كان في الغالب خارج الأراضي الأمريكية كالحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام.

ولم يتوفق الرئيس الأمريكي في اللحظات الأولى للحملة التعبوية والإعلامية في تحقيق هدف الاستنهاض النفسي المطلوب حينما وصف حرب بلاده بالحرب الصليبية المقدّسة أي حرباً قومية، ممّا سبّب بعض التوترات النفسية التي أصابت الأقليات العرقية والاثنية التي تشكل جزءاً من الشعب الأمريكي (العرب والمسلمين) والتي يقارب عدد نفوسها الثمانية ملايين نسمة.

ووفرت حالة الإرباك هذه الفرصة أمام التيّارات العنصرّية والنزعات المعادية للعرب للنشاط الإعلامي مترافقة مع الإجراءات الأمنية للدفاع عن الأمن الداخلي. مما دفع الرئيس بوش إلى اتخاذ بعض المواقف لتدارك الخطأ وتصحيحه، مثل زيارته لأحد المساجد الإسلامية في واشنطن، وتصريحاته الداعية إلى تأييد إقامة دولة فلسطينية.

كان الهدف التعبوي هو بناء حشد واسع وراء القيادة الأمريكية في حملتها الحالية، من دون الاستغراق في عرض عدالة القضية التي تحارب من أجلها أمريكا، بل حرصت على استخدام لغة جازمة في انضمام المجموعة الدولية لمعسكرها (من ليس معنا فهو مع الإرهاب) وقد أدى هذا الشعار التعبوي إلى تحويل العالم إلى صف واحد خلف الخطّة الأمريكية .

وكانت حالة القبول العالمي تتوزع بين تعبير عن شراكة دائمة مع الخطط والسياسات الأمريكية مثلما جاء في الموقف الأوروبي، أوعن فرصة تاريخية لمواجهة الإرهاب خصوصاً إرهاب الدولة الإسرائيلية، والإرهاب الناشئ عن عنف التطرّف الديني لدي الكتلتين العربية والإسلامية.

وظلّ هدف تمتين الجبهة الأمريكية الداخلية في تحقيق الرّد النفسي الانتقامي لواقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) وإشاعة الأمن العام من أولويات الحملة التعبوية التي حرص الرئيس بوش على إنجاحها، ولكن الوقائع تشير إلى صعوبات ميدانية اعترضت هذا الهدف الحيوي، سواء في متابعة تنظيم القاعدة وزعيمه (أسامة بن لادن) التي قد تأخذ وقتاً غير قليل، أو ظهور حالات مرض الجمرة الخبيثة (إنثراكس) وعلاقته بالحرب الجرثومية، كما أن بيان الحرب الأمريكي الذي لم يحدد زمنها ومواقعها قد جعل مهمات الحرب النفسية تواجه صعوبات عديدة.

كانت مهمات الحرب النفسية الأمريكية في جبهتيها الداخلية والخارجية تسعى إلى تحقيق أهداف مباشرة وأخرى بعيدة المدى.

وقد انشغلت القيادة الأمريكية في التعبئة الداخلية على تحويل ذهن المواطن الأمريكي من حالة طرح الأسئلة والاستفسارات حول مفردات الواقعة الدرامية في نيويورك

وواشنطن ومسبباتها، ولماذا استهداف أمريكا من دون غيرها من بلدان العالم الغربي، إلى مطاردة الهدف (العدو) الذي تم تحديد موقعه في أفغانستان وتسميته بعنواني (بن لادن وحركة طالبان) ومواصلة الحشد النفسي الداخلي في كسب تأييد الشعب الأمريكي لقرارات الرئيس وإدارته بدرجة عالية تتحمّل ما يمكن توقعه من احتمالات وقوع ضحايا بشرية في الجنود خلال المواجهات الحربية على ساحة أفغانستان أو غيرها.

ولأول مرّة منذ حرب فيتنام عمدت القيادة الأمريكية إلى فرض نوع من الرقابة العالية على الأخبار والمعلومات ومنع تسرّبها إلى المواطن الأمريكي، خصوصاً ما كانت تنقله بعض القنوات الفضائية العربية من مشاهد للضحايا البشرية من المدنيين داخل أفغانستان، وقيام البنتاغون بتوجيه المحطّات التلفازية الأمريكية العملاقة بضرورة التقيّد بتعليماته.

أما على الصعيد الخارجي، فكانت الحملة التعبوية الأمريكية تستهدف تحقيق هدف تقليدي هو (استفراد الخصم وعزله) وكان ذلك يتطلب جهداً كبيراً للموازنة ما بين الحفاظ على تحالف وولاء الدول العربية والإسلامية من جهة وما بين التركيبة المعقدّة التي نقلتها الرسالة الإعلامية لحركة طالبان وأسامة بن لادن في الدفاع عن الإسلام، وكذلك ما تركته تلك الحملة من إثارة لموجة العداء المستديم للولايات المتحدة من قبل أوساط واسعة من الرأي العام العربي، وفي مقدّمتها أوساط تيّار الإسلام السياسي، والقيادات السياسية والإعلامية الفلسطينية غير الرسمية، والأوساط الشعبية العربية والإسلامية.

كانت تلك المهمة شاقة، ووقعت في أحيان كثيرة في خانة الجنوح نحو تهميش العرب والمسلمين، وعدم الاهتمام بنداءاتهم، والسماح للمنابر الصهيونية والعنصرية لمواصلة حملتها الرخيصة في كبريات الصحف الأمريكية مثل (واشنطن بوست ونيويورك تايمز) مما جعل تحقيق هدف الاستفراد صعباً لحدّ اللحظة. على الرغم مما قدّمته وسائل الإعلام العربية الرسمية والأهلية خصوصاً في المهجر من جهد وعون كبير لتسهيل تحقيق هذا الهدف، من خلال كشف وتعرية الدعوات الإرهابية وممارستها وغربتها عن قيم الإسلام وتقاليده. واضطرت قيادة البنتاغون من أجل الوصول إلى المواطن

الأفغاني العادي باستخدامها الوسائل الميدانية لتحقيق هدف الاستفراد بالخصم من خلال قذف المنشورات ممزوجة مع أكياس الغذاء للجياع المنتشرين في الهضاب والسهول الأفغانية والتي ركزّت على عزلة قيادة طالبان عن هموم الناس وحاجاتهم، وغربة تنظيم القاعدة وزعيمه بن لادن عن بلدهم. وكانت مثل تلك الوسائل مؤثرة بسبب انعدام وسائل الاتصال والإعلام من قبل حركة طالبان.. لقد أنجزت الحملة العسكرية الأمريكية مهمة إزاحة حركة (طالبان) من العاصمة والمدن الأفغانية الرئيسية، في الثالث عشر من نوفمبر عام ٢٠٠١ وإعادتها إلى مواقعها القديمة كجماعة مطاردة في الجبال.

وكان لا بدّ للصفحة الجديدة من متطلبات تختلف من حيث التاكتيك عن الصفحة الأولى، وعلى الرغم من حرص القيادة الأمريكية على بقاء الزخم في مستواه، لكنها حاولت التقليل من زخم الانتصار العسكري، لأنها لم تحقق الهدف الذي تداوي فيه الجرح في الجسد الأمريكي، القبض على أسامة بن لادن وقيادة حركة طالبان. وهكذا فإن العنصر الرئيس في التعبئة لم يتغير ما بين السابع من أكتوبر وحتي الثاني عشر من نوفمبر ٢٠٠١ ، مما دعا القيادة السياسية الأمريكية إلى الإسراع في التمهيد لإسقاط العاصمة كابول، من دون الاكتراث لبعض دعوات جماعات المعارضة الافغانية بأن هذا الهدف قد تحقق خرقاً لاتفاق سياسي مع الفصائل الأخرى.

ومنذ الثالث عشر من نوفمبر تكثّف اهتمام وإيقاع الحرب النفسية نحو حركة طالبان وتنظيم القاعدة، وبعث الرسائل المتواصلة إلى الشعب الأمريكي أوّلاً وللعالم ثانياً التي تشير إلى قرب القبض على مجموعة القاعدة ورموزها أو قتلهم وتصفية نشاطهم إلى الأبد، وإن المسألة مسألة وقت لا غير.

●●●

4

الفصل الرابع

فن "التسميم السياسى"
ولعبة اسمها
"محو ذاكرة الشعوب"!!

الحرب النفسية
والطابور الخامس

من أخطر ما تستهدفه الحرب النفسية هى خلق طابور خامس وخفافيش ظلام بهدف خلق البلبلة في المجتمع الواحد وشق الصف الوطني ووضع العقبات إمام مسيرة البناء والتقدم الاجتماعي .

ومن أخطر ما يجري في الحرب النفسية هو ما يسمى بعملية " التسميم السياسي ومحو ذاكرة الشعوب " .

ويُعَبر مفهوم "التسميم السياسي" عن حملة شاملة تستخدم كل الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة أو الشعب المحدد؛ وذلك بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى محلها تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح وأهداف الطرف –أو الأطراف– الذي يقوم بعملية التسميم السياسي، وغالبًا ما تكون هذه العملية موجهة إلى أمة أو مجتمع أو سلطة أخرى عادة ما تكون معادية .

ويقول الدكتور حامد عبد الماجد أستاذ العلوم السياسية بجامعة لندن إنه قد أُطلق على هذا المفهوم العلمي مفاهيم إعلامية ودعائية تتقارب وتتشابه معه في بعض الجزئيات –دون أن تشمل جميع مقوماته وعملياته– من قبيل "حرب الأعصاب" و"حرب الدهاء" و"الحرب النفسية" و"غسيل المخ" و"محو الذاكرة" و"صناعة النخبة الموالية" و"الطابور الخامس" إلخ. [١]

١–التسميم السياسي ومحو الذاكرة– د.حامد عبد الماجد – شبكة هجر الثقافية – ١٦ أبريل ٢٠٠٠ .

وقد استخدم هذا المفهوم العلماء الفرنسيون - وبالذات خبراء الحرب النفسية -، ووظفه د.حامد ربيع (رحمه الله) في دراسته عن الحرب النفسية في المنطقة العربية، وتحليل نجاحات الدعاية الصهيونية ومنطقها، وحاول استخدامه في دراسة عن التطبيع مع الكيان الصهيوني وآثاره على الهوية واتجاهات الرأي العام في مصر.

ويتوجه "التسميم السياسي" إلى عقل الإنسان ونفسيته - وليس جسده - محاولة التأثير في ثوابته ومنهج تفكيره، ويُعَدُّ "التسميم السياسي" جزءًا لا يتجزأ من مفهوم الحرب الشاملة، وقد تتم ممارسته قبلها، وفي أثنائها، وفي أعقابها، وغالبًا لا يتم إدراك مدى نجاحه أو إخفاقه إلا بعد سنوات، ويُقاس ذلك — أي مدى النجاح والإخفاق- بحجم واتجاه "التغيير" الذي يُحِدثه في قطاعات النخبة السياسية، والنخبة المفكرة والمثقفة في البداية، ثم في جمهور الرأي العام المعين في بلد مًّا بعد ذلك.

ويمكن القول إن مقومات عملية التسميم السياسي تشمل:

١ - الاتجاه أو التوجه في خطابها الفكري والسياسي إلى العدو أو الخصم السياسي، وقد تتجه إلى الآخر بمعناه العام وفق تحديدها له.

٢ - الاختلاف عن الدعاية من حيث كونها لا تسعى إلى الإقناع أو الاقتناع، بل تستهدف القضاء على الخصم بمعنى شلِّ قدراته الفكرية والمعنوية.

أما من حيث غايات التسميم السياسي فيمكن تحديدها في:

١ - تحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية أو الدينية، أو بعدالة ومشروعية القضية التي يدافع عنها.

٢ - تحطيم التماسك النفسي والإدراكي والعقلي للخصم السياسي أو العقائدي أو الديني، وتمزيق مكونات شخصيته القومية والدينية.

٣ - استغلال النجاحات التي يصل إليها الطرف المهاجم والقائم بعملية التسميم السياسي كوسيلة لإضعاف ثقة الطرف الآخر بنفسه وعقيدته.

أما جوهر عملية التسميم السياسي فيمكن القول -انطلاقًا من تحديدنا لهذه العملية- بأنها تلك التي يُراد بها التأثير على العقول والأفئدة عن طريق التلاعب بعناصر التكوين المعنوي، الأمر الذي يمثل قمة التوجيه السياسي أو المعنوي للخصم.

وهي تشمل عمليتين متوازيتين هما :

الأولى : زرع أو غرس قيم معينة صحيحة في ذاتها، ثم دفعها تدريجيًّا في السلم التصاعدي لنظام القيم الفردي أو الجماعي، بحيث ترتفع إلى أعلاه؛ ومن ثم تفرض على القيم المطلقة أو العليا النزول إلى مراتب أقل أهمية.

ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً، فلنكن أمام ثوابت مجتمعة إزاء قضية محددة، ولتكن قضية مجتمع احتُلَّت أرضه، وبالتالي فإن مطلبه العادل هو تحرير أرضه، وهو يستند في ذلك إلى مبادئ مطلقة وثابتة وشرعية تتأسس على مبادئ العدل وحق مقاومة الاحتلال، وقدسية الأرض .. إلخ، وهو منطق ثابت لا يقبل المساومة أو التنازل.

تبدأ عملية التسميم السياسي عبر زرع قيم جديدة لدى طبقات في المجتمع المحكوم: الطبقة المثقفة والنخبة السياسية .... إلخ، تدور حول ضرورة الاعتراف بالآخر، وقبول التعايش معه في ظل منطق العصر، وضراوة ما يترتب على الحروب من مآسٍ، وأنها ليست حلاًّ لأي مشكلة، ومزايا السلام والتنمية .. إلخ.

هذه القيم الجديدة في حد ذاتها ليست شيئًا سيئًا، بل تُعَدُّ أمرًا مرغوبًا فيه، وتمثل في فترة معينة تطلعات المجتمع والإنسان المعاصر، ولكن المشكلة فيما سيأتي بعد.

في مرحلة تالية تتم عملية تضخيم لهذه القيم، وتصعيد تدريجي لها بوعي وعبر وسائل الإعلام والاتصال والتعليم والتنشئة بوجه خاص، وهكذا تتصاعد هذه القيم الجديدة شيئًا فشيئًا إلى أعلى قمة السلم الهرمي للقيم، وعندئذ تحدث عملية إحلال شعورية ولا شعورية، فإذا بهذه القيم الجديدة تحُلُّ محل القيم والثوابت القديمة كمحدد للمواقف، وإطار حاكم ومحوري للسياسات والممارسات المختلفة.

وهذه العملية تقود إلى التصادم بين النوعين من القيم، سواءً تم ذلك على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، فلنتصور مفكرًا أو موظفًا تصاعدت لديه قيم الشهورة والاستهلاك، والكسب السريع دون مجهود حقيقي على حساب قيم الأمانة، والعدل، والحق والشرف، .... إلخ، ماذا يفعل؟، سيكون على استعداد لأن يفعل أي شيء لتحقيق قيمه الجديدة : يسرق، ويرتشي، ويتنازل عن كرامته أو هويته...إلخ.

وعلى المستوى الجماعي فإن الأمة أو النخبة التي تخضع لمثل هذه العملية سوف ينتهي بها الأمر إلى أن تمسح ذاكرتها، وتتخلى عن حقوقها الأصلية، ومقدساتها في سبيل حل مشكلاتها الاقتصادية وتحقيق التنمية أو الرفاهية الاقتصادية .... أو حتى توهمها إمكانية تحقيق ذلك.

الثانية: عبر منطق الدعاية والتوجيه السياسي يتم تسريب أفكار وقيم معينة بحيث تؤدي إلى تصور معين للمواقف يختلف عن حقيقته الفعلية، مما يترتب عليه عند اكتشاف هذه الحقيقة نوع من الصدمة تؤدي إلى شلل نفسي، وبالتالي عدم القدرة على المواجهة لما توجده من تمزيق في الشخصية.

هذه العملية قد تكون مقدمة لمعركة فعلية، تأتي بعدها عملية الهجوم القتالي ليتحقق الانتصار بأقل التكلفة، كما قد تكون لاحقة بحيث تكمل الانتصار بالقضاء المطلق على الخصم أو العدو، كوجود ذاتي ذي هوية حقيقية متميزة تجاهد في سبيل التمسك ببقائها الحضاري وليس مجرد الوجود الجسدي والعضوي.

وتتم ممارسة هذه العملية في إطار التسميم السياسي عبر آليتين أو أداتين متكاملتين:

أ- أداة التضليل الذي يقوم على التوظيف المخالف للواقع، والسيئ للقيم السياسية والدينية.

ب- أداة الترويض والتي تجعل تلك "القيم" والمواقف "الجديدة" ليست مستغرَبة، وإنما هي مطلوبة ومتسقة مع الإطار أو النظم القائمة بصرف النظر عن طبيعتها الواقعية.

وهكذا يعد التسميم السياسي إحدى العمليات أو المقدمات المنطقية التي تعاد من خلالها تشكيل الإطار الذي ينطلق منه الرأي العام في مجتمع معين، بحيث يتم تشكيل ذلك الرأي العام إزاء القضايا التي تواجهه بشكل يتناسب مع القيم الجديدة التي تم غرسها، أو تسريبها إلى عقله ووعيه الجماعي أو ذاكرة النخبة المثقفة والقائدة فيه.

وهكذا تعتبر الحرب النفسية من أخطر أنواع الحروب الموجهة ضد الإنسان،فهي تستهدف في الإنسان عقله وتفكيره وقلبه،لكي تحطم روحه المعنوية،وتقضي على إرادة المواجهة لديه وتقوده نحو الهزيمة والاستسلام.والحرب النفسية لا تستهدف فقط التأثير على السلوك الاجتماعي للفرد أو الجماعة،والعوامل المؤثرة في شخصيته فحسب،بل إنها تستهدف كسب الرأي العام العالمي أيضا،وذلك وفقا لقاعدة سيكولوجية مكملة للعمل العسكري والاقتصادي والسياسي،عبر استخدام أساليب دعائية نفسية ترمي إلى التأثير على كل سلوك الدول،وإحداث تغييرات في مواقفها وأيديولوجيتها.

كما تعتبر الحرب النفسية من أخطر الحروب التي تواجه الحركات الثورية والإصلاحية في كل زمان ومكان،فهي تحاول أن تصيب الأفكار والتعاليم الناهضة،وتحول بينها وبين الوصول إلى العقول،والرسوخ في القلب.

وهي تعمل على بذر بذور الفرقة والانقسام بين أبناء الشعب أو المجتمع الواحد،وتضع العقبات أمام مسيرة التقدم والتطور،وتعمل في الظلام،وتطعن من الخلف،كما تلجأ(الحرب النفسية)إلى تشويش الأفكار،وخلق الأقاويل والإشاعات المغرضة،ونشر الإرهاب،واتباع وسائل الترغيب والترهيب،مما يجعل هذه الحرب أشد خطورة من حرب المواجهة العسكرية في ميادين القتال.

وتختلف التأثيرات من مجتمع لآخر ولكن الأهداف والأساليب تتشابه دائماً فالحرب النفسية هي الحرب التي تستخدم فيها أساليب الدعاية والوسائل السيكولوجية والمعنوية الأخرى للتأثير في معنويات العدو واتجاهاته، لخلق حالة من الانشقاق والتذمر بين صفوفه، ويقصد بها المساعدة في كسب المعارك الحربية وإلحاق الهزيمة بالخصم.

وتوجه للعدو كما توجه للحلفاء والموالين والمحايدين والجنود والمدنيين، لرفع الحالة المعنوية للمقاتلين الوطنيين، وخفض الحالة المعنوية للأعداء.

ويستخدم في ذلك الدعاية، وبث حالة الحماس لدى أبناء المجتمع العسكريين والمدنيين للتمسك بقضيتهم وبحقوقهم التي يحاربون من أجلها، وبيان ضرورة كسب الحرب، مع الاستعانة بإثارة المشاعر الوطنية والقيم الدينية والأخلاقية، ، والعودة للمفاخر التاريخية التي تزكي قيمة الدفاع عن العقيدة والمقدسات والعمل على حمايتها.

وهذا الأسلوب دوماً ما تستعمله حماس في مواجهة الاحتلال الإسرائلى ولكنها تفتقد لوجود تأثير معنوي على المجتمع الإسرائلى فهم عادة ما يقمون بهجمات شرسة قد تلحق الضرر بالمدنيين وهذا ما يضعف من موقفهم دوليا ويعطى التأييد الأكبر للجانب الإسرائلى هذا بخلاف ما تقوم به إسرائيل من حرب معنوية شاملة ومدروسة على الفلسطينيين فمروراً بالوقيعة بين الفصائل الفلسطينية ، والتنكيل بالمقاومة بكل شدة إلا أنهم يستطيعون أن يوجدوا المبرر المنطق أو الذي يستثيغه العقل وإن كان مغايراً للحقيقة .

وقد كان الاحتلال البريطاني في مصر يستعمل أساليب قمعية جمة أدت إلى تآكل الطبقة الدنيا واستكانة الطبقة الوسطي وانقسام الطبقة العليا بين موالٍ ومعارض .

فقد بلغ الحال بالمجتمع المصري من تخلف ورجعية أثناء الاحتلال البريطاني إلى تمسك المصريين بأمل فوز الألمان على بريطانيا من أجل إحلال الطمأنينة بالقلوب العالقة على أمال التخلص من الاحتلال.

ونجد أنه بعد نكسة ٦٧ نجحت إسرائيل على مدار ست سنوات من إخماد روح المقاومة ،وانعدام الأمل في غلبة إسرائيل وخاصة بعد ترويج إسرائيل لخديعتها الكبرى المسماة بخط بارليف الحصين الذي لا يقهر ، وقد أجادت إسرائيل في الدعاية لهذه الخديعة على مستوى العالم ، ولكنها سقطت فقط حين صدق الإسرائيليون أنفسهم هذه الأكذوبة واعتمدوا على أن الآخر أقل وأندر منهم ذكاء .

يمكن تعريف الحرب النفسية بأنها الاستعمال المخطط للدعاية ومختلف الأساليب النفسية للتأثير على آراء ومشاعر وسلوكيات العدو بطريقة تسهل الوصول للأهداف. والحرب النفسية متأصلة في جذور التاريخ الإنساني، ونجد أمثلة كثيرة لها في تاريخ الجنس البشري .

إننا في كل دقيقة تمر نكتشف أن أبعاد هذا الكون العقلية أكثر منها ظاهرية فالقوانين الظاهرية قد تصدق أحيانا وتبطل أخرى أما القوانين الداخلية فصحيحة دائما **ومن تلك القوانين التي لا مجال للشك بها أن شخصية الإنسان مبنية على:**

١ - جانب روحي معنوي .

٢ - جانب حسي مادي .

ونلاحظ أن الجانبين هامان لتكوين الماهية الإنسانية حتى يقال إنه "إنسان" فإذا فقد الروح وأصبح جسدا بلا روح فهو إنسان ميت لا إرادة و لا قيمة له في مجتمعه كأحمق ينطلق للهاوية إما إن كان روحا بلا جسد فهو كمن يريد أن يطير دون أجنحة ولذلك فإنه منذ الأزل ويحاول الإنسان معرفة نقطة ضعف صاحبه وبما أن عامة الفكر الإنساني كان ظاهريا غير متعمق فقد رأوا أن التعذيب الجسدي أشد وقعا وأثرا من أي شيء آخر ولذلك كانت أغلب الصراعات في العصور القديمة دموية عنيفة ولكننا لا ننكر أن النوع الآخر كان موجودا وإن كان له أثر أكبر من الأول إلا أنه لم يكن سائدا كالأول.

ومن أشهر الأمثلة التاريخية في الحرب النفسية هي فتوحات جنكيز خان،فالسائد أن جنكيز خان قد استخدم أعدادا هائلة من المقاتلين واجتاح بهم أغلب مناطق العالم، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن أراضي وسط آسيا لا يمكن أن تعيل أعدادا كبيرة من السكان في ذلك الوقت الذين بإمكانهم غلبة سكان المناطق المجاورة المكتظة بالسكان، فإمبراطورية المغول بنيت بإبداع عسكري ليس إلا، باستخدام قوات مدربة سريعة الحركة واستخدام العملاء والجواسيس مع الاستخدام الصحيح للدعاية، فقد أشاع المغول أن أعدادهم خرافية و أن طباعهم شرسة وقاسية بغرض إخافة أعدائهم وخفض معنوياتهم .

ومن الرجوع للتاريخ لا يمكنا معرفة من هو أول من عرف التعذيب النفسي ولكن يمكن القول أنه ظهر بصورة مشتتة لا يصلح أن نطلق عليها أنها طريقة سائدة من طرق الحروب البشرية ومثال لذلك غزوات التتار فنجد أنهم لم يقوموا بهذه الأمور الوحشية في البلاد التي استولوا عليها لمجرد القتل والسلب والنهب والحرق وخاصة أنهم ليست بينهم عداوة سابقة ولكنها رغبة في ترهيب باقي الأمم إذن إنها الحرب النفسية .

في الماضي كنا نعتقد أن تعذيب الانسان أقصى تعذيب هو تعذيبه جسديا بالقتل، أو قطع الأعضاء.. الخ لكن مؤخراً اكتشف أن هناك نوعا معروفا أشد من ذلك إنه التعذ ب النفسي الروحي حين يحس الانسان أن إرادته وقوته الداخلية محطمة وليس بها حو ، ولا قوة حينما يحس أن الضعف ينبع من داخله وليس للآخر أثر فيه بخلاف التعذيب الجسدي فإنه يشعر المرء بحقه الذي اغتصب منه ظلما فربما زاده ذلك قوة ودافعا أما التعذيب الداخلي فهو يصيب الانسان بالاستسلام الداخلي والخارجي.

وهذا يختلف أيضا عن الشعور بالنقص من أجل ظلم خارجي فإنه قد يقوده للأمام كالأعسر مثلا أما في الحرب النفسية فإنها تدفع المرء للركون للواقع المرير والاستسلام له دون محاولة تغييره وهذا هو ما يدفع الخصم إلى هذا الطريق من ألوان الحروب فهو أقل تكلفة من الناحية المادية.

هل تعد الحروب النفسية مظهرا من مظاهر التقدم الإنساني خاصة أنها تتخذ سياسة حقن الدماء وحفظ الأنفس من الضياع؟

بالطبع للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نذكر مجموعة من الحقائق: إن الحروب النفسية ما هي إلا تحطيم للكرامة الإنسانية حيث يصبح حيوانا بلا إرادة بلا تفكير بلا أحلام يتحكم فيه إنسان آخر حينما ينادى أن العالم يجب أن يكون مقسما وفقا لاعتبارات معينه مثل: عالم متقدم، عالم نامي ، دول عالم ثالث،دول الشرق ، دول الغرب..الخ

يجب أن نعلم أن كل هذه التقسيمات ما هي إلا جزء بسيط من الحرب النفسية عندما تكون النفس البشرية سيجارا بين أيدي القادة والسياسيين يحرقونها سرعةً وبطئا حسب ماتمليه أمزجتهم المتقلبة يمينا وشمالا عندما يفقد الإنسان إرادته وتفكيره يصبح جسدا بلا روح ولا يوجد أمامه سوى خيارين أحلاهما أمر من صاحبه:

١ - أن يستسلم.

٢ - أن يقاوم وذلك في هذه الحالة إن المقاومة ستكون جسديا أما معنويا وروحيا فهي مفقوده ونتيجتهما معلومة وهي الفشل فهو كسهم في اتجاه خاطئ.

وأيا كان فهو ما يريده العدو لا يمكن أن أرد على هذا السؤال إلا أن أقول إنك كما أنك قد تقتل انسانا برصاصة فقد تقتل روحة وجسده بكلمه **ولكن هل الحرب النفسية حرب شريفة كأي حرب نسمع عنها؟؟**

بالطبع ليست كذلك؛ الحرب النفسية هي إذلال للكرامة الانسانية هي تدمير للإرادة الداخلية للمجتمع عامة والفرد خاصة إننا لو نظرنا إلى نتائج الحروب المادية سنجدها نتائج محسوسة قد تؤدي إلى الاستقرار مع مرور الزمن ويمكن طي صفحاتها بكل سهولة أما الحروب النفسية فهي مجال آخر يقوم فيه الإنسان بإذلال كرامة أخيه الإنسان يجعله ميت الإرادة قليل الحيلة.

ومن المعروف أن الحرب السياسية والحرب النفسية الأميركية هي أداة تنفيذ للسياسة الخارجية الأميركية وعمودها الفقري ومما يقوله في هذا الصدد جيمس بلدوين نائب أدميرال البحرية الأميركية في كلمة تقديمه لكتاب بعنوان " الحرب السياسية ": " غالبا ما تعرف الحرب باستخدام الوسائط العسكرية بغرض تسريع النهايات السياسية وأن هناك وسائط تبدو أكثر مكرا هي الحرب النفسية السياسية التي تستخدم الصور والأفكار والخطابات والشعارات والدعاية والضغوط الاقتصادية والتقنيات الإعلامية وذلك من أجل التأثير على السياسية للخصم".

إن هذا التحليل لأهداف الحرب النفسية أصبح ممارَسا بوضوح اليوم. حيث نشهد ممارسات الحرب النفسية بكل زخمها منذ التسعينيات و التي بلغت ذروتها في الحملة العالمية التي تشنها الولايات المتحدة الأميركية ضد الإرهاب. وإسقاطات هذه الحملة المخيفة على أزمة العراق مع ما يلوح معها من نوايا التدخل الأميركي المستقبلي السافر في شؤون البلدان العربية. وما ينتظرها من خطورة مهددة لكيانات دول هذه المنطقة تحت شعار إعادة ترتيبها سياسيا واقتصاديا وغيرها من الشعارات الأميركية واليوم تشن حربا نفسية ضروسا على العالم العربي والإسلامي وحتى على شعبها الأميركي ذاته، وقد استثمرت أحداث ١١ سبتمبر لتطلق حربها المعدة سابقا والمحددة لسياسة إدارة بوش الخارجية خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي تركزت عليها أطماع بوش منذ أن صعد إلى سدة الرئاسة. وأن رفض هذه الإدارة لتعريف الإرهاب وتحويل ذاتها مرجعية تحدد تهمة الإرهاب لتطلقها على كل سلوك أو حدث أو دولة يعارض سياستها، هو غطاء يسهل تمرير سياسات الإدارة حتى أصبح الرد على الإرهاب عماد الحرب النفسية و أعطاها الزخم بحيث لا يقف في وجهها أي مانع أو عائق.

●●●

5

الفصل الخامس

غسيل دماغ البشر
"روبوتات حية"!!

في ليلة ١٣ يناير ١٩٥٢ أسقط الكوريون الشماليون طائرة أمريكية، وأسروا طياريها. وبعد أربعة أشهر من الأسر قدموا اعترافا مريعا أدهش الجميع: لقد أعلنوا أنه كانت من مهامهم نشر أمراض مثل الطاعون والتيفوس والكوليرا فوق أراضي كوريا الشمالية.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، إذ بعد بضعة أشهر قام الضابط الأمريكي فرانك شوابل، الذي كان أيضا أسيرا لدى الكوريين الشماليين، بتأكيد هذه الاتهامات. الادعاءات تقول إن الطياريين الأمريكيين قاموا بإسقاط البكتريا القاتلة من ارتفاعات مختلفة، فوق المدن الكبيرة والصغيرة، من أجل الوصول إلى أفضل الطرق لاستخدام الأسلحة البيولوجية. الهدف، حسب قول الضابط الأسير، كان تحييد نشاط المدنيين.

على خلفية هذه الاعترافات القادمة من هؤلاء الثلاثة والتي أكدها لاحقا، ٣٥ من الطيارين الأسرى الآخرين، قام المعسكر الشيوعي بتوجيه اتهامات إلى المعسكر الرأسمالي باستخدام أسلحة الإبادة الجماعية ونشر الأمراض. ضعف هذا الاتهام الوحيد كان في أن أمريكا لم تستخدم أبدا أسلحة بيولوجية من أي نوع في الحرب الكورية.

من خلال استخدام الإهانات والاستصغار والاستفزاز وإبقاء الأسرى في توتر وقلق والتحكم المنظم على سيل المعلومات يمكن التأثير على الانسان وكسره وإعادة تحضيره نفسيا وعقليا ليقوم بما يطلب منه، مهما كان نوعه. هذه العملية تُسمى " غسيل الدماغ". وهذا بالذات ماجرى على الأسرى الأمريكيين.

بعد هذه الحادثة استيقظ الغرب على أهمية دراسة هذه الظاهرة، لتصبح مادة للأبحاث الواسعة خلال بضعة عشرات من السنين.

الكاتب دومينيك ستريتفيلد قام بجمع المعلومات المختصة بهذا الشأن في مؤلفه "غسيل الدماغ : التاريخ السري للسيطرة على العقول " .. الكتاب يكشف كيف أن فكرة السيطرة على أدمغة البشر، وتحويلهم إلى روبوتات حية، بدون أي دلائل ظاهرية تكشف الأمر، كانت تدغدغ أحلام العديد من النخب الحاكمة على مدى ٥٠ عاما.

الشكل الكلاسيكي لغسل الدماغ استخدم لأول مرة في العصر الحديث بشكل جدي، من قبل الاتحاد السوفيتي، ٣٠ عاما قبل الحرب الكورية، وبالذات في العشرينيات من القرن الماضي. هذا الأمر بدأ عندما جاء فلاديمير ايليتش لينين إلى السلطة عام ١٩١٧، وظهر له على الفور أن من المستحيل إقناع جميع مواطني البلاد القيام بدعم الدولة السوفيتية.

من أجل إنجاح سيطرة الثورة على كافة أنحاء البلاد والمواطنين لابد من خلق طرق فعالة. لهذا السبب دعى لينين الفيزيولوجي الروسي الشهير إيفان بافلوف إلى الكريملين. بافلوف كان مشهورا بسبب تجاربه على ردود الأفعال الشرطية التي أجراها على الكلاب، حيث أعاد تصميم سلوكهم غير الواعي من خلال عدة أنواع من المحفزات. إضافة إلى ذلك قام بقياس مختلف نشاطات الأعضاء الداخلية، لدى الكلاب، في فترة تعرضهم للتأثيرات المختلفة.

وبأمر من لينين، كان على بافلوف يحاول تطبيق نتائج تجاربه عن ردود الأفعال الشرطية، على الإنسان. بالنسبة لبافلوف لم يكن هناك معضلة تمنعه من تطبيق الطريقة على الإنسان، إذ أن الإنسان من حيث المبدأ ينتمي لملكة الحيوان، مبرمج على نفس المبدأ: المتعة والألم، المكافأة والعقوبة، الجزرة والعصا.

بعد ثلاثة أشهر من العمل قدم بافلوف تقريره المؤلف من ٤٠٠ صفحة، حيث، وحسب تعبير لينين، سيكون قادرا على ضمان أنتصار الثورة الشيوعية العالمية، وكما يقال، فإن

هذا التقرير لم يغادر جدران الكريملين. النتائج العملية لتقرير بافلوف خرجت إلى العلن بشكل جدي في ثلاثينيات القرن الماضي، تحت رعاية ستالين.

ومن عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٨ قام جوزيف ستالين بإجراء مايعرف "عملية موسكو"، حيث جرت مجموعة محاكمات تصفية لمنافسيه من قادة الحزب الشيوعي. نعلم اليوم أن جميع التهم التي وجهت لهم كانت مفبركة، وأن اعترافهم جرى بفضل عملية غسل دماغ ناجحة. لقد قال إدوارد هولتزمان، أحد المتهمين:" نحن لسنا قتلة فقط، وإنما قتلة فاشيست".

متهم آخر، يطلب السماح له بإطلاق النار على رفاقه المتهمين، ومن بينهم زوجته، في حين ان البعض الآخر طالبوا القاضي بأن يحكم عليهم بأقصى العقوبات، وشكروا بحرارة عندما أعلن حكم الموت عليهم.

الاعتراف أثار دهشة العالم: لماذا اعترف هؤلاء الثوار، جرائم لم يرتكبوها؟ مالذي حدث بحيث جعل هؤلاء الناس يضحون بحياتهم وبقناعاتهم الفكرية؟

لم تكن هناك شواهد على أنهم تعرضوا إلى التعذيب الجسدي، وإذا كانوا قد تعرضوا للتعذيب، فلماذا لم يكشفوا الأمر أمام المحكمة العلنية، على الرغم من معرفتهم بأن سيحكم عليهم بالموت على كل الأحوال؟ هل يمكن أن المحققين السوفيت قاموا بالتأثير على المتهمين بالمخدرات والتنويم المغناطيسي؟

التفسيرات الاعتقادية كانت متعددة، ولكن لا أحد كان يعلم حقيقة مالذي حدث قبل المحكمة. فقط بعد عشر سنوات بدأ الغرب بدراسة هذه النماذج العديدة عن غسيل الدماغ الذي قدمها النظام السوفيتي. هذا الأمر بسبب تعدد الحالات بما فيه حالة الكاردينال الهنغاري جوزيف زنتلي.

الكاردينال الهنغاري كان رأس الكنيسة الهنغارية وأحد المرشحين لخلافة البابا بيوس الثاني عشر.

إضافة إلى ذلك كان من أشد المعارضين للنظام الشيوعي، وفي النتيجة وصل الأمر إلى أكثر مما تمكن الشيوعيون الهنغاريين (أو لربما الروس) من تحمله. في يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٨، عندما كان اندراش ذاكار، وهو سكرتير الكاردينال، في طريقه إلى البيت، اعترضته سيارة، وأجبرته على الوقوف، ليخرج منها ثلاثة أشخاص في ملابس غامقة، فيسحبوة من سيارته إلى سيارتهم ويختفوا.

بعد خمسة أسابيع ظهر السكرتير في مركز عمله وكان في غاية الاضطراب. خلفه كان يمشي عملاء الدائرة السرية، حيث قادهم ذاكار إلى مخبئ الأضابير السرية التي كانت مخفية في السرداب.

الموظفون في الكاتدرائية الهنغارية استغربوا سلوك السكرتير واضطرابه، كما لم يتمكنوا معرفة أسباب خيانته للبطريرك. بعد فترة قصيرة جاء دور الكاردينال نفسه. لقد جرى اعتقاله، ليظهر بعد خمسة أسابيع، في المحكمة، متغير تماما. كان يتأتأ في كلامه، يبلع ريقه على الدوام في تباطؤ، وهو يتكلم وعيونه نصف مغمضة بنغمة واحدة لاتتغير، وتوقف طويل بين الكلمات. الكلمات التي خرجت من فمه كانت أكثر رعبا من سلوكه. لقد اعترف بأنه يهيئ لانقلاب ضد الحكومة الشيوعية من خلال إشعال حرب عالمية ثالثة.

إضافة إلى ذلك اعترف بأنه سرق التاج الهنغاري بهدف تنصيب أوتوفون هابسبورغ قيصرا على أوروبا الشرقية. الكاردينال، المعروف بثقافته الواسعة وبتعليمه العالي، كان كلامه لايدل عليه. " لقد استولواعلى روحه، بطريقة من الطرق"، كتب أحد عملاء الجيش الأمريكي.

الغرب أصابه الحنق، وهو يرى كيف أن رفاق الحزب الواحد يشكرون جلاديهم على أحكام الأعدام، ومن ثم كيف أن بطريارك هنغاريا يعترف بخطة انقلابية مثيرة للسخرية. تسأل الغربيين: هل تمكن الاتحاد السوفيتي من تطوير طرق تتحكم بشخصية الإنسان وتحوله إلى روبوت؟ هل جرى تصدير هذا التكنيك إلى الدول الشرقية الأخرى، مثل كوريا الشمالية وأوروبا الشرقية؟

لم يمض وقت طويل قبل أن تحدث حادثة جديدة تقوي شكوك الأمريكيين والبريطانيين حول ماتمارسه الدولة السوفيتية.

هذه الحادثة هي الحرب الكورية أعوام ١٩٥٠-١٩٥٣. أن يقوم بعض الطيارين بالاضطرار للادعاء علنا أنهم استخدموا الأسلحة البيلوجية، هو شيء، في حين أن يقوم بعض الطيارين الآخرين من الذين أيضاًكانوا أسرى لدى الكوريين الشماليين، بالإعلان عن اعتناقهم الأيديولوجية الشيوعية عند عودتهم للوطن، هو شيء آخر.

بعضهم وصل به الأمر إلى الادعاء بأنهم كانوا جواسيس لدى الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي فإن أسرهم كان مبررا تماما.

إضافة إلى ذلك كانوا يصرون على الدوام أنه جرى معاملتهم بكل رأفة وبعناية ، في دفاعهم عن الكوريين. في ذات الوقت كان كل شيء يشير إلى اتجاه معاكس.

أولا، لايوجد مايدل على أنهم كانوا جواسيس لدى الولايات المتحدة، وثانيا، اعترف العديد من الأسرى الآخرين، من الذين كانوا معهم، أنهم تعرضوا للضرب، وجرى ربط أيديهم وأرجلهم، وكان يُمنع عنهم الطعام والشراب والنوم.

بمعنى آخر، لم تكن هناك رأفة وعناية ومعاملة حسنة. في النهاية جاء الدليل الأخير الذي يشير إلى أنه هناك شيء ما، غريب، يحدث للأسرى. في نهاية الحرب، رفض ٢١ أسيرا أمريكيا ، ٣ بلغار، وجندي بريطاني، بكل عزم العودة إلى الوطن، مما يشير إلى وجود عامل جدي.

ومنذ لحظة وصول الأخبار عن التغييرات التي تحدث للجنود الأمريكان، ابتدع الصحافي الأمريكي ايدوارد هونتر ، تعبير " غسل الدماغ". هذا الأمر جرى على صفحات جريدة ميامي اليومية، ٢٤ سبتمبر ١٩٥٠.

على خلفية حواراته في مقابلاته الصحفية مع الذين أصبحوا شيوعيين، بعد إعادة برمجتهم في الأسر عند الصينيين، ذكر هونتير أن الصينيين أنفسهم أطلقوا اسم "تشي ناو"، على طريقتهم، وتعني " تنظيف الأحاسيس". هونتير أعاد تسمية الأمر

بطريقة أكثر تعبيرية، "غسيل الدماغ"، وأصبح متابعا لهذه الظاهرة. يكتب هنتير واصفا هذه الظاهرة: "أن الهدف هو تبديل الأحاسيس والمشاعر بطريقة راديكالية، بحيث إن المرء المعني يصبح مجرد ألعوبة، روبوت إنساني، بدون أن يثير مظهره الخارجي أية شكوك عن ماحل بروحه".

وبدأت وكالة المخابرات الأمريكية " سي آي أيه " بدراسة هذه الظاهرة، وأنشأت لهذا الغرض وحدة خاصة عام ١٩٥٠، في سرية تامة. في البداية كان اسمها "بلو بيرد"، ثم جرى تغيير اسمها عام ١٩٥٣ إلى " مكولترا ".

كان الاعتقاد سائدا لدى " سي آي إيه " بأن الكوريين استخدموا موادا كيماوية في عملية غسيل الدماغ لدى الجنود الأمريكيين، وخلال بحثهم عن هذه المواد تجاوز الأمريكيون القواعد الإنسانية والأخلاقية. سي آي إيه قامت بتغذية أشخاص التجربة بميسكالين،، والتي تستخلص من صبار خاص، وفطر مما يستخدمه الهنود الحمر في طقوسهم، وحتى المادة الصناعية " أل سي دي " . إضافة إلى ذلك، فإن أشخاص التجربة لم يكن لديهم علم أنه تجري عليهم اختبارات. مثلا، مجموعة من السجناء كانت تعطى لهم جرعة يومية من مخدر أل سي دي ، وهي جرعة يجري زيادتها ببطء على مدى ٧٠ يوما.

في تجربة أخرى، أضاف موظفو " سي آي إيه " مادة أل سي دي ، إلى مشروب زبائن أحد المواخير، وبعد ذلك قاموا بمراقبة سلوك الزبون من خلال زجاج خاص، وحسب التقارير كان سلوكا مثيرا للدهشة. إضافة إلى ذلك، قامت هذه الوحدة السرية الخاصة بإجراء تجارب تنويم مغناطيسي، لعدة سنوات. خلال التنويم المغناطيسي كان يطلب من الشخص إجراء جريمة، وبعد ذلك إيقاظه، بدون أن يشعر المرء بما حصل. وأخيرا جرت بضعة تجارب بدائية تهدف إلى زرع ميكروتشيب. ولكن تمكنوا من إجراء عملية الزرع فعلا في قطة واحدة، وقد دهستها سيارة بعد ساعة واحدة.

وعام ١٩٧٣ جرى حل وإلغاء جميع هذه الدوائر التي تعمل بقضية غسل الدماغ. على الرغم من كل هذه التجارب، توصل الباحثون إلى استنتاج إلى أنه لايمكن غسل دماغ الإنسان لا بواسطة المخدرات ولا بواسطة التنويم المغناطيسي. في حين أصبح من الواضح أن الجنود الأمريكيين في الحرب الكورية جرى تحطيمهم تحطيما منظماً نفسيا وجسديا، ومن ثم إعادة برمجتهم، وهذه الطريقة البدائية برهنت عن فعالية كبيرة.

بمعنى آخر، أنه وعلى الرغم من اكتشاف عدم فاعلية المخدرات والتنويم المغناطيسي، كان من الممكن تحقيق غسيل دماغ الإنسان، بطرق أقل بدائية، وهو أمر مخيف. من الممكن تحطيم إرادة الإنسان وإعادة برمجته وفقط بواسطة العنف والإذلال والعزلة للوصول إلى الإخضاع.

الطريقة التي أظهرتها التجربة لغسل دماغ الضحية كانت في الخطوات التالية:

- تربط أيدي الضحية وأرجلها.
- يجري إجبارها على الجلوس أو الوقوف في وضعية محددة لعدة ساعات.
- يستخدم ضدها العنف الجسدي والنفسي، مثلا تحقيقات لا تنقطع.
- عدم إعطائها مايكفي من الطعام والنوم.

"**غسيل الدماغ**" هو استخدام أي طريقة للتحكم في فكر شخص واتجاهاته دون رغبة أو إرادة منه، ويسمى أيضا غسيل المخ أو لحس المخ (أو الدماغ) أو التفكيك النفسي.

غسيل المخ اصطلاح يتردد استعماله كثيرا في السنوات الأخيرة بالرغم من أنه يحدث منذ أقدم المجتمعات البشرية لغسيل المخ أو غسل الدماغ مرادفات علمية اخرى أدق تعبيرا .. منها: المذهبة وغرس العقائد والتحويل الفكري والإقناع الخفي.

وعملية غسيل المخ وإن كانت قديمة ، فإن أسسها العلمية لم تتضح إلا في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين حيث بدأت الخطوة الأولى على مخ الحيوانات في معمل العالم الروسي الشهير بافلوف (١٨٤٩-١٩٣٦)

بالنسبة للإنسان .. استندت عملية غسيل المخ على الحقيقة العلمية التي تقول إن الإنسان عندما يتعرض إلى ظروف قاهرة وصعبة تصبح خلايا مخه شبه مشلولة عن العمل والمقاومة .. بل قد تصبح عاجزة عن الاحتفاظ بما اختزنه من عادات .. لدرجة أن مقاومتها للأذى والتهديد الواقع عليها قد ينقلب إلى تقبل أشد واستسلام أسرع للإيحاء ولعادات جديدة أخرى وانعكاسات غريبة قد يتصادف حدوثها في تلك اللحظ :.

ومن العوامل التي تؤدي إلى غسيل المخ هي:

- الصدمات النفسية المفاجئة.
- التهديد المستمر.
- المواقف الشديدة المرعبة كالمعارك الدامية والكوارث.
- الإرهاق العصبي المستمر كالسهر المتواصل أو النوم المتقطع.
- الجوع والعطش الشديدان.
- الآلام الجسمية والنفسية الشديدة.
- بعض الأدوية.

هذه العوامل تحفز أو تخدر أو ترهق خلايا المخ وتوصلها إلى الحافة الحرجة بحيث يصعب عليها أن تحتفظ بما تعلمته وبالتالي يتم غسل المخ وغرس مايراد فيه .

أي أن عملية غسيل المخ تدل على :

تطهير وطرد لعادات وأفكار وميول اكتسبها عقل الإنسان في وقت مضى وإدخال أو غرس عادات وأفكار أخرى جديدة في ذلك العقل (المغسول).

وهي عملية تتسلط على العقل الذي أصبح نظيفا (ناصعا) ولقمة سائغة لحشوه بأية أفكار أو دعاية أو عقيدة .

وفي الحياة العامة أمثلة كثيرة لغسيل المخ منها مايتم بطريقة منظمة ومقصودة ومنها مايتم بشكل عفوي.

في الأزمنة القديمة .. كان الرجل البدائي يدخل حلبة الرقص ويصرخ ويرقص على دقات الطبول ويصل إلى قمة التهيج العصبي الذي يوصله إلى حافة (الغسيل) حيث يصبح أكثر تقبلا واستسلاما لتعاليم رئيس قبيلته أو الكاهن .. وهو نفس مانجده في أيامنا هذه في حلقات (الزار) في بعض المجتمعات العربية .

في قاعات المحاكم يتم غسيل المخ بصورة عفوية ... فقد ثبت أن بعض المتهمين وبالذات إذا كانوا من البسطاء أو محدودي الذكاء يصل إلى مرحلة شديدة من الإجهاد النفسي أثناء التحقيقات والاستجوابات تؤدي إلى غسل مخه وتقبله للاتهام واعترافه بالجريمة بالرغم من أنه بريء ويتم تنفيذ الحكم فيه .. ويذهب ضحية ذلك (الغسيل) أبرياء .

إعلانات الصحف والتليفزيون .. مثال مبسط لغسيل المخ وتحويل الأفكار .. صحيح أنها لاتستخدم العوامل السالف ذكرها لكنها بما فيها من إغراءات حسية ومعنوية متكررة تحفز وتؤثر على الجهاز العصبي للإنسان وعلى مشاعره وتنجح في كثير من الأحيان على تحويل ميوله أو تبديلها لمصلحة أصحاب الإعلانات .

غسيل المخ ... اصطلاح يتردد استعماله كثيرا في السنوات الأخيرة بالرغم من أنه يحدث منذ أقدم المجتمعات البشرية .. هو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها، ثم الإيمان بنقيضها، فتوغل القوى النفسية البيئية في الانفعالات الداخلية للفرد هي من أهم الحقائق المهمة في عملية غسيل المخ أو إعادة تشكيل تفكير الفرد أو مجموعة من ا لأفرا د.

ويرى البعض أن غسيل المخ أسلوب يدور حول "تحطيم الشخصية الفردية" بمعنى نقل الشخصية المتكاملة، أو ما في حكم المتكاملة إلى حد التمزق العنيف، بحيث يصير من الممكن التلاعب بها، للوصول إلى أداة طيعة في يد المهيج أو مثير الفتن " .

وتطلق كلمة غسيل المخ أيضا على أية محاولة تستخدم لتوجيه الفكر الإنساني ضد رغبة الفرد الحر، أو ضد إرادته أو عقله.

وتختلف عملية غسيل المخ عن عمليات التوجيه الديني والتعليمي والاجتماعي فعلماء الدين والمدرسون والأطباء النفسانيون، لا يعتبر عملهم غسيل مخ لأنهم يقومون بذلك لأهداف نبيلة، كما أن غسيل المخ يتم عن طريق التعذيب، وجعل الفرد لا قدرة له على التفكير.

فغسيل المخ لا يزيد عن كونه تلاعبا بالعواطف والانفعالات تحت ظروف معينة، تختلف من التعذيب بالوسائل المختلفة إلى التكريم ووسائل الراحة والاستقطاب، وجعل الفرد يدين نفسه ويعتقد أنه مذنب، وذلك لزرع أفكار جديدة، وجعله يكفر بعقيدته الأولى، وبالتالي يكره مجتمعه وأصدقاءه ويعتبرهم مذنبين، وبالتالي يحاول إصلاحهم، أو على الأقل يحاول اجتنابهم والبعد عنهم وعن عقائدهم التي أصبح يعتبرها فاسدة.

وتعتبر الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) من أشهر الحروب التي استعمل فيها غسيل الدماغ، حيث قد وقع الكثير من الجنود الأمريكيون في أسر الشيوعيين الصينيين، وقام هؤلاء الجنود بالاعتراف بأنهم اعتنقوا الشيوعية ولقد فسرت هذه الاعترافات بأنها كانت نتيجة وقوعهم تحت تأثير غسيل الدماغ، وتقول دائرة المعارف الأمرريكية (إن الفنيات التي استخدمت في غسيل الدماغ اختلفت من جماعة إلى أخرى ولكن الاتجاه الأساسي كان واحدا فقد كان التحكم في البيئة الاجتماعية والبدنية للضحية يتم لتدمير أي فكر معاد للشيوعية واستبداله بالإيمان بالفكر الشيوعي، أما الفنيات التي استخدمت ضد الأسرى فكانت:

حجب الأسرى بعيدا عن البيئة الحرة حتى لا يستطيعوا معرفة أي معلومات عما يحدث حولهم.

التعرض لضغوط جسدية مثل الحرمان من الطعام والنوم والتصفيد في أغلال كعقاب على عدم التعاون.

خلق المناخ الذي يظهر أن الحرية تعتمد فقط على الاتجاه الناجح نحو التغيير تجاه الأفكار التي يفرضها السجانون.

ضغوط نفسية واجتماعية مثل التعرض لفترات طويلة من الاستجوابات، واستخدام الإهانة والسب لإضعاف المقاومة.

ولقد أورد إدوارد هنتر في كتاب " غسيل الدماغ " رواية رجل أمريكي تعرض للأسر لدي الشيوعيين فقال ما يلي : (إن لعبة القط والفأر التي يلعبها الشيوعيون بعقل رجل ما وصفت بدقة بواسطة الكابتن (زاك دين) وهو من القوات الجوية الأمريكية، وكان قبل ذلك يعمل مهندسا للبترول في ولاية أوكلاهوما وعندما سألته عما حدث قال : إن الشيوعيين يضغطون عليك حتى نقطة الموت ثم ينقذونك ثم يعاودون الضغط عليك حتى ترى باب الموت، وعندما تكون على وشك دخوله فإنهم يشدوك بعيدا، ربما لا يصدق ما سأقصه عليك، ولكن بعد أن يكرروا ذلك الأسلوب عدة مرات فأنك تشعر بالعرفان لهم لإنقاذهم حياتك، وتنسى أنهم كانوا هم الأفراد الذين كانوا على وشك أن يقتلوك، وكل ما تحسه أنهم هم الذين أنقذوك وتكون مستعدا أن تفعل كل شيء يريدونه.

يفسر موضوع غسيل الدماغ أحد تطورات الفكر العالمي، وهو موضوع تواتر ذكره في النصف الثاني من القرن العشرين ونشرت حوله العديد من الدراسات والمؤلفات، ويعد من الأحداث الفكرية والاجتماعية والنفسية الخطيرة التي تهم الإنسان المعاصر.

ويعتبر المفكرون موضوع غسيل الدماغ وتحوير الاتجاهات أحد مواضيع الساعة، ذلك ان معركة الاستحواذ على الدماغ تدور في كل ميادين الحياة بصورة عامة سياسيا أو ثقافيا أو اجتماعيا، على مستوى الرأي العام أو على المستوى الفردي.

وإن كان مصطلح غسيل الدماغ قد برز لأول مرة في بداية النصف الثاني من القرن العشرين إلا انه أصبح الآن مصطلحا عاما شاملاً وبات يستخدم في مختلف ميادين الحياة وأنشطتها من سياسة، وحروب عسكرية ونفسية، وإعلام مرئي أو مقروء، وفي الفن والدعاية والتجارة والإعلان، وفي التربية والثقافة والاجتماع.

ويذكر الباحثون في هذا المجال ان اصطلاح (غسيل الدماغ) ظهر لأول مرة في العقد الأول من النصف الثاني للقرن العشرين للتدليل على كل محاولة للسيطرة على العقل البشري وتوجيهه إلى غايات مرسومة بعد تجريده من ذخيرته المعلوماتية السابقة وأفكاره ومبادئه.

وكان أول من ابتكر اصطلاح غسيل الدماغ وكما قلنا هو صحفي أمريكي يدعى إدوارد هنتر الذي ألف كتابا عن هذا الموضوع على أثر الحرب الكورية، فقد انتهت الحرب بعد الهدنة ورجع الأسرى الأمريكيون إلى أوطانهم، ولكنهم رجعوا يفكرون باتجاه آخر، مؤمنين بمبادئ أعدائهم متحمسين لهم ومبدين إعجابهم وامتنانهم من معاملة الكوريين لهم، وكانت تلك الظاهرة هي الأولى من نوعها في تاريخ الحروب البشرية، مما روع وزارة الدفاع الأمريكية، وأصبح هذا الموضوع مثار اهتمام ودراسة وتنقيب شديد من قبل المسؤولين الأمريكيين وأجهزة الإعلام.

وكان أن خرج الصحفي الأمريكي هنتر باصطلاح غسل المخ كوصف لهذه الظاهرة الفريدة، وقد اشتق هنتر اصطلاحه هذا من الاصطلاح الصيني (Hsi - nao) الذي يعني تنظيف المخ، وذلك بعد أن حصل هنتر على معلوماته من مخبرين صينيين على إثر انتهاء الحرب الكورية.

واقترن اصطلاح غسل الدماغ بالأساليب الكورية الصينية لتحوير أفكار الآخرين وتغيير اتجاهاتهم.

أما الصينيون أنفسهم فقد كانوا يطلقون مصطلح تقويم أو إعادة بناء الأفكار على محاولاتهم تلك واعتبروها برنامجاً تثقيفيا عاما.

وما لبث موضوع غسل الدماغ أن أصبح موضع اهتمام ودراسة وبحث من العلماء في كافة المجالات من الخبراء العسكريين والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وخبراء علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلماء الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء).

وأصبح هذا الاصطلاح عاما وشاملاً يشير إلى كل وسيلة تقنية مخططة ترمي إلى تحويل الفكر والسلوك البشري ضد إرادته وسابق تفكيره ومعلوماته، وغدا وفي يومنا هذا يحمل معاني أعم وأشمل وأكثر وضوحاً مثل التحوير الفكري أو المذهبة أو الإقناع الخفي.

وان كانت المعارك وما تشمله من الحروب النفسية والتحقيقات العسكرية وأساليب التعامل مع الأسرى وانتزاع الاعترافات بالطرق النفسية والفسيولوجية والاستعمار العسكري، ما هي إلا تطبيقات عسكرية لظاهرة المعركة العقلية وعمليات غسل الدماغ إلا أنه مما لا شك فيه أن التحوير الفكري ليس ظاهرة سياسية وتطبيقاً عسكريا فقط، بل إن لها ظواهر وتطبيقات أخرى في شتى مجالات الحياة.

وتستخدم الحرب النفسية للتأثير على شخصية الإنسان أدوات ووسائل كثيرة أهمها: غسيل الدماغ، والدعاية والإشاعة.ويقصد بعملية غسيل الدماغ(أي الحرب الدماغية)كل محاولة للسيطرة على العقل البشري،وتوجيهه لغايات مرسومة،بعد أن يجرد من ذخيرته ومعلوماته ومبادئه السابقة.

كما تعني هذه العملية أية محاولة لتوجيه الفكر أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد الحر أو ضد إرادته أو عقله،و يعتبر غسيل الدماغ"أسلوبا من أساليب التعامل النفسي يدور حول الشخصية الفردية،بمعنى نقل الشخصية المتكاملة إلى حد التمزق العنيف بحيث يصير من الممكن التلاعب بتلك الشخصية حتى تصبح أداة طيعة في أيدي المهيج أو خبير الفتن والقلاقل..".

ويمكن تعريف أسلوب"غسيل الدماغ"بأنه"إعادة تشكيل الفكر وعملية تغيير الاتجاهات النفسية،بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير،وإنه عملية إعادة تعليم،وهو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها..ثم الإيمان بنقيضها".كما أن أسلوب غسيل الدماغ هو"عملية إعادة البناء الفكري للإنسان من خلال تغيير شخصيته عن طريق أساليب فسيولوجية ونفسية".أما علاقة الحرب النفسية بعملية غسيل الدماغ،فإن غسيل الدماغ ما هو إلا وسيلة أو أداة للحرب النفسية وليست الحرب النفسية ذاتها،إذ أن غرض

الأخيرة هو إعادة تشكيل الفكر عند الإنسان المطلوب استخدامه لغايات سياسية أو غيرها،وهو لا يوافق عليها قبل خضوعه لهذه العملية.

ولا يخفى أن، الترهيب والتحقير المنظم الذي يتعرض له الإنسان يسلبه شخصيته،وأن التجويع ومواجهة الأخطار يمكن أن يجعل الإنسان عبداً لمضطهديه..وعندما ينتهي التعذيب،فإن البقايا البالية من شخصيته يمكن أن تكون في النهاية رجلاً شبيهاً بجلاديه..

وتختلف الأساليب المتبعة في عملية غسيل الدماغ للفرد باختلاف الفرد نفسه وشخصيته، وباختلاف الظروف وأهمية القضية،كما تختلف تبعاً لكفاءة الأشخاص الموكل إليهم هذا العمل.ولكن على الرغم من وجود بعض الفروق بين البلدان فيما يخص بعملية غسل الدماغ:

فإن هذه العملية تتم عن طريق استخدام إجراءات ووسائل كثيرة أهمها:

١ -عزل الفرد (المعني) اجتماعيا:

ويمثل ذلك في عزل أو قطع هذا الإنسان عن الحياة العامة من خلال الزج به في زنزانة انفرادية بعيداً عن كل معارفه،وعن كل مصادر المعلومات(الإذاعة، التفلزيون، الصحافة،الكتب..الخ)وصور الحياة الأخرى،حتى يشعر أنه أصبح وحيداً في هذا العالم،مما يجعله ينقاد لمحاكميه أو مستجوبيه،مسلوب الإرادة،وأكثر من هذا يتم التوقف عن مناداته باسمه..وتبدأ بمناداته برقم معين.

٢ -الضغط الجسدي:

مثل حرمان الإنسان من النوم والطعام والشراب،إلى تصفيده بالأغلال والسلاسل، واستغلال مؤثرات الجو والجوع والتعب والألم والأساليب الأخرى،واستخدام العقاقير المخدرة التي تضعف قدرته على التحكم بإرادته التامة،وأنه عرضة للإعدام..وتشكيكه في أصدقائه والجماعات التي ينتمي إليها، بحيث يكون عقله قابلاً لتقبل أي توجيه من المستجوب،ويصبح أكثر قابلية لتقبل الإيحاء،وأكثر استعداداً لتنفيذ تعليمات الذين يطلبون منه أن يسلك سلوكاً معيناً.

٣ - التهديد وأعمال العنف:

ويتمثل ذلك في ربط السجين بشدة إلى أسفل،بحيث لا يستطيع الحراك،ثم يوضع حجر ثقيل فوقه،ويترك هكذا لمدة طويلة،أو أن يوحى إليه عن طريق شخص آخر غير المحقق أن الذي لم يتعاون مع المحققين يتم إعدامه..أو أن يوضع عدد من الأسرى في زنزانة واحدة،وعندما يعود أحد الزملاء مخضباً بدمائه كقطعة من اللحم،أو أن تعاد ملابسه في لفافة صغيرة،يكون هذا كافياً للآخرين،كصورة من التهديد الغير مباشر.. أو أن يوضع الفرد في غرفة على شكل إناء كبير ثم يوثق بداخل الإناء بحيث لا يستطيع الحراك، ثم يصب الماء ببطء حتى يصل مستوى الماء إلى طرف أنفه..ثم تكرر هذه التجربة لفترات طويلة قد تصل إلى شهر أو أكثر.

٤ - السيطرة الكاملة على كيان الفرد:

ويعني ذلك التحكم الكامل في كيان الفرد ووجوده،والتحكم في كل تصرفاته حتى قضاء الحوائج الخاصة،تحكماً يغطي جميع ساعات يقظته ونومه،والهدف من وراء ذلك،وضع السجين تحت مضايقة سيكولوجية مستمرة لإفهامه أن سجانيه هم وحدهم القادرون على كل شيء.

٥ - الضياع والشك:

وفي هذه المرحلة يترك الفرد(السجين)فترة طويلة من الوقت دون توجيه أو تهمة محددة إليه،ثم تأكيد أنه يعلم تمام العلم طبيعة الجرائم التي ارتكبها،ثم يطلب إليه الاعتراف السريع،فهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه،لأنه يجهل الاتهامات ضده..ولا يستطيع أن يرجئ طلبات سجانيه.

٦ - التعذيب:

يتعرض الشخص لشتى أنواع التعذيب العقلي والبدني مثل:الإذلال والضغط،التحقير الشخصي ،الإنهاك الجسدي،حيث يبدأ الفرد المعني بالضعف بسبب ،تقليل الطعام له

بهدف ضمان الفقد السريع للوزن والقوة والتحمل إلى درجة أن المجهود الذهني يصبح عسيراً،ويزيد تقطع النوم من سرعة الإنهاك.

٧ - الاعتذار والإكرام للفرد:

ويأتي ذلك بعد الشدة اللين والهوادة،وإجراء المقابلات الشخصية ومحاولات الإقناع.

٨ - مرحلة الاعتراف النهائي:

وفيها يحدث تغيير في مفهوم الذات لدى السجين،ويتم محو الأفكار المراد محوها،ثم تقدم الأفكار الجديدة ويحمل الفرد،ويشجع على تعلم معايير سلوكية جديدة وأدوار اجتماعية جديدة،ويتم تحويل الفرد إلى شخص آخر جديد **وتشتمل طبيعة العمليات السيكولوجية المستخدمة عملية غسيل الدماغ على مايلي:**

أ-التقمص:حيث يتقمص الفرد عادة شخصية أبرز الأشخاص الذين يتولون استجوابه.

ب-هبوط المقدرة الفكرية:ويتم ذلك نتيجة الإجهاد الجسدي والنفسي.

ج-عدم إمكانية التلاؤم كنتيجة للعزل الطويل:فقليل من الناس هم الذين يستطيعون تحمل العزل الطويل دون المعاناة من نتائج فكرية وعاطفية خطيرة وسيئة،كما يسهم الارتباك اللاحق للعزل الطويل في عملية تليين السجين وتطويعه.

د-الإيحاء:ويلعب الإيحاء دوراً أساسيا في معاونة الأسير على تلوين اعترافاته وخصوصاً أنه لم يعد قادراً على التمييز بين أفعاله هو والأفعال التي أوحيت إليه عن طريق مستجوبيه.

هـ-التكرار:يكرر على السجين مرة بعد أخرى بأنه مذنب،بالإضافة إلى إخضاعه لعمليات تكرارية للمبادئ الماركسية فإن الأسير عادة يميل إلى درجة كبيرة من التقبل.

و-الشعور بالذنب

ز-تدمير الذات:حيث إن عملية الإذلال والتحقير التي يخضع لها السجين تؤدي به إلى التقليل من شأن نفسه،وتبدو هذه العملية أكثر تحطيماً للنفس،كلما كان للشخص أهمية أو جاه أو سلطة من قبل،وهو يقارن بين ضعفه وعجزه وسطوة وجبروت مستجوبيه،إن تحطيم الذات الذي ينتج عن ذلك،يؤثر بشكل خطير جدا على درجة مقاومة الفرد لعملية غسيل الدماغ.

ح -تناوب امتزاج الخوف والأمل:يحرص السجانون برغم القسوة والوحشية التي يعاملون بها السجين أن يظل الأخير يراوده الشعور بالأمل في حياة أفضل اذ هو أذعن لهم.

إن الحرب النفسية كأداة من أدوات السياسة والحرب أقدم عهداً من صليل السيوف، ودويّ المدافع؛ كما أنها لا تعرف حدوداً للزمان والمكان، ولاشك في أن الطبيعة المستترة لهذه الحرب تجعل هناك حاجة دائمة إلى التعرُّف على مستجدات أساليبها، ومستحدثات طرائقها، فغاية الضابط في كل وقت، وفي أي جيش هي كسب الحرب، والحرب النفسية هي إحدى الوسائل المؤثرة في ذلك إيجاباً وسلباً.

وعلى مستوى الرأي العام واتجاهات الجماعة فإننا كأمة عربية وبحكم كوننا جزءاً من هذا العالم، الذي تطورت فيه الاتصالات والتكنولوجيا بشكل مذهل، وشملت الثورة المعلوماتية الكون وحولته إلى قرية لا تعرف الحدود الجغرافية أو الثقافية أو العرقية وبالتالي فإننا كجزء من هذا الكون لا نسلم من معارك الفكر وتطبيقات عمليات غسل الدماغ الموجهة في كل بقاع العالم.

فالإقناع الصهيوني الخفي للمسؤولين الأمريكيين تجاه قضية فلسطين مثال حي على غسل الدماغ الحديث، والدعاية الصهيونية هي سلاح فعال تمارسه الصهيونية في شتى أنحاء العالم لتتغلغل في عقول الناس وتهيمن على الرأي العام العالمي، وهي تستخدم لذلك الفكر والمال والنفوذ والصحافة والإغراء والوعيد.

كما تستخدم الدعاية الصهيونية الحيل النفسية واجترار الماضي وتهويله لاستدرار عطف الرأي العام وإقناعه بأن صراعها مع العرب هو امتداد لصراعها مع النازية.

كما أن للصهيونية أساليب عديدة ومتناسقة في تغيير الاتجاهات منها الحرب النفسية والإعلام الموجه للأمة العربية، كذلك الإعلام المخطط لتضليل وكسب الرأي العام العالمي.

ومن أنواع التحوير الفكري والتمذهب هناك ما يسمى بالبعثات التبشيرية، التي ترتدي رداء الدين وتخدم الأطماع والمصالح الخاصة، فمثلاً البعثة التبشيرية في السنغال كانت توقع عقوداً مع عدد من الأسر السنغالية تقدم بموجبها تلك البعثات إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية من الأرز مثلا في كل شهر على أن يكون لها الحق باختيار طفل من أطفال الأسرة (دون الخامسة من العمر) لتربيته على حسابها، فترسله إلى مدرسة تبشيرية.

وينقطع الصبي عن أهله ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام تحصيله العالي، ويعاد بعدئذ إلى السنغال ليقوم بالوظائف والواجبات التي تعهد إليه مما يخدم مصلحة فرنسا طبعا في السنغال، أليس هذا مذهبة من نوع آخر وتحويراً فكريا طويل الأمد؟

والبروباجندا (الدعاية)، هي أيضاً اصطلاح لاتيني يدل على الأسلوب المخطط لنشر الفكرة وتعميمها، وقد أصبحت اليوم من أقوى وأوسع الأسلحة لتغيير الاتجاهات والآراء، فالدعاية اليوم هي عملية تأثير في الناس وليست مجرد عملية نشر وتوصيل، فمفهوم الدعاية أصبح يشمل الاستخدام المدروس المقصود للإيحاء والأساليب النفسية لتغيير وتسيير الآراء والأفكار والاتجاهات.

وقد تطورت وسائل الدعاية والإعلام من مجرد المنشورات والكتب إلى إذاعة وصحف وتلفزيون وأقمار صناعية وفضائيات ووكالات أنباء وإنترنت ومسرح وسينما.

وهذه الوسائل تتناول مواضيع بعرضها ومعالجتها يتم التأثير بها في عقليات المتلقين وتحوير اتجاهاتهم، ومن هذا المنطلق فإن هذه الوسائل الإعلامية التي تعتمد على سحر الكلمة، ما هي إلا أسلحة خطيرة في مجال التأثير الفكري والنفسي.

وحتى السحر والشعوذة وما يقوم به الدجالون الذين يتخذون السحر مهنة رابحة ويستغلون معاناة الناس وجهلهم للتأثير عليهم وابتزازهم فيوظفون الإثارة والإيحاء للتلاعب بعواطف وعقول العامة والبسطاء، كل هذا ما هو إلا نوع من أنواع التأثير على العقل.

ولو أخذنا الدعاية والإعلانات التجارية، لوجدناها في حقيقتها ممارسة خفية للإقناع الفكري ليقبل المستهلك على شراء البضاعة، وعالم اليوم هو عالم الدعاية التجارية بحق والتي تنفق عليها الأموال الطائلة، وهي في حقيقتها عمليات إقناع خفية تسلط على الدماغ، وقد استعان المنتجون بعلماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجي (علم الإنسان) يستشيرونهم في وسائل الإقناع والجذب والتأثير وتسيير الاتجاهات نحو عملية الشراء.

وهذه الحاجة إلى الاستثارة واجتذاب الزبائن، أظهرت للوجود مؤسسات جديدة في المجتمع هي وكالات الدعاية والإعلان، وكذلك ظهر نوع خاص من الدراسات يسمى دراسة الأعماق تعتمد على خبرة العلماء بمفاتيح الميول والرغبات التي يمكن تعديلها وتحويرها لتكون سلاحاً دعائيا فعالا.

وأصبحت دراسة الميول والاتجاهات والدوافع المسماة اختصاراً M.R. ضرورة لكل منتج ورجل دعاية.

وبسبب أفانين الدعاية والإعلان أصبح المنتج ورجل الصناعة يبيع (وعداً)، والمستهلك يشتري هذا (الوعد) وليس مجرد البضاعة!

فالمرأة مثلا تعتقد أنها تشتري الجمال مع الصابون أو الكريم، لأن المنتج أعلن أنه صابون أو كريم الجمال!

ولذلك يرى المختصون أن ميدان الدعاية والإعلان يجب أن يخضع للتقنين والإشراف والترشيد وأن يلتزم بأدبيات وأخلاقيات التحوير والإقناع، حتى لا يتحول إلى وسيلة استغلال نفسي ومادي.

وعلى العموم فإن تطبيقات عمليات غسل الدماغ وتحوير الفكر كثيرة ومتشعبة وشاملة لكل مناحي حياة الفرد والجماعة.

ويشير الدكتور فخري الدباغ، الذي أعد مجموعة من البحوث والدراسات في موضوع غسيل الدماغ، إلى أن ظاهرة الغسيل الدماغي أو التحويل الفكري هي ظاهرة عريقة وموغلة في القدم، وأن الإنسان وعلى مر العصور ما انفك يسعى لاستغلال أخيه الإنسان وينقب عن أمكر الوسائل ويستعين بآخر مبتكرات العلوم الحديثة للتأثير في أفكاره واتجاهاته والهيمنة على دماغه بشتى السبل.

وإن كانت محاولات الإنسان في القدم، لاستغلال أخيه الإنسان، هي محاولات بدائية وفطرية، إلا أنها اكتسبت اليوم من العلوم الحديثة آفاقا جديدة ومزيدا من الأسلوب العلمي والتقنية والتخطيط المتقن.

واليوم يندفع العالم الغربي المتقدم إلى إجراء المزيد من الأبحاث للتوصل إلى أسرار السيطرة على الدماغ.

ولكن ما هي الأسس النفسية والفسيولوجية للهيمنة على الفكر؟

ما هي آليات الإقناع؟ وما هي أسلحة معركة الاستئثار بالدماغ البشري على المستوى العام والفردي؟

ينبغي علينا كمجتمع وكأفراد أن نتعرف على أسلحة المعركة العقلية حتى لا نقع ضحية لها، ذلك أن للمعركة الدماغية آليات وفنوناً وتكنيكاً.

فيقول المختصون إن من يريد أن يؤثر فينا عليه أولاً أن يسبر أغوارنا ليكتشف المواضع الحساسة والضعيفة فينا، ليتلاعب بها أو يهاجمها وفق غاياته.

وسبر الأغوار هذا يتطلب معلومات وفيرة في علم النفس وعلم وظائف الأعضاء وعلوم الاجتماع وعلم الإنسان، فلم يعد التأثير في عقول الناس كما كان في المجتمعات القديمة البسيطة يعتمد على الوسائل الفطرية التجريبية العفوية، بل أصبحت له اليوم أساليب نفسية محكمة.

إن إدارة اتجاه إنسان تتطلب الاقتراب من مداخل شخصيته واستعداده وفك رموز تركيبته الخاصة، كما أن إدارة اتجاه مجتمع تتطلب إدراك محاور طبيعته وتراثه وقيمه السائدة ومفاهيمه وثقافته المحلية.

كذلك من العوامل النفسية والفسيولوجية، التي تخدم آلية التحفيز الدماغي وتحوير الأفكار والاتجاهات، عامل الشدائد النفسية والعاطفية.

كأن يمر الإنسان (أو المجتمع بصفة عامة) بفترة عصيبة أو حالة صدمة حادة أو أزمة أو كرب أو شدة تؤثر في فاعلية المخ.

ذلك أن الشدائد على أنواعها تجعل المخ قابلاً للالتقاط والإيحاء، ومن ثم الانعطاف إلى اتجاه آخر، فالعوامل النفسية تعرض الدماغ إلى اضطراب وانفعال وتوتر داخلي بحيث يصبح بعدئذ من اليسير زعزعة اتجاهاته وانطباعاته السابقة وإحلال أخرى محلها، باستغلال تلك الحالة الوقتية للدماغ والتي يكون فيها مفككا ومتهيئا لتقبل الإيحاء والاتجاه الجديد.

مثال ذلك مجتمع يعاني من ضغوط عسكرية واقتصادية بسبب استعمار أو احتلال، أو شخص يعاني من أزمة نفسية أو موت إنسان عزيز، كل هذه أمثلة على الشدائد التي قد يمر بها المجتمع أو الفرد، مما يجعله قابلا للتحوير الفكري والنفسي.

وتجدر الإشارة إلى أن غسيل الدماغ وتحوير الفكر لا يغير من صفات الشخص الأساسية، ولكن أفكاره واتجاهاته نحو الأشياء أو الأشخاص هي التي تتعرض للتغيير والتلاعب.

ويحدد المختصون والخبراء أسس السيطرة على الدماغ وتحوير الفكر والاتجاه كالتالي:

١- تغيير الإطار العام للاتجاه، أي تغيير المرجع والمنبع الذي يستقي منه الفرد اتجاهاته، ويشمل تغيير هذا الإطار تغيير الجماعة والمحيط العائلي والأصدقاء والمفاهيم السابقة.

٢- تغيير موضوع الاتجاه، أي تحويره حسب المطلوب، فيتم استبدال الاتجاه أو الشعور نحو شخص ما من شعور بالمحبة والارتياح إلى شعور بعدم الارتياح أو حتى الكراهية.

٣- استخدام وسائل التوجيه المدروسة والمخططة، بإعطاء جرعات متواصلة من المعلومات السلبية التي تقوم على التضليل والمغالطات واستغلال الأحداث وإبرازها وتضخيم ما يخدم الأغراض وعرض أجزاء مختارة من الحقائق والمقتطفات وطمس الأخرى حسب ما يخدم الهدف، حتى تتكون الصورة السلبية المطلوبة لتغيير الموقف العقلي والنفسي تجاه شخص مًّا.

٤- تغيير الأصدقاء والمقربين ومنع الاتصال بالأشخاص الذين يخشى منهم تغيير الأفكار الجديدة.

ما هي أدوات ووسائل التحوير الفكري والتأثير في الآخرين؟

- بالطبع تكون البداية بالالتفاف حول الفريسة، والتواجد الصارم المتواصل، والعزل المعنوي عن الآخرين للتمكن التام من تلك الفريسة.

ويرى الخبراء ان أهم أداة، كانت ولا تزال، هي (الكلمة).

وسحر الكلمة سبق كل سحر وفن، (إن من البيان لسحراً).

فتأثير الكلمة في الآخر يتم عن طريق الأساليب المتقنة من تكرار وإثارة عاطفية والتفنن في العرض ومحاولة الوصول إلى أعماق المتلقي.

بسحر الكلام استطاع الإنسان أن يقنع غيره، والقوة والقسر لا يؤديان مفعول الكلمة، ولذلك كانت سبل الكلام هي الوسائل النفسية التي تغاير مفعول القوة والإكراه.

- وبعد أن تنجح الخطوة الأولى في التحوير والإقناع والمذهبة، وتنغرس الفكرة أو الاتجاه الجديد في عقل الفرد، تكون المرحلة التالية أشد أهمية في تثبيت وتعزيز التحول،

فالاتجاهات الجديدة المغروسة تحتاج إلى الرعاية، وهو ما يسمى ب (مرحلة الرعاية الأولية)، وهكذا يكون التمريض الفكري والرعاية، الوجدانية جاهزة بعد كل تجربة إقناعية؛ لذلك فإن من يمارس التحوير والمذهبة تجده يحيط بالضحية ولا ينفك عن التأثير فيه بتكرار آرائه واتجاهاته لغرسها في عقله وترسيخها، لأن التكرار والإعادة والمثابرة والملاحقة والاستمرار والمواظبة من وسائل الولوج إلى العقل والسيطرة عليه، لأن ذلك يرفع من قابليته للايحاء ويهبط من قابليته للنقد الذاتي والمناقشة ويخفض حدة نباهته ويضعف ميزانه الداخلي ويفقده معالم شخصيته، مما يكون له مفعوله في تقبل الآراء والإيحاءات والمسايرة والرضوخ وعدم التبصر والوهن في الحكمة.

حقا كما يقول أحد المفكرين إن الشيء القبيح والمزري في كل عملية لتبديل الاتجاهات والسيطرة على الدماغ منذ غابر العصور وحتى الآن هو (الاستغلال الخبيث).

كاستغلال المستعمرين للشعوب واحتلال أراضيها، على المستوى العام.

واستغلال الإنسان الماكر الخبيث لأخيه الإنسان الغافل، على المستوى الفردي.

حسب ما رأينا فإن عملية غسل الدماغ والسيطرة على العقل وتحوير أفكار الآخرين، تحتاج إلى تخصص ومنهجية واحتراف وتمكن من الأسس والأدوات والوسائل الفنية بالإضافة إلى الاستعدادات والقدرات الشخصية (الكاريزم).

ومع ذلك، فإن من المفارقات أنك ربما تجد حولك إنساناً عادياً لا يملك كل هذه المؤهلات الفطرية أو المكتسبة، ومع ذلك استطاع (وعلى المستوى الفردي) أن يقوم بعملية سيطرة على دماغ وهيمنة على فكر ومشاعر وتحوير للاتجاهات والعواطف!

عملية غسل دماغ عشوائية وعلى الفطرة!

كل مؤهلاته وأدواته بدائية، لا تتعدى المكر والخبث والدهاء + التفاف حول الفريسة وحصار تام + إصرار ومتابعة متواصلة، وساعدته الظروف أن تكون الفريسة واقعة تحت شدة (كربة) نفسية! وبذلك خدمته طبيعة شخصيته والظروف المناسبة ليتمكن

من تحقيق غاية، اجتهد العلماء والمفكرون والباحثون والخبراء في دراستها وبحثها بالأساليب العلمية والتجريبية على مدى نصف قرن!

كن حذراً، واحمِ عقلك من الطامعين فيه!

وكما قلنا أن أصل هـذا المصطلح يعـود إلى الكلمة الصينيـة " هسي-ناو " والتي تعني عند الصينبين " إصلاح الفكر " أو " إعادة التشكيل الآيديولوجي " ، حيث تم استخدامهما ضمن برنامج " التثقيف السياسي " ، وقد عرفت المجتمعات المدنية والعسكرية ، هذا العمل ، منذ القدم إلا أنه يختلف عنها ، حاليا ، في الوسائل والأساليب التي تستخدم لتحقيق الأهداف المخطط لها . إلى أن قام الصحفي الأمريكي "إدوارد هنتر" بترجمة هذه الكلمة إلى مصطلح جديد هو " غسيل الدماغ " ، وقد أطلق عليه البعض " غسيل المخ " أو " المذّهبة " أو " إصلاح التفكير " أو " إعادة التشكيل الآيديولوجي " أو " إعادة التثقيف " ، ثم توصل بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦ م) ،عالم النفس الروسي ، من خلال تجاربه على السلوك الحيواني ، إلى نظرية " الفعل الشَّرّطي " والتي يقصد بها " أن الحيوان يستجيب للمؤثر السلوكي الذي يتعرض له " مستنتجا من تلك التجارب أنه "يمكن تغيير سلوك الكائن و دوافعه إذا تم تغيير البيئة المحيطة به " ، ومن هنا يمكن القول أن غسيل الدماغ ماهو إلا": "إعادة تشكيل الفكر والسلوك ، عند الفرد ، رغماً عن رغبته أو إرادته ". وقد قام البوليس السري القيصري باستخدام هذا الأسلوب في سجون الإصلاح وغيرها من المؤسسات التي أنشئت لإحداث التغيير في عقائد الأفراد وسلوكاتهم ، **واعتمدوا أسلوبين لتحقيق ذلك هما :-**

١ - **الاعتراف :** أي الحصول على أية معلومات تخص الفرد و طبيعة عمله وماضيه، مستخدمين شتى الوسائل الممكنة .

٢ - **إعادة التثقيف :** أي توجيه الفرد إلى عقيدة وسلوك معا " لما يؤمن به " أيضاً، بمختلف الأساليب ، كالتعذيب والإذلال .

أما بالنسبة لأسس غسيل الدماغ ، فتستند عملية غسيل الدماغ على مجموعة من الأمور يتم إتخاذها للوصول إلى الهدف الرئيسي وهي :-

- إجراء دراسات على شخصية الفرد المستهدف للكشف عن الجوانب النفسية والعاطفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والدينية ، من أجل الكشف عن المواضع الحساسة عنده ، والدخول من خلالها .

- التعرف على البيئة الاجتماعية التي تحيط به ؛ كالعائلة والأصدقاء والخ.. باعتبارها هي التي تشكل إطاره المرجعي ؛ ثقافةً وعقيدة وفكراً وسلوكاً.

- تحليل مالدى الفرد من تلك المعتقدات والأفكار وما لديه من تقاليد وطبائع وذكرياتٍ ومواقف .

أما مراحل غسيل الدماغ فهي :

١- **مرحلة التذويب :** ويقصد بها تفريغ مالدى الفرد المستهدف من أفكار ومعتقدات ، باستخدام وسائل وأساليب تصل به إلى حالة من الخوف والهلع ، وبالتالي وضعه في حالة من " التمزق النفسي "

٢- **مرحلة التغيير :** ويقصد بها تغذية الفرد المستهدف بالأفكار والمعلومات والاتجاهات ، من خلال الدروس الفردية والجماعية ، من اجل إعادة تشكيل فكره وسلوكه واتجاهاته .

٣- **مرحلة التثبيت :** ويقصد بها متابعة جميع الإجراءات الكفيلة بالمحافظة على مستوى التغيير الذي حصل عند الفرد المعني ومستوى تقبلـــه لهذا التغيير، وتتراوح المتابعة بين الترهيب والترغيب أو بين الثواب والعقاب ، ويجري ذلك في ضوء مدى التقدم الذي يحصل في مستوى تقبل الفرد للأفكار والسلوك والاتجاهات الجديدة أو مستوى رفضه لها وإصراره للعودة إلى مخزونه الماضي .

أما عن أساليب غسيل الدماغ فيمكن القول إن عملية غسيل الدماغ ليست عملية عشوائية ، بل هي عملية يتم التخطيط لها من ذوي التخصصات والخبرات في هذا المجال كالخبراء العسكريين والعلماء في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجي وعلم الفسيولوجيا ، إضافة إلى ما يتوفر لدى القائمين عليها من استعدادات وقدرات فردية . **وتتلخص أساليب غسيل الدماغ وكما قلنا بما يلي :**

- **العزل الجسدي :** ويعني عزل الفرد المستهدف ، بعيدا عن أي اتصالٍ مع عناصر البيئة الطبيعية والإنسانية أي وضعه في حبس انفرادي ينقطع عن الأصوات والحركة والشمس والهواء والأهل والأصدقاء والكتب ، حتى يصل إلى مرحلةٍ من الشعور بالوحدة والانعزالية والحرمان وفقدان الحس الإنساني .

- **الحرمان :** وهو حرمان الشخص المعني من أهم الحاجات الأساسية الإنسانية مثل : الأمن النفسي و الجوع والعطش والجنس والنوم ، فالإنسان تقل مقاومته ، إذا لم يتم إشباع حاجاته البيولوجية والنفسية.

- **التعذيب الجسدي :** إذ يتعرض المستهدفون إلى أشكال متنوعة من التعذيب كالضرب والعمل الشاق المتواصل والوقوف الطويل والربط بالسلاسل والجنازير.

- **التعذيب النفسي :** إذ يوضع الفرد في حالة من التهديد الدائم وتعريضه للمواقف المرعبة ، إضافة إلى تكرار الإهانات ، وتهديده بأفراد عائلته أو أي طريقة توصله إلى فقدان الشعور بالأمن وبالتالي إحساسه بالرغبة في التخلص مما هو فيه .

- **الصدمة الكهربائية :** تستخدم الصعقات الكهربائية في الجسد والرأس وبعض الأماكن الحساسة للوصول بالفرد إلى حالة من الرعب والقلق وبالتالي الاستسلام لرغبة أعدائه .

- **العقاقير والأدوية المهلوسة :** يتم اللجوء إلى إستخدامها لإيصال الفرد إلى حالة من الإدمان ، لا يستطيع بعدها الاستمرار في المقاومة فيلجأ لطلب هذه الأدوية أو العقاقير ولا تعطى له إلا بشروط ، فيستسلم لتلك الشروط . كاستخدام عقار الهلوسة الـ (LSD) .

- **استفزاز مشاعره :** عن طريق تزويده بالنشرات والصور والتقارير المفبركة عن أهله وأصدقائه وأعضاء حيه .

- **تكرار الضغوط :** يتم تكرار الضغوط الجسدية والنفسية عدة مرات، باستخدام الترهيب أحيانا والترغيب أحيانًا أخرى بما يتناسب وردة فعله.

وتهدف أساليب غسيل الدماغ الوصول بالإنسان المستهدف إلى درجةٍ يصبح معها فاقد الإحساس بالواقع ، مشوش التفكير ، شاعراً بالمهانة والإذلال ، ضعيفا في المقاومة والتحدي ، سهلاً للإذعان، مشلول الإرادة والتفكير، قابلا للإيحاء، متقبلاً لما قد يملى عليه ، مستعداً للاستجابة لتنفيذ مايطلب منه ، سهلاً للتلقين والإقناع ، جاهزا لإستنكار الماضي واستقبال الفكر والسلوك الجديد . أي أن الهدف النهائي هو " إنهاك القوى الجسدية والنفسية والعقلية "من أجل " الاستحواذ على المشاعر والفكر والسلوك والإتجاهات " .

ومن بين الأساليب المتبعة في مجال الحرب النفسية هي عملية غسيل الدماغ لأسرى الحروب والسجناء من أجل تغيير معتقداتهم وأفكارهم حتى إذا ما عاد الأسرى إلى بيوتهم فإنهم يعملون على نشر الروح الانهزامية التي وصلت إليها حالتهم من جراء ما تعرضوا له أثناء الأسر أو الحجز من تعذيب، أو على الأقل التأثر من خلال الدخول في حسابات بشكل من الأشكال ، وتتضح ملامح هذه الحرب بوضوح هذه الأيام في المعتقلات والسجون بأشكال منها الإهمال الصحي وانتشار الأمراض وقلة الطعام وسوء نوعيته وقلة كميته وكذلك في التنقلات الفجائية والتي تهدف إلى زعزعة الأمن النفسي عند السجناء والمعتقلين ، وغيرها من أساليب قتل الروح المعنوية .

من هنا فمفهوم غسيل الدماغ هو عملية منظمة يستخدمها العدو لخلق النقيض النفسي والعقلي وتفعيله عند السجناء والمعتقلين وذلك بهدف تحويل اهتماماتهم الوطنية والدينية إلى دنيوية ، خصوصا عندما يقارن المعتقل نفسه بالآخرين فيصاب بالغصة إذا لم يكن الندم (في مرحلة متقدمة).

وبدأ استخدام هذا المفهوم منذ عام ١٩٥١ والذي أخذ من عملية تنظيف الدماغ والتي استخدمها الصينيون لتخليص الأفراد من معتقداتهم القديمة ليتمكنوا من التعايش بسلام في ظل النظام الشيوعي ، ثم أصبح اصطلاحا فيما بعد يستخدم ليدل على المحاولات المختلفة التي تبذل لتغيير آراء السجناء وتطلعاتهم سواء كان من أسرى الحرب أو المدنيين ، ويجب أن نميز بين أسلوب غسيل الدماغ وباقي أساليب الحرب النفسية مثل الدعاية والإشاعات ومحاولات الإقناع... مما يؤدي إلى تعديل أو تغيير أفكار الفرد أو معتقداته أو سلوكياته..حيث إن أسلوب غسيل المخ هو أسلوب فردي توجه فيه الجهود إلى فرد واحد محدد، بينما الأساليب الأخرى في الحرب النفسية غالبا ما توجه إلى الجماعة، ويعتبر غسيل المخ من العمليات القسرية أو الإجبارية لإكراه الأفراد من أجل تعديل أفكارهم أو معتقداتهم والتحول عنها. وتهدف عملية غسيل المخ إلى تحويل الفرد الأسير عن أفكاره واتجاهاته الوطنية وقيمه وأنماط سلوكياته أو كبت معتقداته أو الاتجاهات التي كان يتبناها مع الإيمان أو الاعتقاد بالنقيض.

وغير ذلك وعميلة غسيل المخ تنفذ على مراحل:

١ -**مرحلة التذويب** والتي تهدف إلى وضع الفرد في وضع يشك معه في القيم التي يحملها من السابق لدرجة يميل إلى تغييرها أو حتى إلى اعتناق قيم بديلة لها وقد أظهرها العدو سابقا عندما كان يربط بين إطلاق سراح بعض السجناء والتوقيع على وثيقة نبذ ما يسمى الإرهاب من وجهة نظرهم ، حيث تفاوتت أيضا ردود السجناء تجاهها ورفضها البعض من سنين ولا زالوا في الأسر .

٢ - **مرحلة التغيير** إعادة تعليم الفرد الأسير المعتقدات والأفكار التي يراد أن يكون عليها وتعتمد هذه العملية على بعض الأسس النفسية الهامة وهي:

٣- العمل على إنهاك الفرد الأسير فكريا ونفسيا، وجسديا لدرجة التعب والإعياء وضعف القدرات الفكرية، والقدرة على الانتباه والتركيز،ويصبح الفرد في هذه المرحلة في حالة تشتت وضياع وتتضح هذه الملامح من خلال المداهمات الليلية أثناء النوم أو السجن الانفرادي الخ. - عدم القدرة على التكيف أو إعادة التوازن العقلي والنفسي بسبب المعاناة وعميلة العزل الطويلة شاهد على ذلك، والتعذيب أحيانا مما يجعل الفرد يائسا، مستسلما يسهل تطويعه والسيطرة عليه.

٤- الإيحاء النفسي والتأثير بالجوانب النفسية والعقلية والسلوكية لدى الفرد وتشكيل سلوكه بالشكل المطلوب، وفي عميلة غسيل الدماغ تتحرك الإيحاءات في اتجاه واحد مركز حيث يتعرض الفرد أو الأسير لضغط جسدي ونفسي كبيرين، مع الإيحاء للأسير على تكوين اعترافاته وخاصة بعد أن تضعف لديه القدرة على التمييز العقلي بين أفعاله وأفكاره، وبين ما يوحى إليه عن طريق مستجوبيه.

٥- تنمية الإحساس بالذنب لدى الأسير (أو السجين) بحيث يطلب من الأسير مراجعة تاريخ حياته السابقة وتبرير أفعاله السياسية والشخصية والأخطاء التي قام بها مما يثير لديه الإحساس بالذنب والخطأ وبالتالي كراهية الذات، والإحساس بالدونية والضعف، وعدم الثقة بالنفس ... مما يجعله يتقبل آراء الآخرين وأفكارهم ويخدم مصالحهم .

٦- تدمير الذات: إن عملية الإذلال، والتحقير، والتعذيب .. تؤدي بالفرد إلى احتقار ذاته، والتقليل من نظرته لذاته وهذه العملية تكون مؤثرة كلما كان الفرد ذا أهمية وسلطة ونفوذ ... وهو يقارن بين ضعفه وعجزه وبين قوة أو سيطرة مستجوبيه، وهذه كلها تضعف من قدرة الفرد العقلية و النفسية على مقاومة عملية غسيل الدماغ .

ومن الأساليب الحديثة المستخدمة المناورات بإطلاق سراح مجموعات من السجناء والمعتقلين مما يجعل الآخرين في حالة ترقب دائم واهتمام كبير بالموضوع والذي يثبت بطلانه ويؤدي إلى حالة من الاستنزاف النفسي الكبير .

أضف إلى ذلك استثمار المحتل للحالة الفلسطينية الداخلية ومحاولة استثمارها من خلال الفصل بين التنظيمات والذي ينعكس أحيانا في حديث البسطاء بأنه لولا عملية الفصل بين التنظيمات لانتقلت المشاكل الخارجية والداخلية للمعتقلات وهذا محض افتراء وادعاء باطل لأن إخواننا هم من يقودون ويوجهون العلاقات الخارجية.. لا العكس ؟

ومما يزيد الحرب النفسية تعقيدا صعوبة تحديد ما هو صائب وذلك لتشعب الولاءات بدلا من كونها باتجاه واحد مثلما كانت سابقاً، ويمكن تصديق الدعايات المغرضة إذا ارتبطت بحوادث يعرفها الجميع مثلما يجري في حياتنا هذه الأيام والتي يمكن استغلالها لتنفيذ الحرب النفسية وعملية غسيل الدماغ .

وكما قلنا قد أجرى الباحث الروسي "بافلوف" منتصف القرن الماضي بعض التجارب على مجموعة من الكلاب في المختبر لغرض معرفة بعض السلوكيات المتعلقة بـ "مثير الاستجابة" .

كانت الكلاب تكره بعض العاملين في المختبر وتحب البعض الآخر كل حسب تعامله معها ذات مرة حدث فيضان ضخم في المدينة وأوشكت جميع الكلاب الموجودة في المختبر على الغرق لولا أن تداركها احد الحراس وهي في الرمق الأخير فأنقذها من موت محقق.

إلى الآن الحادثة لا جديد فيها الجديد أنه بعد حادثة الفيضان وتعرض الكلاب لذلك الانهاك والخوف الشديدين حدث انقلاب في سلوك الكلاب وميولها فأصبحت تحب العمال التي كانت تكرههم وتكره العمال التي كانت تحبهم!

استمر بافلوف بإجراء تجاربه فلم يكن غرض التجربة هو دراسة هذا الانقلاب في السلوك بل كان لدراسة "الاستجابة الشرطية" في السلوك لكن كان لحادثة الانقلاب المزاجي هذه عند الكلاب الأثر الأكبر في لفت انتباه الحزب الشيوعي إلى تجارب "بافلوف" وتحديدا حول إمكانية تغيير عقائد الناس مختبريا!!

حيث تبين لاحقا أن:

- انهاك الجسد والإرهاق والتعذيب عوامل يمكن أن تستغل لـ"تنظيف" الدماغ من معتقداته السابقة وبالتالي يسهل "حقنه" بما نريد من معتقدات!!

- قام الشيوعيون باستخدام هذه الطريقة تحديدا مع السجناء السياسيين وأسرى الحرب فيما سموه بـ"إعادة أو تقويم بناء الأفكار".

ومن هنا يُعرَّف "غسيل الدماغ" بأنه عملية تغيير عقائد الناس باستخدام الإنهاك والإذعان والتلقين أو بـ"الإقناع قسرا" فيما كان من المعروف أن الإقناع لا يتم إلا "طوعا"!!

يقولون أن "بوذا" كان قد تعرض إلى انهاك وجوع وتعب شديد سقط على اثره مغميا عليه أفاق بعده ليرى نفسه وقد أُلهم الحكمة!!

ويمارس غسيل الدماغ أحيانا على مستوى أعلى من مستوى الفرد ليصبح تاثيره جماهيريا.

يوصف الإعلام في أحيان كثيرة بأنه محاولات متباينة الشدة لإجراء عمليات "غسيل الدماغ" على الجمهور.

فقد استخدم الأمريكان غسيل الدماغ الجماهيري في العراق من خلال الحصار الاقتصادي.

فرض الحصار لمدة عشر سنوات كان بمثابة محاولة "لإنهاك" المجتمع العراقي انتهت بـ"إذعان" الشعب لرغباتهم تلى ذلك حملة عسكرية شبه استعراضية انتهت بسقوط العراق بدون معركة فعلية لتتبعها مرحلة "التلقين" التي كان من المفروض فيها أن يصبح الشعب العراقي "أمريكي" الهوى والمزاج والأهداف لكن غسيل الدماغ ذلك لم يطبق بطريقة سليمة وفشلت في الوصول إلى اهدافها بالكامل وكان سبب الفشل هو وجود الدين الإسلامي الذي يوفر من الحصانة الفكرية لأتباعه ما تكفي لإفشال أي عملية غسيل دماغي مهما كانت الضغوط الجسدية المستخدمة.

وقد اثبتت عمليات غسيل الدماغ التي قامت بها "كوريا" الشيوعية ضد الأسرى من التحالف الامريكي قد نجحت في تغيير عقائد الكثير من الأسرى التابعين لأكثر من دولة لكنها فشلت في تغيير عقيدة أي من الجنود الأتراك "المسلمين" الذين شاركوا في تلك الحرب.

و قد ينجح غسيل الدماغ في تغيير عقائد الناس لكن هل يكون ذلك التغيير دائما؟ وهل يعود المغسول إلى حالته بعد زوال عوامل الغسل؟

لم نجد في الدراسات الخاصة بهذا الموضوع من يبحث في مدى ديمومة تقبل الإنسان للعقيدة التي يعتنقها بواسطة غسيل الدماغ منطقيا لا يوجد ما يمنع الإنسان المعرض لغسيل الدماغ من اعتناق عقيدة جديدة إذا بدت منها ما يوافق رغباته الروحية والمادية.

وقد يكون مصطلح "غسيل الدماغ" مكروها عند الناس باعتباره عملية "خداع" لإقناع الناس قسرا بما لا يقتنعون به طوعا لكن الحقيقة هي أن كثيرا من الناس تحمل في "أدمغتها" الكثير من المعتقدات الخاطئة التي لا يمكن غسلها "تخليتها" إلا بالإنهاك الجسدي.

لهذا عدّ البعض أن عذاب "التيه" الذي تعرض له بنو إسرائيل كان عبارة عن "غسيل دماغ" جماعي لأجل أن ينسى اليهود تقاليدهم وعاداتهم القديمة. ومن ثم "التحلية" بالمعتقدات الجديدة.

طالما استخدم الإعلام في التلاعب بالرأي العام، لاسيما وقت الأزمات، وحين تعمل النخبة على تطويع الجمهور لخدمة أغراضها الخاصة، فعندما يتعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات تتناقض مع الحقائق الموجودة في الواقع، فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول، ذلك أن الأفكار التي ترمي إلى خلق معان زائفة، وإلى إنتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب بإرادته الشروط الفعلية للحياة القائمة أو أن يرفضها، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، ليست في الواقع سوى أفكار مضللة.

وفي كتابه ذائع الصيت «المتلاعبون بالعقول» يصف هربرت شيللر الولايات المتحدة بأنها مجتمع منقسم يمثل التضليل الإعلامي إحدى الأدوات الرئيسة للسيطرة؛ في أيدي مجموعة صغيرة حاكمة من صناع القرار، من أصحاب الشركات ومسؤولي الحكومة، على أساس القاعدة التي تقول: «امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها، شأنه شأن أشكال الملكية الأخرى، متاح لمن يملكون رأس المال». **ويتحدث شيللر عما يسميه «الوعي المعلب»، الذي يقوم على خمس أساطير هي:**

١ - **أسطورة الفردية والاختيار الشخصي:** إذ أن الحديث عن الحقوق المطلقة للفرد، والحرية التي لا حد لها، وإمكانية فصل الإنسان عن محيطه الاجتماعي، ما هو إلا محض وهم كبير.

٢ - **أسطورة الحياد:** حيث تقدم الرسالة الإعلامية في ثوب الاستقامة والموضوعية الشكلية، لتخفي التضليل الأيديولوجي الكامن في مضمونها، والمصالح التجارية الخاصة المضمرة في بنيتها.

٣ - **أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة:** فالطبيعة الإنسانية عند مضللي العقول ثابتة لا تغيير وكذلك الحال بالنسبة للعالم الذي ينبغي أن يتكيف معه المجتمع على الحالة التي يكون عليها. وهذا يسهم في خلق صور نمطية مقصودة عن شعوب أو دول أو شخصيات بعينها، تبرر التضليل الإعلامي.

٤ - **أسطورة غياب الصراع الاجتماعي:** فالمتحكمون بالوعي من مديري أجهزة الإعلام والثقافة ينكرون إنكاراً مطلقاً وجود الصراع الاجتماعي الداخلي، على النقيض من الحقيقة التي لا تخفى على أحد، والتي تضطرهم في بعض الأحيان إلى الاعتراف بمثل هذا الصراع، لكنهم يعودون إلى التلاعب برده إلى مسائل فردية، نظرا لأن النخبة المسيطرة على وسائل الإعلام، والتي تولت مهمة التحريف والتجاهل لهذا الصراع تخشى نمو مقاومة الظلم الاجتماعي.

٥ - **أسطورة التعددية الإعلامية :** فالصورة المعروفة لدى شعوب العالم الخارجي، لشرط الحياة في أميركا، هي حرية الاختيار في بيئة من التنوع الثقافي الإعلامي، وقد تغلغل هذا الوهم في أعماق أغلبية الأميركيين، ما جعلهم مضللين. وحقيقة الأمر أنه باستثناء قطاع صغير جداً، من السكان يحسن الانتقاء، ويعرف ما الذي يشاهده، ويستطيع بالتالي الاستفادة من التدفق الإعلامي الهائل، فإن معظم الأميركيين محصورون، دون وعي منهم، داخل نطاق إعلامي مرسوم سلفا وبعناية. وعندما يجد البعض فرصة للتساؤل والشك في التعددية الإعلامية فإنهم يتحولون إلى أقلية تفكر عكس التيار وتخالف المجموع العام ويبدون مغفلين ومجانين ولا يفهمون، وقد يضطرون إلى إخفاء تساؤلاتهم وقناعاتهم ونداء ضمائرهم، ويتظاهرون بأنهم مثل كل الناس، ويقتلون بالتدريج ملكة التساؤل والضمير المزعج، أو يقبلون على مضض ويمارسون سرا متعة اللوم والتأنيب كأنما يهربون من أنفسهم أو يكفرون عن ذنب لم يقترفوه.

ويصل التحايل إلى ذروته مع الإعلام الصهيوني، الذي يعتمد على عدة خصائص منها، المناورة والمراوغة، بتحويل أنظار العالم عن المسائل الحساسة التي تضر الصهاينة أو تؤلمهم أو تفضحهم، والتركيز على القضايا التي تضر خصومهم أو تلفت النظر إلى سلبياتهم، والهروب من التفاصيل إلى العموميات حين يتعلق الأمر بإسرائيل، والإغراق في هذه التفاصيل حين يرتبط الأمر بالعالم العربي، حتى يتوه المتابع في دهاليز ملتفة لا تنتهي، وينسى جوهر قضايا العرب العادلة. كما يعتمد الإعلام الصهيوني على «ابتزاز وتهديد» كل من يفكر في تغيير مواقفه حيال السياسة العدوانية لإسرائيل، وعلى «استعطاف» الرأي العام العالمي، بالحديث عن اضطهاد اليهود، ويروج لأفكار من قبيل أن إسرائيل حمل وديع بين الذئاب، وواحة الديمقراطية وسط صحراء الاستبداد. ويتسم الإعلام الصهيوني ببراعة التزوير، إلى درجة يشعر فيها المتلقي أنه يسمع أو يشاهد الحقيقة، مع أنه لا يتلقى سوى مزاعم موزعة بإتقان مهني في ثنايا الرسالة أو الخطاب الإعلامي.

وعموما فإن أساليب التحايل تطفح بشكل ظاهر من عملية الدعاية، التي تعتمد طرق المراوغة والتلاعب والمخاتلة والتدليس والكذب إلى أقصى حد. فمنذ المنشأ تتطابق الدعاية مع ما سبق ذكره من قواعد التحايل وأسسه، إذ إنها تطلب من القائم بالدعاية أن يقف وقوفا جليا على قوة عقل الشخص المستهدف، ودرجة تحمله، والعادات الراسخة لديه، ورغباته وحاجاته، وأفضلياته مرتبة تنازليا، ومدى إمكانية تغييره جذريا، وأقرب الطرق لكسبه، والفترة اللازمة لإخضاعه لتأثير الدعاية.

فالدعاية ترمي بالأساس إلى السيطرة على فرد أو جماعة أو شعب معين، ولذا فإنها مجبولة على استخدام المراوغة إلى أقصى حد، لأن هذه الطريقة بوسعها أن تقنع الفرد بالدخول في حيز الدعاية، والتهيؤ النفسي والعقلي لتقبلها، بمنحه بعض المبررات والأسباب التي تجذبه إلى الامتثال للقائمين بالدعاية، أو الذين يستهدفونه، ما يعزز احتمالات الحصول على ولاء من تستهدفه الدعاية، أو دفعه إلى تبني الخطاب الذي يبثه القائم بالدعاية. ويصل نجاح الدعاية إلى ذروته حين يردد أفراد المجتمع المستهدف الأقاويل نفسها التي يطلقها من يستهدفونه، وكأنها أفكارهم الذاتية، التي تنبع من عقولهم الخالصة، وإراداتهم الحرة.

إن القائم بالدعاية يشبه الساحر أو (الحاوي) الذي يجذب انتباه المتفرجين إلى شيء ليعميهم عن شيء آخر يقصده ويرعاه ويتبناه ويقيم عليه أهدافه. وهذا السحر يتبع طريقتين رئيستين، الأولى هي «التكثيف» الذي ينطوي على إظهار الجوانب الإيجابية في المسألة محل الدعاية سواء تعلقت بشخص أم بفكرة، عبر أساليب فنية عدة منها استخدام الصور الذهنية، واستبدال الأسماء والمصطلحات، والانتقائية، والكذب المستمر، والتكرار، والتأكيد، ومعرفة العدو وتحديده، والاستناد إلى السلطة والقوة، والارتباط الكاذب، وتزكية غريزة اتباع الغير، والتماثل أو التشبيه بالغير. والطريقة الثانية هي «التقليل» حيث يسعى القائم بالدعاية إلى الحط من شأن أشياء وأفكار وأشخاص محددين، عبر الحذف، وتحويل الانتباه، والالتباس أو خلق حالة من الارتباك والاضطراب في عقل الفرد أو الجماعة التي تستهدفها الدعاية.

●●●

6

الفصل السادس

حرب الشائعات أخطر أسلحة الحرب النفسية

الشائعات سلاح مدمر يستخدم في الحرب النفسية بين الخصوم لكسر الإرادات وفرض الشروط ، وهي إما مجموعة من الأكاذيب والأخبار الضالة، وإما تكون خبرا واحدا كاذبا وضالا تقوم بترويجه جهة معينة وتكون قد أعدت لذلك إعدادا جيدا وخططت له بعناية فائقة بحيث تصبح الشائعة قابلة للانتشار، وذات مفعول في عقل الإنسان وذلك من أجل حرف بوصلة التفكير لدية نحو اتجاه مغاير تقصده تلك الجهة لعدة إغراض إما (اجتماعية، أو ثقافية،أو اقتصادية، أو سياسية، أو عسكرية) أو غيرها من الأهداف، فالشائعة ركنٌ أساسي في الحرب النفسية، وهي وسيلة فعالة لإحداث البلبلة في زمن الحرب والسلم أيضا، كما أنها مدخل رئيسي لاختراق الأمن وأنظمة الحكم وهنا يكمن الخطر الحقيقي حيث إن الشائعات في هذا المقام تهدد نظام الحكم للدولة والمجتمع برمته وذلك بهدف هز وضعضعة وإضعاف النظام القائم في الدولة خاصة إذا تغلغلت هذه الشائعات في قلوب ونفوس أفراد وكوادر المؤسسة الحاكمة حيث تعمل على إضعاف روح التكاتف والتعاضد بينهم ، فالشائعات والأكاذيب عادة تستخدم في هذا المجال لتحطيم معنويات المقاتلين ورجال الأمن وإثارة موجة الرعب والخوف في نفوسهم، وتصديع جبهتهم الداخلية، وزعزعة معنويات القوات ، وخلق نوع من فقدان الثقة بأنفسهم وبقدراتهم، وخلق حالة من عدم الثقة بالقيادة لبث روح التمرد عند الجنود.

والهدف من ذلك نهاية الأمر هو إجبارهم على الهروب أو الاستسلام ليسهل للجهة الناشرة للشائعة أو الخبر الكاذب عملية التغلب والسيطرة على ذلك النظام أو كما قلنا سابقا إضعافه وجعله عاجزا عن ممارسة مهامه فيكون بذلك نظاما هَشًّا ووهنا في نظر الجماهير مما يخلق فجوة كبيرة بين هذا النظام والجماهير، ويخلق حالة من عدم الثقة بينهما.

فالشائعات أو الشائعة الواحدة كما قلنا آنفا أسلوب من أساليب الحرب النفسية وهي وسيلة لغسل دماغ الإنسان،ولافتعال الفتن والأزمات في المجتمع، وهي إحدى أهم وسائل تحقيق أهداف الجهة المروجة للشائعة ، فقد يتم ترويج شائعة فتسبب في قيام حرب ،وقد تسبب هزيمة جيش بأكمله ، أو تحدث فسادا في الأرض، أو بدعة في المجتمع لا أساس لها ، أو صرف أنظار الناس عن قضية تتعلق بحياتهم أو بقضاياهم المصيرية.(١)

الشائعة هي سلاح مدمر يستخدم في الحروب النفسية . وتمثل الشائعات أحد أسلحة الحرب النفسية وتكمن خطورتها في أنها سلاح يستهدف مواطنين صالحين امتزجت الشائعة بعقولهم فاجتذبتهم إليها فأصبحوا أدوات نقل أو ترديد دون أن يدركوا أنهم أداة لأشد أنواع الحرب خسة ودهاء قد يحقق العدو عن طريقها مالم يستطع أن يحققه بقوة رجالم والهدف الحقيقي من تلك الشائعات هو أن يصرف العدو الجبهة الداخلية عن مشاكلهم الحقيقية والنظر إلى المشاكل المفتعلة علاوة على تفتت الجبهة الداخلية، وتبرز خطورة الشائعات حالياً في قيام بعض فئات من المواطنين الخارجين على القانون في استخدام الشائعة في تحقيق أهدافهم الإجرامية، الأمر الذي يهدد المجتمعات حيث يتسبب عن ذلك عدم الاستقرار الأمني الذي كثيراً مايكون له أثره الخطير على الدول.

وفي أوقات الأزمات والتوترات ، وأوقات الحروب أيضا،وفي أوقات وأزمنة عديدة يسعى الخصوم دوما إلى ترويج الشائعات وتزيد من وتيرتها انتشارا في مثل هذه الأوقات حيث إنها تمثل الأرضية الخصبة والمناسبة للخصم لإطلاق مثل هذه الشائعات

١-الشائعات والحرب النفسية - عبد المنعم إبراهيم .

التي في نهايتها يسعى ذلك الطرف أو تلك الجهة (الخصم) إلى حصد نتاجها ،وما يخطط له ذلك الطرف أو الجهة، والشائعات لا تستثني جانبا واحدا من حياة الإنسان، أو أمراً واحدا من أموره الدنيوية ، بل تطال كافة مجالاته الحياتية،والشائعات لا تنطلق بصورة عشوائية، بل هي فعل متقن ومنظم ولها خبراؤها وأزمنتها التي تناسبها ، وهناك مكاسب ومصالح تكون قد حدد ورسم لها بعد الشائعات، فالشائعات إذا وجدت لها المناخ المناسب لسريانها وتم تصديقها من قبل المواطنين تنطلق بقوة تفوق قوة الحقيقة.

وتستخدم الشائعة في الحروب النفسية بين الخصوم المتقاتلين لكسر الإرادات وفرض الشروط ،وهي لا تشمل المجال العسكري فحسب، بل تشمل المجالات (السياسية،والاقتصادية ،والاجتماعية،والنفسية..إلخ) والحروب أصبحت لا تقتصر على قوة النيران فقط.

والشائعات هي معلومات وأكاذيب تقوم بترويجها جهة معينة، وهي مخطط لها بعناية فائقة ومتقنة بدقة ،ومصاغة بشكل محترف، بحيث تصبح قابلة للانتشار،وهدفها التأثير في عقل الإنسان لغرض معين؛ قد يكون اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديًّا، سياسيا أو عسكريًّا أو غيرها من الأهداف، وذلك من أجل تغيير نظرة ومفهوم وتفكير الإنسان نحو اتجاه مغاير يقصده أو تقصده تلك الجهة،التي تكون نواياها خبيثة، فالإشاعة ركنٌ أساسي في الحرب النفسية، وهي وسيلة فعالة لإحداث البلبلة في الحرب والسلم، والبلبلة مفتاح زعزعة أمن ونظام الحكم وهز الإيمان بالوطن والوحدة والثبات ليسهل التغلب والسيطرة، ويسخر لتلك الإشاعات والأكاذيب كل الوسائل والإمكانيات السمعية والبصرية.

فقد ورد في كتب الحرب النفسية بأن الإشاعة أسلوب من أساليب الحرب النفسية وهي وسلية لغسل الدماغ أو افتعال الفتن والأزمات ، وهي وسيلة البلبلة في الحرب والسلم، والبلبلة الفكرية والنفسية ،ومفتاح اللعب بالعقول ثم السيطرة، وهي إحدى أهم وسائل تحقيق الأهداف. إن هذة الإشاعات والأكاذيب تستخدم قبل الحرب أو أثناء القتال، والهدف تحطيم معنويات المقاتلين وإثارة موجة الرعب والخوف في

نفوسهم، وتصديع جبهتهم الداخلية، وزعزعة معنويات القوات ،ورجال الأمن وخلق نوع من فقدان الثقة بينها وبين قيادتها لغرض بث روح التمرد عند المقاتلين، وإقناعهم بعدم دخولهم المعركة، لأنها ستكون خاسرة بالنسبة لهم،وأنهم سيلاقون حتفهم فيها،أو إقناعهم بحتمية هزيمتهم أثناء سير المعركة، ودفعهم إلى الاستسلام.

والشائعة هي موضوع خاص يتناوله الأفراد بواسطة الكلمات بقصد تصديقه أو الاعتقاد بصحته دون توافر الأدلة اللازمة على حقيقته .

ومن أهداف الشائعات ما يلي:

١- تدمير القوى المعنوية وتفتيتها، وبث الشقاق والعداء(حملات نفسية من التشكيك) والإرهاب وبث الرعب في النفوس (الهجوم بالإشاعة) .

٢- استخدامها كستار دخان لإخفاء حقيقة، وللحط من شأن مصادر الأنباء، وكطعم بقصد أظهار الحقيقة من جانب آخر.

٣- تحطيم وتفتيت معنويات الجبهتين العسكرية والداخلية.

ومن سمات الشائعات ما يلي:

١- الإيجاز، وسهولة التذكر، وسهولة النقل والرواية، والتناقض، والأهمية والغموض .

٢- القانون الأساسي للشائعة هو "(قدر الإشاعة السارية يتغير تبعا لمدى أهمية الموضوع عند الأشخاص المعنيين وتبعا لمقدار الغموض المتعلق بالمسألة المعنية(والعلاقة بين الأهمية والغموض ليست علاقة إضافة وإنما علاقة تضاعفية) ".

٣- تبدأ الشائعة من إيجاد خبر لا أساس له من الصحة، أو تلفيق خبر فيه أثر من الصحة، أو المبالغة في نقل خبر فيه شيء من الصحة.

٤- تزدهر الشائعة على الإخبار، وعندما تكون الإخبار في أقصى وفرتها وحينما يرتاب الأفراد في الإخبار.

٥- الشائعة تنفس عن المشاعر المكبوتة، وتشعر راويها بأنه رجل مهم ومتصل ببواطن الأمور.

ومن أنواع الشائعات ما يلي :

١- **الشائعة الزاحفة :** وهي التي تروج ببطء وهمسا وبطريقة سرية.

٢- **الشائعة الغائصة :** وهي التي تروج ثم تغوص تحت السطح لتظهر مرة أخرى عندما تتهيأ لها الظروف.

٣- **الشائعة الهجومية :** وهذه توجه ضد العدو.وتنقسم الشائعات حسب موضوعها إلى إشاعة اتهامية، وإشاعة توقعية، وإشاعة مروعة(غولية) وإشاعة الفضول(الاستطلاع) ، وإشاعة هدامة، وإشاعة مفرقة، وإشاعة مثيرة لأعصاب، وإشاعة الخوف، وإشاعة الكراهية والعداء، وإشاعة ملتهبة، وإشاعة سوء السلوك، وإشاعة جنسية، وإشاعة سامة، وإشاعة شريرة، وإشاعة الأماني .

ومن أهم أساليب مقاومة الشائعات ما يلي :

١- تعاون الجمهور في الإبلاغ عن الشائعات، وتكذيبها وعدم ترديدها .

٢- تكاتف وسائل الإعلام المختلفة من أجل عرض الحقائق في وقتها وإشاعة الثقة بين المواطنين، وتنمية الوعي العام وتحصينه ضد الحساسية النفسية بصفة عامة وضد الشائعات بصفة خاصة

٣- التوعية المستمر لتثبيت الإيمان والثقة بالبلاغات الرسمية عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات .

٤- اقتفاء خط سير الشائعة والوصول إلى جذورها، وإصدار البيانات الصحيحة الصريحة، والتخطيط الشامل وتكاتف الجهود .

٥- الثقة بالقادة والرؤساء، والثقة بأن الأمور العسكرية تحاط دائما بالسرية والكتمان، والثقة بأن العدو يحاول خلق الشائعات عندما لا تتيسر لديه الحقائق .

أما عن أنواع الشائعات فهي :

- **إشاعات يستخدم فيها مكبرات الصوت**،ومحطات التلفزة وموجات الراديو.

- **إشاعات سوداء** تستخدم الشعارات والكلمات الرنانة مثل الدكتاتوري العلماني،الكفرة ،المتعاونين ..الخ من الشعارات .

- **إشاعات الحقد** وهدفها بث الكره بين صفوف الجنود والضباط وبين قيادات الأجهزة الأمنية من ناحية، وبين الناس والأجهزة من ناحية أخرى.

- **شائعات الخوف** التي تستهدف إثارة القلق في نفوس السكان.

- **الشائعات المضادة :** تستهدف تفنيد فكر الطرف المستهدف أو أسلوبه. والأمثلة كثيرة على ذلك .وهنا سنذكر مثالا على اليابانيين عندما اتهموا الأمريكان بالهمجية عندما كانت أجهزةُ الأمريكان تتحدث عن همجية اليابانيين.

- **إلقاء المنشورات من الطائرات**،كما فعل الكيان الصهيوني في حرب تموز ٢٠٠٦م على لبنان،وفعلها في أغلب الحروب، وهدف تلك البيانات بث التضليل وخداع الناس والمقاتلين حول سير الأحداث .

- **والشائعة الغامضة :** يروج لها ثم تختفي لتظهر من جديد عندما تتهيأ لها الظروف .

- **والشائعة الهجومية والزاحفة:** التي يروج لها ببطء وبطريقة سرية، وهذا أخطر ما في الموضوع عندما يحاولون إشاعة معلومات مغلوطة حول ضعف السلطة والأجهزة الأمنية وأنها ستنهار قريبا.

- **إشاعة الأمل:** يهدف فيها ناشروها إلى تكوين حقيقة، وهذه إشاعة نعيشها أيامنا هذه بأن الحصار في غزة قد كسر وأن الحياة تسير بشكل مثالي وطبيعي من حيث توفير الأمن والاقتصاد ،والحياة الكريمة وأن الاحتلال فعلا قد اندحر عن قلوبنا تماما كالإشاعة التي راجت خلال الحرب العالمية الأولى من حملة على بولندا حول دحر البولنديين الهجومَ الألماني.

- **الشائعات الفكاهية أو الرسومات الكاريكاتورية** التي تمس الحكم والنظام السياسي والاقتصادي التي كان لها أثر سيئ على روح المقاتل المصري في حرب يونيو ١٩٦٧م .

وهنا سوف نتوقف قليلا لنؤكد على خطورة هذة الشعارات والدعايات الفكاهية ، فهي تكاد تكون أخطر من كل ما سبق ذكره ،فلا تستهينوا بها ولا تتعاملوا معها فهي تهدف إلى التغلغل في نفوس الناس عامة والمقاتلين خاصة بطريقة خبيثة .

ففي حرب البسوس قديما كانت البسوس مصدر الشائعات ومروجة لها في قبيلة بني تغلب فزرعت الشقاق والفراق بين المهلهل " الزير سالم " وأخيه كليب، وزرعت الفتنة بين كليب وأهل نسبه عندما قتل كليب ناقتها بعدما منعها من الرعي مع أنعامه.أيضا كالشائعات التي نشرها الأمريكان والصهيونية في الحرب على العراق، حينها وصفت بالحرب الإعلامية وسميت حرب الصحاف نسبة إلى " سعيد الصحاف " وزير الإعلام العراقي آنذاك. في حينه،بدأت الشائعات الأمريكية والصهيونية بالانتشار في أول أيام المعركة.والأمثلة على استخدام الإشاعات والدعاية في الحروب كثيرة جدا .

لكي نحصن ونحمي أنفسنا من خطر هذه الشائعات،يجب أن يتتبع الإنسان مصدرها ،ويحاول الوصول إلى جذورها ،ومن ثم إصدار الأحكام عليها ،لأن العدو دائما

يحاول خلق الشائعات وخلق رأي عام يتناسب مع هدفه. يجب نشر الوعي بين الجمهور وخاصة رجال الأمن منهم حول أخطارها وأهداف مرسليها وتعميق انتمائهم لمؤسستهم وزيادة الثقة بما تقدمه تلك المؤسسة من معلومات وبيانات لهم إضافة إلى زرع الثقة بالقادة والرؤساء، والثقة بأن الأمور العسكرية تحاط دائما بالسرية والكتمان، يجب اختيار الأساليب المناسبة للتعامل مع كل إشاعة ونشر الوعي داخل المجتمع والأجهزة الأمنية والتنظيمات والمؤسسات ويجب تعريف الجماهير بمصدر الشائعات والجهات التي تروج لها والعمل على إبطال مفعولها وبالتالي حماية المجتمع من آثارها الخطيرة.

في أوقات الأزمات والتوترات ، وأوقات الحروب أيضا ،وفي أوقات وأزمنة عديدة يسعى الخصوم دوما إلى ترويج الشائعات وتزيد من وتيرتها انتشارا في مثل هذه الأوقات حيث أنها تمثل الأرضية الخصبة والمناسبة للخصم لإطلاق مثل هذه الشائعات التي في نهايتها يسعى ذلك الطرف أو تلك الجهة الخصم إلى حصد نتاجها ،وما يخطط له ذلك الطرف أو الجهة، والشائعات لا تستثني جانبا واحدا من حياة الإنسان، أو أمراً واحدا من أموره الدنيوية ، بل تطال كافة مجالاته الحياتية،والشائعات لا تنطلق بصورة عشوائية، بل هي فعل متقن ومنظم ولها خبراؤها وأزمنتها التي تناسبها ، وهناك مكاسب ومصالح تكون قد حدد ورسم لها بعد الشائعات، فالشائعات إذا وجدت لها المناخ المناسب لسريانها وتم تصديقها من قبل المواطنين تنطلق بقوة تفوق قوة الحقيقة.

والشائعات كما سبق وذكرنا سلاح مدمر تستخدم في الحرب النفسية بين الخصوم لكسر الإرادات وفرض الشروط ، وهي إما مجموعة من الأكاذيب والأخبار الضالة،وأما تكون خبرا واحدا كاذبا وضالا تقوم بترويجه جهة معينة وتكون قد أعدت لذلك إعدادا جيدا وخططت له بعناية فائقة بحيث تصبح الشائعة قابلة للانتشار، وذات مفعول في عقل الإنسان وذلك من أجل حرف بوصلة التفكير لدية نحو اتجاه مغاير تقصده تلك الجهة لعدة إغراض إما (اجتماعية، أو ثقافية،أو اقتصادية، أو سياسية أو عسكرية...) أو غيرها من الأهداف، فالشائعة ركنٌ أساسي في الحرب النفسية، وهي وسيلة فعالة لإحداث البلبلة في زمن الحرب والسلم أيضا، كما أنها مدخل رئيسي لاختراق الأمن

وأنظمة الحكم وهنا يكمن الخطر الحقيقي حيث إن الشائعات في هذا المقام تهدد نظام الحكم للدولة والمجتمع برمته وذلك بهدف هز وضعضعة وإضعاف النظام القائم في الدولة خاصة إذا تغلغلت هذه الشائعات في قلوب ونفوس أفراد وكوادر المؤسسة الحاكمة حيث تعمل على إضعاف روح التكاتف والتعاضد بينهم ، فالشائعات والأكاذيب عادة تستخدم في هذا المجال لتحطيم معنويات المقاتلين ورجال الأمن وإثارة موجة الرعب والخوف في نفوسهم، وتصديع جبهتهم الداخلية، وزعزعة معنويات القوات ، وخلق نوع من فقدان الثقة بأنفسهم وبقدراتهم، وخلق حالة من عدم الثقة بالقيادة لبث روح التمرد عند الجنود، والهدف من ذلك نهاية الأمر هو إجبارهم على الهروب أو الاستسلام ليسهل للجهة الناشرة للشائعة أو الخبر الكاذب عملية التغلب والسيطرة على ذلك النظام أو كما قلنا سابقا إضعافه وجعله عاجزا عن ممارسة مهامه فيكون بذلك نظاما هشا ووهنا في نظر الجماهير مما يخلق فجوة كبيرة بين هذا النظام والجماهير، ويخلق حالة من عدم الثقة بينهما، فالشائعات أو الشائعة الواحدة كما قلنا آنفا أسلوب من أساليب الحرب النفسية وهي وسيلة لغسل دماغ الإنسان،ولافتعال الفتن والأزمات في المجتمع، وهي إحدى أهم وسائل تحقيق أهداف الجهة المروجة للشائعة ، فقد يتم ترويج شائعة فتسبب في قيام حرب ،وقد تسبب هزيمة جيش بأكمله ، أو تحدث فسادا في الأرض، أو بدعة في المجتمع لا أساس لها ، أو صرف أنظار الناس عن قضية تتعلق بحياتهم أو بقضاياهم المصيرية.

لكي يحمي الإنسان أو رجل الأمن أو العاملون في الدولة أو حتى جميع أفراد المجتمع لكي يحموا أنفسهم من خطر هذه الشائعات،يجب أن يتم تتبع مصدرها،والوصول إلى جذورها، وعدم التسرع في التعامل معها ،كما يجب على أفراد الدولة والجنود المحافظة على إبقاء علاقتهم مع المؤسسة والقيادة بشكل متين ومتواصل والرجوع إلى مؤسسات الدولة المختصة لفهم حقيقة أي خبر يروج إليه ،كما ويجب أيضا على الدولة أو السلطة نشر الوعي بين الجمهور لكشف مخاطر الإشاعات ووضع آليات للحد من انتشار الشائعات، لأن الشائعات عادة وخاصة عندما تستهدف النظام والأمن والمؤسسة برمتها تشكل خطرا داهما لذا يجب اختيار الأساليب المناسبة للتعامل مع كل إشاعة

ونشر الوعي داخل أجهزة الدولة والمجتمع، وتعريف الجماهير بمصدر الشائعات والجهات التي تروج لها والعمل على إبطال مفعولها وبالتالي حماية المجتمع والدولة والنظام برمته من آثارها الخطيرة .

وغالبا ما يبدو دخول السيكولوجيا إلى الميدان السياسي نوعا من الإقحام أو حتى الاقتحام. بما يستدعي سقوط المبررات وعرض الشروحات للروابط والمصطلحات الاختصاصية. وهذا يأتي كنتيجة لنجاح السياسة في استغلالها للسيكولوجيا، كما للعلوم الإنسانية الأخرى، واحتكارها هذا الاستغلال باتجاه واحد. فقد رفضت السياسة التحول إلى علم وتمكنت بهذا الرفض من شل إمكانيات مقاربتها بصورة علمية.

إلا أن توسع السياسة في استخدام تطبيقات السيكولوجيا، وصولا إلى الشائعات الموجهة للرأي العام مرورا بانتقائية تسريب المعلومات وصولا إلى الحرب النفسية، جعل البحث في موضوع السيكولوجيا السياسية مقبولا حتى وصل هذا القبول إلى الإعلان عن دور حيوي للاختصاص في ميدان السياسة والمعلومات.

ولعلنا بحاجة للتذكير ببعض الأمثلة قبل الولوج إلى آلية الدفاع النفسية التي تعتمدها الشائعات وتؤسس عليها. ولائحة أمثلة تداخل السياسي بالسيكولوجي يتصدرها مثال يعود إلى العام ١٩٥٣ عندما جرب أحد عملاء المخابرات الأميركية (ويدعى أولسون) عقار "إل سي دي" على أصدقاء له لاختبار الدواء كدافع لقول الحقيقة (مصل الحقيقة الذي يعطى للجواسيس كي يدلوا بالأسرار) ولم تكن تجارب تربية الأطفال العباقرة أو بعدها تجارب الهندسة الوراثية لإنتاج العباقرة) ببعيدة عن السياسة.

فقد كانت النازية هي البادئة بهذا النوع من التجارب. ثم تابعتها المختبرات الأميركية. أما آخر الأمثلة التي نوردها فهي تتعلق بإنتاج الاتحاد السوفياتي لأسلحة غير تقليدية، دعيت في حينها. الأسلحة العقلية، ولا يزال اللغط دائرا حول هذه الأسلحة.

حيث يعتبر بعضهم أنها من النوع الجرثومي المؤثر على الدماغ والجهاز العصبي. في حين يصر بعضهم الآخر على أنها مجرد شائعة شيوعية في إطار الحرب النفسية التي كانت دائرة آنذاك.

وبهذا فإن الشائعات و الحرب النفسية تدخلان في إطار الطب النفسي العسكري الذي يسخر كل تقنيات الاختصاص للخدمة العسكرية سواء في زمن الحرب أو السلم. حيث تتوزع مسؤوليات الاختصاص وتتنوع باختلاف الحاجات.

وتشكل ظروف الحرب ميدانا مميزا للاختصاص إذ تتحول مسئوليته إلى الإشراف على الحرب النفسية. التي تتمحور حول وقاية الداخل من الإرباك وتحصينه في وجه التجسس.

كما المساعدة في عمليات التجسس المضاد وعمليات إرباك الخصم.

وهي تتضمن كل وجوه النشاط الإنساني والمعلوماتي. ومنها الشائعات والأنباء والإعلام وتصنيع المعلومات وإعادة تصنيعها. وبالعودة إلى حرب العراق يمكن الحديث عن تطويرات كبيرة في مجال الحرب النفسية. حيث عمدت المختبرات الإعلامية الأميركية والعراقية إلى مراجعة وتنقيح وتطوير أدوات الحرب النفسية المستخدمة في حرب العراق الأولى (١٩٩١). حيث كان الترويع والتخويف أحد أهم الإضافات إلى تلك الحرب. وهي ما يسميه المسؤولون الأميركيون بمصطلح "الصدمة والترويع". في اعتراف ضمني بقذارة هذه الحرب على المدنيين وعدم مراعاتها لقدرتهم الإنسانية على الاحتمال. وهذا التجاوز المعلن لمبدأ الحرب النظيفة (تتجنب إيذاء المدنيين وتعريضهم لضغوط التهديد العسكري بطرق غير تقليدية وبأسلحة جديدة وأخرى محرمة دوليا) ينبئ باستعداد الولايات المتحدة لتكرار هذه القذارة وهذه المخالفات لقوانين حماية المدنيين في حروبها المقبلة.

هذا وينظر الاختصاص إلى أحداث الحروب ومخاطرها على أنها تهديدات مباشرة للحياة. وهي بالتالي صدمات نفسية تحتاج للعلاج.

وهنا يجب التفريق بين صدمات المقاتلين والمدنيين. حيث يهدف علاج المقاتلين إلى إعادة تأهيلهم لإعادتهم إلى الجبهات.

في حين يهدف علاج المدنيين إلى معالجة القلق المرافق وإعادة الاطمئنان للمصدوم. مع الإشارة إلى أن الحروب القذرة لا تفرق بين المدنيين والعسكريين بحيث

تكون تهديداتها متساوية للفئتين بما يناقض اتفاقيات جينيف. ولعله من المفيد بداية الحديث عن الشائعات باستعراض الدراسات السابقة حولها.

وفي بداية كتابه "سيكولوجية الشائعة" يشير الدكتور النابلسي إلى علاقة السياسة بالعلوم الإنسانية والنفسية بصورة خاصة، ليجد أن السياسة قد نجحت في توظيف هذه العلوم لصالحها، ويتخذ من "الشائعة" مثالا على هذا التوظيف بغرض التأثير في قطاعات واسعة من الرأي العام الداخلي، أو الحرب النفسية لتحقيق مكاسب بعيدا عن الأعمال العسكرية القتالية ضد العدو الخارجي.(١)

ويعود المؤلف إلى التاريخ فيروي أمثلة على الاستخدام من قبيل تجربة عقار "مصل الحقيقة" لانتزاع الاعترافات، وهي التجربة التي قام بها أحد عملاء المخابرات عام ١٩٥٣، وكذلك يروي عن تجارب إنتاج العباقرة عبر أبحاث الهندسة الوراثية في زمن النازية، ومن بعدها المخابرات المركزية الأمريكية، ويشير إلى" إشاعة " عن بعض الجهود السوفيتية في إطار الحرب النفسية .

يعود النابلسي إلى الأدبيات الكلاسيكية التي تناولت " سيكولوجية الشائعة" وأهمها على الإطلاق كتاب بنفس الاسم لمؤلفه " جوردون ألبورت" ومساعده " ليو بوستمان " وهو كتاب يعتمد على نظرية "الجشتالت" – الألمانية بالأساس في علم النفس، والتي تذهب إلى أن إدراك الأشياء والجزئيات والتفاصيل إنما ينمو إلى أن يضعها في نظام كلي يجمعها ويؤلف بينها ليرسم صورة من البساطة والانتظام تريحنا من توتر الحيرة والمتابعة.

وطبقا لهذا الأسلوب في التفكير والتحليل فإن الشائعة تنبثق لتشرح المواقف الصعبة أو الغامضة أو حتى الهامة التي لا يوجد لها تفسير آخر معلن ومنطقي.

" كارل يونغ " الباحث النفسي صاحب المدرسة العلمية المسماة باسمه يذهب لأن الإثارة العاطفية جزء ضروري من مناخ نشوء وانتشار الشائعة فالأفراد القلقون ينشرون الشائعة بحماس أكبر بكثير من الآمنين والمستقرين.

١– كتاب " سيكولوجية الشائعة"– الدكتور محمد احمد النابلسي .

ومن حكايات "الأطباق الطائرة" إلى الشائعات حول محتويات شطائر الهامبرغر في مطاعم "ماكدونالد" تنتشر الأقاويل هنا وهناك، وحتى منذ الشائعة التي أطلقها "نيرون" بأن المسيحيين في روما هم الذين تحولوا إلى كباش فداء لجريمة "نيرون" (هل تعتقد مثلي أن هذه القصة تكررت كثيرا ؟!)

وجنكيز خان تمكن من الانتصار على خصومه بالشائعات التي صورت جيشه مثل أسراب الجراد التي لا يوقفها شيء، و يقال "شارل مارتل" انتصر على جيش المسلمين بقيادة "عبد الرحمن الغافقي" بنشر شائعة عن أن الغنائم التي يجمعها العرب تتعرض للسلب والنهب فترك الجند مواقعهم لحماية غنائمهم، فانهزموا !

و"الشائعة" في تعريف الباحث هي قضية أو عبارة نوعية مقدمة وقابلة للتصديق والتناقل دون ذكر مصدرها أو تدقيق صحتها، وهي بالتالي نوع من الاتصال –بالمعنى الإعلامي– ولكنه يجري لنقل محتوى خاطئ لرسالة تنتشر.

ويذكر المؤلف أنواعا للشائعات منها :

الزاحفة : وهي التي تنتشر ببطء شديد وسرية تامة .

الاندفاعية : وهي تنتشر بسرعة فائقة، وغالبا ما تكون متعلقة بكوارث طبيعية أو حروب .

الغاطسة : وهي التي تنتشر في ظروف معينة ثم تنتشر ثم تعود نفس الظروف المماثلة لولادتها .

الأملة : وهي التي تحاول إشاعة بعض الآمال في أجواء القهر واليأس.

الخيانة : وهي أكثر ما تحدث في زمن الحروب، وتكون فائقة الغموض .

التمييزية : وهي التي تحمل موقفا من طائفة أو أثنية أو ديانة أو مذهب أو أيدلوجية.

المتحولة : وهي التي تعتمد على معلومة صحيحة جزئيا ولكن يجري تحويرها لتصبح شيئا آخر تماما .

التخويفية : وتنتشر في المناخات الباعثة على الفزع والرعب .

بعد ذلك يتناول الباحث بالحديث مواصفات ومؤهلات النجاح للشائعة فيؤكد أن الأنجح هي القائمة على تشويه واقعة حدثت فعلا، ولكن مع إعادة إنتاجها، وكذلك الشائعات المستندة إلى سوابق حقيقية أو التي ثبت نجاحها من قبل، ومؤهلة لإعادة الطرح والتكرار، وكذلك إشاعات التنبؤ بالمستقبل، والشائعة الأسطورية، التي تتقاطع أو تتفق مع اللاشعور الجمعي أي الثقافة الكامنة السائدة في مجتمع ما، أو ما يمكن تسميته المزاج العام .

ويتناول الكاتب صورة أخرى من صور الشائعات أو إنتاجات "اللاشعور الجمعي"، وهي " النكتة "، (ولعلنا نعود إليها في مرة قادمة لأنها تستحق التفصيل) ثم يبحث النابلسي عن دوافع نشر الشائعة لدى الأفراد فيذكر الرغبة في جذب الانتباه، والظهور في صورة العليم بمواطن الأمور، وكذلك الرغبة في دفع القلق أو مقاومته أو محاولة السيطرة عليه، وهناك أيضا دافع الاعتداء أي الرغبة في إيقاع الأذى بالآخرين، ودافع بعث الثقة في النفس أو إثارة الشفقة، ودافع الميل إلى التوقع والاستباق، أو دافع تقديم المعروف أو الجميل.

ثم يعدد الباحث الآثار الناجمة عن الشائعات ويذكر أمثلة من العراق في زمن صدام وما قيل عن المقابر الجماعية، ويفرد المؤلف فصلا كاملا عن شائعات حرب الخليج واحتلال العراق، التي يرى أنها حرب شائعات بامتياز .

وهكذا تدخل الحرب النفسية في إطار الطب النفسي العسكري الذي يسخر كل تقنيات الاختصاص للخدمة العسكرية سواء في زمن الحرب أو السلم. حيث تتوزع مسؤوليات الاختصاص وتتنوع باختلاف الحاجات، وتشكل ظروف الحرب ميداناً مميزاً للاختصاص إذ تتحول مسؤوليته إلى الإشراف على الحرب النفسية، التي تتمحور حول

وقاية الداخل من الإرباك وتحصينه في وجه التجسس. كما المساعدة في عمليات التجسس المضاد وعمليات إرباك الخصم، وهي تتضمن كل وجوه النشاط الإنساني و المعلوماتي، ومنها الشائعات والأنباء والإعلام وتصنيع المعلومات وإعادة تصنيعها.

وبالعودة إلى حرب العراق يمكن الحديث عن تطويرات كبيرة في مجال الحرب النفسية، حيث عمدت المختبرات الإعلامية الأميركية والعراقية إلى مراجعة وتنقيح وتطوير أدوات الحرب النفسية المستخدمة في حرب العراق الأولى (١٩٩١). حيث كان الترويع والتخويف أحد أهم الإضافات إلى تلك الحرب. وهي ما يسميه المسؤولون الأميركيون بمصطلح " الصدمة والترويع".

في اعتراف ضمني بقذارة هذه الحرب على المدنيين وعدم مراعاتها لقدرتهم الإنسانية على الاحتمال، وهذا التجاوز المعلن لمبدأ الحرب النظيفة (تتجنب إيذاء المدنيين وتعريضهم لضغوط التهديد العسكري بطرق غير تقليدية وبأسلحة جديدة وأخرى محرمة دوليا) ينبئ باستعداد الولايات المتحدة لتكرار هذه القذارة وهذه المخالفات لقوانين حماية المدنيين في حروبها المقبلة.

هذا وينظر الإختصاص إلى أحداث الحرب ومخاطرها على أنها تهديدات مباشرة للحياة. وهي بالتالي صدمات نفسية تحتاج للعلاج. وهنا يجب التفريق بين صدمات المقاتلين والمدنيين. حيث يهدف علاج المقاتلين إلى إعادة تأهيلهم لإعادتهم إلى الجبهات. في حين يهدف علاج المدنيين إلى معالجة القلق المرافق للصدمة وإعادة الاطمئنان للمصدوم. مع الإشارة إلى أن الحروب القذرة لا تفرق بين المدنيين والعسكريين بحيث تكون تهديداتها متساوية للفئتين بما يناقض اتفاقيات جينيف.

وتعد الحرب النفسية في العراق نموذجاً :-

ويستمد تحليل الحرب النفسية العراقية أهميته من جملة وقائع أهمها التالية :

- أنها مرشحة لأن تكون نموذجاً للحروب الأميركية القادمة.
- أنها أحدث الحروب وأكثرها خروجاً على مألوفات وقواعد الحروب الحديثة.

- أنها أولى الحروب المعلوماتية / الافتراضية.
- أنها عكست فوضى غياب العدو الأميركي واستبداله بشخص فرد.
- أنها كانت مناسبة لإعلان مبدأ بوش/ وولفويتز حول الحرب الاستباقية.
- أنها وعدت بسلسلة من الحروب الأميركية القادمة.
- أنها استخدمت أسلحة وتقنيات غير معروفة سابقاً.
- أنها تميزت بأثمان استراتيجية باهظة لدرجة العجب وطرح الأسئلة.
- أنها قامت بدون موافقة الأمم المتحدة أو حلف الأطلسي وهي قد اغتصبت الكونغرس.
- أنها اغتصبت حلفاءها وفي مقدمتهم بريطانيا.
- أنها راكمت أعداء جددا وتحدت أصدقاء وحلفاء.
- أنها لقيت معارضة عارمة من قبل الرأي العام العالمي باعتبارها خطوة نحو الأمركة.
- أنها لا تزال تخفي أعداد ضحاياها وحجم تدميرها بما يؤكد جسامتها.
- أنها تحولت إلى احتلال يسجل نكوصاً إلى مرحلة تاريخية تجاوزها الزمن.
- أنها بالغت في إعادة تصنيع المعلومات وتحويرها للصالح الأميركي.
- أنها وظفت التفوق المعلوماتي لكسب الحرب.
- أنها حاولت إعادة الاعتبار للمخابرات ودورها بعد الفشل الكارثي في ١١ أيلول.
- أنها أسست لمنهج جديد للحرب النفسية. وهي النقطة التي سنركز عليها في هذه الورقة.

وبالنسبة للبداية النفسية للحرب العراقية فتعود إلى بداية الهجوم العسكري الأميركي صبيحة ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٣ لوجدنا أنها بدأت بداية نفسية خالصة، إذ ارتبطت

بمعلومة مخابراتية كاذبة حول مكان تواجد القيادة العراقية. فكان إعلان الحرب مرتبطاً بمحاولة قطع الرأس (اغتيال الرئيس العراقي)، وهي معلومة بررت الاستعجال الأميركي للحرب بالرغم من تردد الحلفاء ومحاولاتهم لتأجيلها. ولقد نفت المخابرات البريطانية هذه المعلومة نفياً قاطعاً (يعتقد أنه يبرر موقف الإذاعة البريطانية من الحرب العراقية). وبغض النظر عن حقيقة هذه المعلومة ودقتها فقد نجحت المخابرات في توظيفها نجاحاً باهراً، إذ حقق هذا التوظيف خدمات هامة ممهدة للحرب و داعمة للتعجل فيها.

ومن هذه الخدمات:

- التظاهر الأميركي بمحاولة تجنب الحرب عن طريق قطع الرأس.
- إعلان تركيز العداء الاميركي على الرأس وليس على أية أهداف أخرى. وفي ذلك كسب أميركي لقطاعات واسعة من الشعب العراقي وطمأنة الشعب العراقي ككل.
- قطع الطريق على تردد بريطانيا وبقية الحلفاء (نذكر هنا بمحاولات التملص البريطانية من هذه الحرب. ومنها مشروع النقاط الست ومن ثم الدعوة لتأجيل الحرب لغاية الخريف).
- إطلاق شائعة موت الرئيس العراقي والإصرار عليها لعدة أيام. وهدفها إرباك العدو وتشجيع الفوضى الداخلية. كما امتحنت هذه الشائعة ردة فعل القيادة العراقية لدحض الشائعة (ظهر صدام على التلفزيون).
- التمهيد لمعاودة إطلاق شائعة قطع الرأس قبل الهجوم على بغداد. لكنهم هذه المرة حرموا صدام من فرصة الظهور التلفزيوني (تدمير التلفزيون العراقي وحصار مكاتب الفضائيات العربية في بغداد).
- تشجيع المتمردين العراقيين على التحرك. أو أقله الاستعداد للتحرك.
- إظهار قدرة المخابرات الأميركية وملكيتها لمصادر معلومات شديدة القرب من القيادة العراقية (بداية نشر شائعات الخيانة المألوفة في كل الحروب).

- الإيحاء بأن الخطة الأميركية للحرب هي غير تقليدية. وهي تنطوي على مفاجآت يمكنها أن تحسم الحرب بصور غير منتظرة.

- تشجيع ظهور بوش بمظهر راعي البقر الأميركي (الكاوبوي) أمام الجمهور الأميركي. فقد بدأت الحرب مع انتهاء مهلة التهديد.

- تعويم المخابرات الأميركية و استعادة ثقة الأميركيين فيها مع بداية هذه الحرب. وهذا التعويم يخدم هدف إغلاق ملف التحقيق في حوادث أيلول (يصر بعض الديمقراطيين على أن حرب العراق كانت في جزء منها تهرباً جمهوريا من المسؤولية في حوادث أيلول).

-طمأنة مؤيدي الحرب بإيحاء القدرة الأميركية على حسمها بصورة غير منتظرة. وبأن هذه الحرب لن تطول.

- تفشيل خطط الحرب النفسية العراقية. حيث ركز العراقيون على "معركة بغداد" في محاولة لتسخيف بداية الحرب ومراحلها الأولى. وشائعة قطع الرأس جعلت الكل يتساءل: "هل ستكون هنالك معركة ما في بغداد؟".

- إعطاء بعض من عنصر المفاجأة لحرب معلنة سلفاً عبر مهلة التهديد.

- تكريس التفوق والعظمة الأميركيين في ذهن المواطن الأميركي. حيث يملك بوش إمكانية التفكير بقطع رأس المارقين مع استحالة العكس.

- إظهار ابتكارات وخطط وفنون حربية أميركية جديدة للحرب النظيفة.

- حشد المعارضين العراقيين الذين قاطعوا مؤتمر لندن ودفعهم للاستعجال في ركوب القطار الأميركي.

- إجبار المقاتلين العرب على التريث قبل الذهاب إلى العراق، ودفع المتواجدين منهم للهرب من العراق.

- تحذير الدول المعارضة للحرب من احتمال نهاية درامية سريعة لها.
- تشجيع معارضة الخارج على العودة للعراق لتكون سباقة لجني حصتها من النصر الأميركي المنتظر.
- دفع الأكراد للإسراع في ملء الفراغ التكتيكي المتخلف عن الخطة العسكرية العراقية في الشمال العراقي.
- إرباك الجهات التي تقدم الدعم للعراق ودفعها للتريث في دعمها له.
- تمهيد الطريق أمام شائعات الخيانة العراقية. أعلن رامسفيلد لاحقاً عن وجود خيانات داخل الصف العراقي. لغاية التصريح بمفاوضات أميركية مع ضباط كبار.
- نشر حالة الصدمة بين المدنيين العراقيين عبر الإيحاء بنهاية الحرب قبل بدئها.
- رفع معنويات الجنود الأميركيين والحلفاء.
- الاحتياط لإدانة بوش لشنه حرباً بهذا الحجم للقضاء على شخص كان يمكن الخلاص منه بدون إيقاع أعداد هائلة من الضحايا المدنيين وبدون شن حرب أصلاً. حيث وظفت هذه لبيان محاولة أميركا تجنب الحرب بإغتيال صدام.
- التأثير على معنويات القيادة العراقية وإثارة هواجس الشك عندها.
- استيعاب المعارضة الأميركية الداخلية للحرب عبر التلميح إلى الطابع المخابراتي للحرب وبالتالي الاحتياط لوقوع خسائر بشرية أميركية.
- تكذيب وإبطال المعلومات المخابراتية الروسية التي تمكنت من كشف خطة الهجوم الأساسية المتفق عليها مع بريطانيا.

وهكذا بدأت الحرب الأميركية على العراق بداية نفسية تجسدت بشائعة اغتيال القيادة العراقية. وهي حققت مجموعة الأهداف المشار لها سابقا منذ الساعات الأولى للحرب.

وعن شائعات الحرب العراقية فقد قلنا إن الحرب بدأت بشائعة مقتل صدام حسين،وهي شائعة استمرت لبضعة أيام تمكن الإعلام الأميركي خلالها من الإبقاء على غموض الخبر، ونظراً لكفاءة هذه الشائعة وفعاليتها فقد أعيد وضعها في التداول خلال الأيام الأخيرة للحرب (عقب قصف مقر اجتماع القيادة في حي المنصور)،حيث كان لتكرار الشائعة فعالية مضاعفة لحدوث التكرار في ظروف القصف الأميركي المكثف والصادم لبغداد. وكذلك في ظروف معاناة العراقيين من انخفاض التقديمات الصحية والغذائية و الإسعافية.

و. ل الملفت في تفاصيل الحرب النفسية الأميركية هو ظاهرة تقاسم الأدوار. حيث كانت السي إن إن تنقل الشائعة وتنسبها إلى قائد ميداني أميركي، ثم تتلقى قاعدة السيلية الخبر لتذيعه على شكل معلومات واردة من الجبهة أما البنتاغون فيعلن بأنه سمع هذا الخبر لكنه لا يملك ما يؤكده.

وهكذا يتسرب الخبر/ الشائعة بدون أن تضطر القيادة الأميركية للكذب، ومهما بلغت درجة الشك في هذا الخبر فإنه يبقى مطروحاً لإنعدام إمكانية التحقق منه. وهذا الجو من الغموض هو المناخ الأكثر ملاءمة لزراعة الشائعة. وهكذا تدفقت الشائعات الأميركية على شكل سيول معلومات غامضة غير قابلة للجلاء، ومن أهم شائعات الحرب ،التي تستوجب المتابعة والتحليل، الشائعات التالية:

- الشائعات المرتبطة بتبرير الحرب على العراق / أسلحة الدمار الشامل والتحالف مع القاعدة وتهديد الأمن الأميركي والجيران الإقليميين ...الخ من المعلومات التي عجزت أميركا عن تقديم الأدلة على صحتها. (وهي شائعات واجبة التحليل والمتابعة لأنها أصبحت نمطاً مميزاً لذرائع الحروب الأميركية. **حيث استعداد أميركا لخوض الحروب استناداً إلى شائعات من صنع مخابراتها!؟)**.

- شائعة مقتل صدام (المشار لها سابقا).

- شائعة هروب طارق عزيز (ظهر مباشرة على التلفزيون العراقي لتكذيب الشائعة).

- شائعات عديدة حول سقوط مواقع عسكرية عراقية (تبين كذبها لاحقاً).

- شائعة الإعلان الأميركي عن حرب نظيفة (كانت أقذر الحروب الأميركية. حيث يقدر حجم تدميرها بما يوازي ١٥ قنبلة مثيلة لقنبلة هيروشيما. مع استخدام أسلحة جديدة و أخرى محرمة دوليا، إضافة لوقوع ما بين ٨٠ و١٠٠ ألف عراقي قتيلاً فيها مع ٢٠٠ ألف جريح ومشوه).

- شائعة الحرب الطويلة / أعلن بوش أن هذه الحرب سوف تطول. (وهي شائعة متعددة الوظائف، إذ تسمح بالتشدد مع معارضي الحرب داخل أميركا مع حرية أكبر للمخابرات الأميركية. وأيضاً استرداد بعض ملامح عنصر المفاجأة والظهور بمظهر المرونة والرغبة في تجنب الحرب القذرة التي بدأت مباشرة بعد هذا الإعلان. إضافة إلى كسب الوقت لإيجاد تسويات مع روسيا خاصة).

- شائعة تأخير الهجوم على بغداد / جاء الهجوم على المطار في اليوم التالي.

- شائعة انتظار وصول قوات أميركية إضافية.

- شائعات استسلام قوات وألوية عراقية.

- شائعة مقتل برزان التكريتي في مزرعته.

- شائعة تدمير الخرس الجمهوري.

- شائعة انقلاب مرتقب على صدام.

- شائعات الأسلحة الروسية.

- شائعات الأسلحة السورية.

- شائعة النيران الصديقة (تخفي أخطاء ناجمة عن إدمان الجنود الأميركيين وفساد قادتهم وتنافس بينهم وبين الجنود البريطانيين وهي عوامل تقتضي التحليل والدراسة).

وهكذا فقد كان المخطط هو أن تعمل هذه الحرب الافتراضية على سقوط بغداد. فمنذ بداية التهديدات بالحرب كانت الأنظار متجهة نحو معركة فاصلة في بغداد، ولقد أسهب الإعلام الأميركي في وصف أهمية هذه المعركة وهامشية بقية المدن العراقية. حتى تسربت تقارير تشير إلى عدم رغبة القيادة العسكرية باستفزاز أهالي الجنوب العراقي، حتى كادت هذه القيادة تعلن عن عدم رغبتها الدخول إلى أية مدينة أو قرية في الجنوب. وساهم الإعلام العراقي بالتسويق لمعركة بغداد وأهميتها لتسقط هذه العاصمة فجأة وبدون مقاومة. حتى أصبح سقوط بغداد على هذا النحو هو اللغز الأكبر في هذه الحرب!؟.

إن حل هذا اللغز يبدأ من جولة مراسل سي إن إن في الشوارع العراقية يوم ٦ نيسان (قبل سقوط بغداد بثلاثة أيام) وملاحظته عدم وجود استعدادات عسكرية كافية في الشوارع العراقية. وكذلك عجز المستشفيات العراقية عن استيعاب الأعداد الكبيرة للجرحى. واضطرارها لدفن الأموات في حدائق المستشفيات. مع انقطاع الكهرباء وعدم توافر المياه.

وهذه الأخبار تؤكد عجز هذه المدينة عن تحمل أية معركة وعن القيام بأية مقاومة. (لقد لعبت السي إن إن (CNN) دوراً جاسوسيا خالصاً خلال هذه الحرب وإن تم طردها من بغداد بعد هذا التقرير. لذلك يجب التنبه للوظيفة الجاسوسية لهذه القناة الإعلامية!.). لكن تكشف حقائق اللغز المتمثل بسقوط بغداد ينتظر إطلاق العديد من الأسرار الخاصة بهذه الحرب. وكذلك الإجابات على قائمة طويلة من الأسئلة المطروحة حولها. فلو نحن راجعنا الشائعات الأميركية لوجدنا انها إقتربت من نتائج الحرب بصور متفاوتة. كما أننا نجد أن هذه النتائج لم تكن بعيدة عن خطة غزو العراق التي سربتها المخابرات الأميركية تسريباً مدروساً عبر الواشنطن بوست. فإذا ما أردنا البحث عن الثغرة الرئيسية في هذه الحرب لوجدنا أنها ثغرة نفسية استخباراتية. وهي المتعلقة بردة فعل العراقيين أمام احتلال يحررهم من نظام غير مرغوب ليضعهم في وضعية المستعمَرين. فإذا ما رصدنا ردود الفعل الأولية على هذه الوضعية لرأينا أن العراقيين غير ميالين لقبول هذه الوضعية.

●●●

7

الفصل السابع

الدعايات الكاذبة
محاولة قهر الآخر!!

على مر العصور يستخدم الإعلام في ما يسمى بالحرب النفسية وهى من أخطر أنواع الحروب حيث يدرك الجميع أهميتها .

والحرب النفسية تأخذ صورة من صورتين ،إما أن تكون خطة هدفها إحداث التأثير على المدى الطويل وهى ما نتعرض له في حياتنا اليومية منذ زمن طويل كالقنوات الفاسدة والأفلام الماجنة وكتب التاريخ المغلوطة والتشكيك المستمر في الدين والعقيدة وغير ذلك كثيرا،وإما إن تكون خطة هدفها التأثير السريع ذات هدف محدود في وقت معين وتؤتى ثمارها في حينها ، وهذا النوع الأخير هو مجال بحثنا اليوم والذي نوضح فيه بعض الأمثلة التاريخية الحقيقية حتى ندرك حقيقة أهمية الإعلام ودوره في هذه الحرب النفسية ومدى تأثيرها على همة الشعوب بالإيجاب أو السلب.

حرب أكتوبر ١٩٧٣ م كانت ملحمة حقيقية برع فيها رجال المخابرات والعسكريين على حد سواء وإن كان دور رجال المخابرات أعمق واكبر أثرا . ففي عام ١٩٦٨ م وفى الوقت الذي كان فيه كلٌّ من الطرفين المصري والإسرائيلي مستمرا فى الصراع والكل يستعد للحظة الحاسمة ، اكتشف رجال المخابرات واجدا من أهم المصادر التي تنهل منها المخابرات الإسرائيلية المعلومات وهذا المصدر هو الشعب نفسه . حيث تم تعيين جواسيس متخصصة فقط في الإنصات إلى أحاديث الناس في كل مكان ،في العمل والبيت والشارع ووسائل المواصلات وحتى في السينما والمقاهي وأماكن اللهو والمرح، فكل

من يعرف حقيقة أويسمع أمرا ما يتباهى بالحديث عن معلوماته في كل مكان دون اهتمام أو حذر أو تقدير .[1]

وقد استعان رجال المخابرات بالإعلام لمواجهة هذا التسرب الهائل في المعلومات الذي يفيد العدو إفاده بالغة . ففي البداية بدأ رجال المخابرات بطلب التوعية من رجال الدين من شيوخ وقساوسة لتوعية الناس إلى ضرورة التزام الصمت حتى لا يستفيد العدو من ألسنتنا . وبعد ذلك جاء دور الطوائف الأخرى التي تكسب ثقة واهتمام المواطنين مثل الأدباء والصحفيين ومؤلفي الأغاني ومعدي التمثيليات ومخرجي المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية .

وانطلق سيل من الروايات والكتب والمقالات والمسلسلات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية يغمر وسائل الإعلام ويملأ أسماع وعيون وعقول الناس . والتف الناس حول أجهزه الراديو لمتابعة مسلسل (كلاب الحراسة) الذي كتبه (كمال إسماعيل) وكتب (محمود صبحي) في برنامج (عيله مرزوق أفندى) وكتب (رأفت الخياط) (البعثة ٦٩) ويقدم (محمد كامل) (المصيدة) وقدم (فائق إسماعيل) مسلسلين هما (اللصان والجاسوس) و (لا أسمع لا أرى لا أتكلم) والكل يدعو إلى نفس الفكرة كلٌّ بطريقته .

وفى نفس الوقت كان هناك العشرات من أصحاب الأقلام يقدمون المقالات في الصحف المختلفة مثل (حسين فهمي) و (أنيس منصور) و (عبد السلام داوود) و(صلاح هلال) وغيرهم

ونجحت الحملة أكثر وأكثر حتى إن جريدة (جيروساليم بوست) الإسرائيلية قد نشرت مقالا في عددها الصادر بتاريخ٢٦/٤/١٩٧٢ تحذر من خطورة الحملة التي تقوم بها أجهزة الإعلام المصري لتوعية الشعب.

وبالفعل نجحت الحملة الإعلامية المصرية نَجاحا منقطع النظير وتأكد هذا تماما عندما كانت تحركات الجيش في أكتوبر ١٩٧٣ م واضحة للجميع ولم تنفك ألسنة الشعب.

١- الإعلام والحرب النفسية - ياسمين الدجوي - موقع حقيقة العرب على الإنترنت .

وهكذا نرى التأثير الهائل للإعلام بشتى صوره من صحافة وإذاعة وتلفزيون وخطابة على الأفراد

مثال أخر يؤكد الدور الذي يمكن أن تلعبه الدعاية الموجهة من قبل وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق ما يريده مستخدموها من أهداف .... طوال فترة الحرب العالمية الثانية كان الألمان يستمعون إلى إذاعة ألمانية ناطقه بالعامية تنقل إليهم أخبار قادتهم وجبهتهم على نحو يوحى بأن فريقا من جنرالات الجيش المعارضين للنازية هم من يبثها من مكان مجهول من داخل ألمانيا وخاصة مع خطبها الساخنة التي تدعو لرفعة ألمانيا وتهاجم الحلفاء وقادتهم وزاد ارتباط الألمان بتلك الإذاعة المجهولة دون أن يخطر ببال أحدهم حتى قادتهم أنفسهم أنها إذاعة بريطانية بحتة أي من قبل أعدائهم يتم بثها من قلب لندن تحت إشراف (إيان فليمنج) شخصيا وهو بريطاني الذي كان يدس السم في العسل يوميا ويتسلل إلى أعماق الروح المعنوية الألمانية وينسفها نسفا من خلال قصص ملفقة عن قاده الألمان وساستهم . وقد كان لهذه الإذاعة أكبر الأثر في هزيمة الروح المعنوية للألمان حتى انتهت الحرب باستسلام ألمانيا .

الإعلام لغة يأتي بمعنى نشر المعلومات بعد جمعها وانتقائها، ويأتي بمعنى الدعوة، ويأتي بمعنى الدبلوماسية المفتوحة أو العمل السياسي الخارجي، وهذا المعنى الأخير نتج في النصف الثاني من القرن الماضي، نتيجة اشتراك الشعوب والأمم في تقدير السياسة الخارجية المنظمة في صورة تجعل لها وزنا ضاغطا.

أما الإعلام اصطلاحا، فهو عملية تعبير موضوعي يقوم على الحقائق والأرقام والإحصائيات، ويستهدف تنظيم التفاعل بين الناس من خلال وسائله العديدة، وهو أيضا تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم في تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشاكل، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاههم وميولهم.

والأصل في الإعلام إيجاد العلم عند من لا يعلم على وجه الحقيقة، وإلا كان تضليلا.

أما معرفة وظيفة الإعلام كأداة في عملية الاتصال بين الناس، ومعرفة قدرة ومستوى وتأثير وهدف هذه الوظيفة، فلا بد من النظر والتدقيق في الأسئلة التالية: من الذي يقول؟ ماذا يقول؟ لمن يقول؟ وما هو تأثير ما يقال؟ وفي أية ظروف؟ ولأي هدف؟

وهدف الإعلام الرئيس التأثير الفعلي في سلوك الفرد والجماعة، ويكون بتربية الناس وتعليمهم وتوجيههم، وتثبيت قيم ومبادئ واتجاهات عامة، والمحافظة عليها، وجمع الأنباء وتفسيرها والتعليق عليها، لتمكين وتوجيه الرأي العام، لاتخاذ ما يراه من قرارات، وخدمة الناس عن طريق الدعاية والإعلان، وإتاحة الفرص أمام الناس للتفاعل الفكري.

أما أهمية الإعلام، فتأتي من كونه أهم الأدوات التي تستخدمها الدول وحكامها في سبيل الترويج لسياسة معينة أو خط سير محدد لإقناع الرأي العام به وتمرير مشاريع سياسية.

والإعلام والسياسة توأمان لا يفترقان، فالسياسي في الحكم لا يستغنى عن الإعلام للتأثير في الرأي العام على الوجه الذي يخدم أغراضه. والإعلام هو لسان الحاكم والسياسي وهو سلاح هام للجيوش، وللقادة العسكريين. وهو كذلك من الوسائل الهامة للأحزاب والكتل السياسية التي تكافح من أجل إيصال أفكارها للناس لقيادتهم.

وهكذا، فإن سياسة الإعلام عند الكيانات السياسية إنما تكون برعاية هذه الكيانات للعمل الإعلامي عندها وفق الأفكار التي تقوم عليها لخدمة مصالحها وبناء وحماية مجتمعاتها داخليا وخارجيا.

ومن الإعلام القوي المؤثر الذي تقوده الدول الكبرى، ومنه الضعيف [illegible] الذي تتولاه الدول الصغرى. والإعلام محلي ودولي، إلا أن الثورة التكنوإعلامية في العالم حجمت من قدرة وتأثير الإعلام المحلي لصالح الدولي منه، والذي بات يخترق أسوار الحدود كما وكيفا وأصبح أداة ذات تأثير سحري على الناس.

والإعلام يمثل شكلا من أشكال الاحتكاك الحضاري، خصوصا بعد أن أضحى أداة من أدوات العولمة، والتي بات وجها آخر للاستعمار، ولم تغدو مجرد سيطرة وهيمنة

وتحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب. وها هو فرنسيس فوكوياما يضيف بعدا ثقافيا وأيدولوجيا للعولمة، معتبرا إياها وسيلة لهيمنة ما تؤمن به أمريكا. كل ذلك يجري طبعا في ظل بهرجة الإعلام المتطور، الذي ينشر ويكرس نمط الثقافة الأمريكية في العالم، لاستكمال سيطرته.

والإعلام بات وسيلة من وسائل السياسة الخارجية للدول من أجل تحسين صورتها، وهكذا أصبح الإعلام في كثير من الأحيان مزيجا من الدعاية والإعلام، لذا يمكن أن نطلق عليه الإعلام الدعائي، حيث باتت كل دولة تحدد لإعلامها الدولي أهدافا سياسية واقتصادية ودعائية تعمل على الترويج لها عند جمهورها المستهدف بشكل تجعله يتقبل سياساتها بشكل أفضل، أو يتقبل ما لم يكن يحتمله ويتقبله من قبل.

والإعلام يركز في كثير من الأحيان على الجماعات المؤثرة في النظم السياسية المختلفة، المؤثرة في صنع القرار السياسي حتى يبرز دورهم ويوجههم. كما يتسم بأنه إعلام موجه، ويتم بشكل مخطط ومقصود وليس ارتجاليا أو عفويا. كما تبدو أهميته وفاعليته في أوقات الحروب والأزمات،حيث يسعى إلى تعبئة الكراهية ضد العدو والحفاظ على صداقة الصديق، والحصول على تعاون المحايدين، وتحطيم الروح المعنوية لجمهور الدولة المعادية. رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي السابق تحدث عن هذا في ٢-٢-٢٠٠٦ وعن حرب الإعلام وأمريكا، فيقول "هذا مجال لم نبل فيه بلاء حسنا" ويقول "إننا لن نخسر حروبا أو معارك هناك. المكان الوحيد الذي يمكن أن نخسر فيه إذا فقد البلد (يعني أمريكا) إرادته، والعامل الحاسم في ذلك هو ما ينشر في أجهزة الإعلام". وهو بهذه التصريحات عمد إلى التضليل من أجل تحجيم دور الإعلام في كشف جرائم أمريكا في حروبها في بلاد المسلمين.

والحديث عن الإعلام يرتبط بقضايا تثير اهتمام السياسيين وقادة الرأي مثل الغزو الثقافي، والتبعية الإعلامية كما وكيفا، والهيمنة والاحتكار الإعلامي، والتدفق الرأسي للأخبار والمعلومات، الذي يعني ببساطة عملية توزيع من جانب واحد للمعلومات. يضاف إلى هذا قضية التحيز في التغطية الإخبارية للأحداث المهمة. إن قضية

الحياد والاستقلالية التي دعت إليها الإعلانات الدولية التي نظمت العمل الإعلامي وأخلاقياته، كإعلان بوردو وميونيخ ووينـدهوك، ليس لها أساسا في أرض الواقع في أي بلد اليوم، فليس من إعلام مستقل. أما محاولات بعض الإعلاميين أن ينطقوا بالحقائق هنا وهناك، فتذوب مع قيود السلطات ومراقبتها. ولأن الإعلام غير مستقل، وبات أداة تضليل مكشوفة، فلا قيمة للحقائق السياسية التي يبثها، حتى لو كانت براهين على تجريم الدول وبيان بطلان سياساتها، خصوصا إذا كانت مهيمنة كأمريكا. ماذا حصل بعد إعلان الرئيس الأمريكي السابق بوش والصريح أمام الشعب الأمريكي والعالم من أن الحرب على العراق اعتمدت على "استخبارات خاطئة، وأنه يتحمل المسؤولية الكاملة في ذلك"؟ لم يحصل شيء وهذا يدل على أنه لا وزن للحقائق في الإعلام إذا لم تخدم القوى الاستعمارية الغاشمة التي تسيطر على الإعلام. وبالمقابل، فإن الإعلام المتآمر لا يحتاج إلى حقائق إخبارية تستخدم في تشويه صورة المسلمين والعرب، وتسوغ اجتياح بلادهم، فهو جاهز لأن يصنعها بنفسه وجعلها حقائق. ومثال ذلك ما حصل في حرب الخليج الثانية، حين استخدمت أمريكا آلتها الإعلامية العملاقة في تشكيل الرأي العام الأمريكي لصالح سياستها هناك.

وهكذا فالغرب يوظف الإعلام في محاربة الإسلام، وهو يحاول أن يسيطر على تفكير المسلمين ببرمجة عقولهم التي تخدم أهدافه، بعد أن يقدم لهم المعلومة التي يريدها، من أجل قلب الحقائق وجعل ما ليس بحقيقة بمنزلة الحقيقة. يقول هنري رايان مسؤول السياسات بمكتب دوغلاس فيث، وكيل وزارة الدفاع الأمريكي الأسبق عن أهمية المعلومة "مع تقدم التكنولوجيا وطبيعة الحرب الكونية على الإرهاب –يقصد الإسلام – فإن المعلومة أصبحت إلى حد مّا أكبر جزء من نصر استراتيجي، وإلى حد ما نصرا تكتيكيا، مقارنة بما كانت عليه في الماضي". أما أساليب الغرب الإعلامية في هذا الشأن، فتقوم على احتكار المعلومة وفبركتها وتصنيعها، وربط الوسائل الإعلامية بأجهزته الإستخبارية، وعدم الإبقاء على إعلام موضوعي أو غير منحاز.

أما احتكار المعلومة فهو ظاهر من امتلاك الدول المهيمنة في العالم على أكثر من ٩٠٪ من وسائل الإعلام العالمية. كما أن ٩٠٪ من الأخبار تصدر عن ٥ وكالات أنباء فقط، وهي تحتكر المعلومات وتصوغ وتصنع الأخبار كيفما يحقق ذلك من مصلحة دولها. وعملية التصنيع هذه تستخدم أساليب مختلفة أهمها إعطاء بعض الصحفيين ودور النشر جوائز، ما يجعلهم مصدر معلومات معتمد عليه عند الناس، ومنها مهاجمة بعض الصحفيين الموضوعيين وتهميشهم، وإعطاء بعض الإعلاميين بعض الأخبار الصحيحة والخاطئة بسبق صحفي لخلط السم بالدسم.

هذا فيما يتعلق بالوسائل الملتوية لفبركة الأخبار، أما مسألة عدم وجود إعلام نزيه أو حر فأمر ثابت، ومن أمثلة ذلك ومنذ عقود، إرسال الحكومة البريطانية في ١٩٧٠ إلى البي بي سي أنها لم تعد راضية عن الكيفية التي تغطي بها الصراع مع الجيش الجمهوري الإيرلندي، ومنها حديثا الضغوط العلنية الأمريكية على قناة الجزيرة، وما نقلته الواشنطن بوست أن رئيس السي إن إن، ولتر جاكسون طلب من مراسليه أن يذكروا الجمهور الأمريكي وعلى الدوام بقتلى ١١ أيلول.

إن التضليل والتحيز في العمل الإعلامي يكاد يكون هو الأصل الآن في العالم. يقول بريجنسكي مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون قبيل حرب الخليج الأولى "أنا آخذ فقط ٢٠٪ من الأخبار السياسية المنشورة في الجرائد والتلفاز، أما الثمانون بالمائة الباقية، فإنها ببساطة كذب وتضليل".

هذا كله من زاوية الإعلام الإخباري، أما الإعلام الثقافي، فنظرة بسيطة إلى واقعه اليوم، وتحديدا إلى الإعلام الغربي الموجه، المرئي والمسموع والمقروء منه، تري كم هو يعمل على محاربة القيم الأصيلة للمسلمين، فهو يكرس مفاهيم تناقض الإسلام، ويروج لمفاهيم الإباحية والترفيه الساقط تحت دعاوى (الفن)، ويغالط في عرض الحقائق. جاء في جريدة الشرق الأوسط في ١٤-١٢-٢٠٠٥ تقريرا أعدته نيويورك تايمز يتحدث عن استراتيجية إعلامية جديدة مزمعة للإدارة الأمريكية السابقة تقوم على أساس ضرورة نشر أباطيل صرفة، بقصد تضليل العرب والمسلمين. ومما جاء في التقرير

"تتضمن خطط الدعاية المطروحة للنقاش زرع قصص إخبارية... واختلاق وثائق مزورة، إضافة إلى إنشاء مواقع باللغة العربية على شبكة الإنترنت من أجل تقويض تأثير المساجد والمدارس الدينية، التي تقدم مواعظ معادية للثقافة الأمريكية".

ومن هنا كانت وسائل الإعلام تحاول العبث في عقول أبناء الأمة، محاولة تدجينهم مع واقعهم، لتدفعهم لتصور أن الغرب متقدم بسبب ذكائه وحسن فهمه ونشاط حركته وعلو همته، وأن العرب والمسلمين متخلفون بسبب بلادتهم وكسلهم ورغبتهم في رمي مشاكلهم على ظهور الآخرين. وفي هذا الخط أيضا، فإن القوى الاستعمارية، وعلى رأسها أمريكا اليوم، تستخدم الإعلام لتيئس الناس في العالم الإسلامي من العمل والنهوض عن طريق تخويفهم من الغرب، وتركيز فكرة استحالة مقارعة أمريكا في عقولهم. فأمريكا لم تجازف بسمعتها المزيفة المبنية خلال عقود، في جوانتانامو وأبو غريب، ولم تهن الإسلام والمصحف، وتقتل الأطفال والنساء والعزل، إلا لتكسر نفوسنا، وتهزمنا هزيمة داخلية، تنبع من شعورنا بجبروتها وشدة بطشها، فنجبن عن العمل للانفكاك من هيمنتها السياسية، ونستسلم لرغباتها ونرضخ بواقع احتلالها لبلاد المسلمين.

محاولات..تضبيب العقول بوسائل الإعلام هي إحدى ظواهر الحرب النفسية، التي يُشكّل توخي تعميمها إلى تغيير وجهات التفكير نحو حالة من الجمود، على ثوابت من المُسلَّمات المعلوماتية المغايرة للحقائق، والضارة على أية حال بمعارف الجمهور.. المتلقي للإعلام.

يمكن.. من حيث تسمية أنواع المدارس الإعلامية المتخصصة في تصدير الحرب النفسية، ضد خصوم الفكر، أو العقيدة، أو المبدأ.. الاستدلال بما يلي:

١- مدرسة الفكر الإعلامي البرجوازي:

ومثالها الإعلام الغربي وتشكل هذه المدرسة بمجموع مؤسساتها الإعلامية المتنوعة، مرتعاً لإظهار الغرب وكأنه يمثل نهاية المطاف المراد لنيل الآمال المرتجاة منه فقط، وكل ما دونه غير مؤهل لذلك، ولا يمكن أن يكون جديراً

لوضع الحلول المطلوبة، لما يعتري البشرية من مشاكل واستعصاءات.. فأي غرور إعلامي هذا؟!

٢ ـ مدرسة الفكر الاعلامي التبعي :

ومن صنوف مثالها الإعلام في معظم البلدان النامية، وما تقدمه هذه المدرسة لا يتعدى في أفضل الأحوال من ترديد ببغائي بما يمليه الغـرب عليها، مـن بلورة مواقف وأفكار وتعليقات وآراء، بحيث تُقدّم بطرق نادراً ما يصاحبها إظهار التباين الحقيقي لذا فهذه المدرسة اللاهثة وراء أطروحات الغرب والمنفذة لأوامره بصورة عمياء، يُلاحظ أن روادها وقيادييها وكوادرها، لم يدعوا شيئاً لخط رجعتهم إلى طريق السوية الإعلامية، حتى أمام بني جلدتهم، بعد أن انسلخوا برغباتهم وإرادتهم عن مجتمعاتهم.

٣- مدرسة الفكر الإعلامي المتلاعب:

ومن مثالها الإعلام الانتهازي غير الهادف، ويمكن إصدار التقييم الأولي على هذه المدرسة المستفيدة ماليا والحاصلة على وجاهة تافهة واللامفيدة للجمهور المتلقي للإعلام، بأن المجازفة بالسمعة هي ابرز سمة تجمع بين الإعلاميين العاملين فيها، أولئك المفتقرون للكثير من التطلع الواعي، الذي تُبنى عليه موجبات وغايات الرسالة الإعلامية السامية.

ان.: يكون موضوع شن الحرب النفسية نهجاً كافلاً بحد ذاته لتعميم نموذج التبرير الاستلابي لدى أجهزة إعلام عديدة، فهذا استنتاج رغم الجهود الإعلامية الهائلة المبذولة، لكن لم يحسم شيئاً من حقيقة الصراع المعنوي، القائم بين بعض الفصائل والجهات المتناوئة، وتلعب حالة تماثل ما يقدمه العلم والتكنولوجيا من جديد متوال بهذا الصدد، دوراً حاسماً لإمكانية توسيع أو ربما حسر رقعة أي حرب إعلامية، مع أن الحرب النفسية الإعلامية حين تتجاوز جغرافية المكان، وطبيعة البيئة المجتمعية، تبدو وكأنها مستهدفة تسخيف الطرف الآخر، المختلف معه في المنطلق الفكري أو النهج

السياسي، إذ من الملاحظ على سبيل التذكير، أن الإعلام العابر للحدود والقارات كـ(كلام البرامج الإذاعية، وصور برامج التلفزة (المبثين) غالباً ما يترجم التغرّب أو الابتعاد عن الحقيقة، وهذا ما أدى ويؤدي حتماً إلى إرهاق أذهان الجمهور المتلقي للمواد الإعلامية المتنوعة، وإلى أضعا ف وتكرار العديد من برامج الإعلاميات ذات الصلة، مما افرز هنا وهناك حالة شبه فقدان للثقة بين المتلقين للإعلام والاجهزة الإعلامية المصدرة لهم نتاجاتها في معظم بلدان العالم وحول ظاهرة التبرير الإعلامي المُدافع عن الخروقات الإنسانية، والمكمل للجرائم السياسية بحق ممن يحملون آراء أخرى فلعلّ هذا ما عكس مرض التغريب عن الأوطان، حتى لأناس يعيشون داخل أوطانهم.

والإعلام.. الاستلابي الفاقد لمصداقيته، بسبب ابتعاده عن السوية الإعلامية، أضحى ظلاً ملازماً لألاعيب أغلب السياسات المعاصرة، بكل ما تحمله من غش وأكاذيب ومغايرات ومشاكسات، لدرجة بات فيها الفصل بين أطروحات السياسة وأطروحات الإعلام، ليس بالأمر الهيّن فمن يستطيع النكران مثلاً أن قادة السياسة، وكبار الإعلاميين الاستلابيين لم يصبحوا على قدر متساو من معرفة ما يحدث أو ما سيحدث من وقائع كبرى عادة ما تكون مفاجئة عند الرأي العام، الذي ما زال يصطدم بأداءات الإعلاميات المحلية المخالفة للحق والحقيقة، وهذه الظاهرة المستسهلة لإعطاء نتاجات إعلامية، لا تمت بوشيجة الوقائع المطلوب توضيحها خدمة للعمل الإعلامي الصادق،.. قد وضعت معظم الإعلاميات المُسيسة على وجه التشخيص في زاوية حرجة، أفرزت فشلا معنويّاً لخططها، وضعفاً فكريّاً لحججها، وما أدياه من اضمحلال لنموذجها، المُقَدّم أمام قوة الصمت المفروض على المجتمعات المتضررة، جرّاء استفحال الاعلام الاستلابي، والمصير المتدني الذي آل إليه الإعلام اللامسؤول في بعض البلدان النامية والمتقدمة بآن واحد.

لم.. تشهد أي حقبة زمنية عبر التاريخ البشري، نشاطاً إعلاميّاً بكل هذه السعة والفاعلية المؤثرة، التي تنتشر بين أفراد المجتمعات اليوم، وذلك بسبب لعب عامل التطور التقني لوسائل الإعلام التي غزت كل بيت ومجتمع، ولقد وعى الساسة

الكبار في العالم بُعيد انتهاء الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م)، إلى الدور الخطير الذي يمكن ان يؤديه الإعلام، لصالح الكيانات السياسة لذلك فقد نجحوا في تجييد خلاصات العمل الإعلامي بهدف تمرير المخططات السياسية والتخريبات الاجتماعية، عبر شن الحروب النفسية ضد مناوئيهم، وأقرب مثال يستدل عليه بهذا المجال، ما سُمّي بـ"الحرب الباردة" بين الكتلتين الدوليتين الغربية والشرقية، أو بين بعض إعلاميات الدول العربية، ولعل من إحقاق القول أن المُلازمة بين الإعلام والسياسة، هو من أكثر الظواهر الملموسة لدى أي مجتمع، لدرجة غدت هناك استحالة للفصل بينهما في العديد من البرامج والمواد الإعلامية، اذ لا سياسة دون إعلام ومن فهم اشمل لهذه النقطة، فمن الموضوعية التريث في الإعراب عن القناعة، قبل إطلاق الحكم على كون الإعلام يمثل في خلاصته الفعلية، دعامة كبرى للسياسة، كما ومن ممكن وصف الإعلام في عالم اليوم بأنه جناح للسياسة.

وإذ.. يُرى أن الإعلام الغربي المعروف باتسامه باللا توازن كما يرى البعض ذلك في عرض الحقائق – بصورة عامة –، نتيجة لمغايراته الدائمة التي تتحكم فيها السياسات الغربية، الطاعنة بالوعي، والمشاكسة للنماء الثقافي، والحائلة دون نجاعة مد الجمهور بكسب المعلومات المجردة من أي استهدافات سلبية مسبقة، فمن المعلوم تماماً أن الإعلام الغربي ودوائره التابعة من البلدان النامية تستغل ما يقدم لها من دعم مالي وتأييد معنوي حكومي لا تحدهما حدود، وهذا، ما يؤكد صحة اعتقاد ثقافي – اجتماعي عام مفاده أن الإعلام أمسى في أول سُلم اهتمام الدول المعاصرة، حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد الاهتمام بالعسكر (الجيش)، مما يُعدّ ذلك رسالة أكثر جدية في تعميم الحرب النفسية المؤثرة على تحريف الانطباعات الاجتماعية، بغض النظر ضد مَنْ تُشَن تلك الحرب وقد يحدث كل ذلك بتوالٍ إعلامي خلال هذه الفترة أى قبل عدة أشهر على دخول البشرية على قرنها الحادي والعشرين، نتيجة لهيمنة السياسة على معظم الإعلاميات فبنظرة سريعة على الواقع الإعلامي الدولي، يتبيّن كم سخّرت السياسة من مدارات إعلامية عديدة، وخصوصاً ما يُبث منها عبر أثير أمواج التلفزيون والراديو، إضافة لرواج ما تنشره المؤسسات المختصة من كتب ومجلات وجرائد ونشرات.. فائضة

عن الحاجات الاجتماعية الفعلية لا بسبب توظيفها للجهود الإعلامية الكبيرة، ووضعها في خدمة السياسات الرأسمالية الغربية، وما يقابلها بدرجة متواضعة لا تُقاس معها، ضد انتشار النتاجات الإعلامية عند أطراف الرأي الآخر الأهلي، المستهدف قبل غيره من أي حرب نفسية إعلامية حكومية، سواء على الصُعد المحلية أو الاقليمية أو الدولية.

قد.. يُظن أن من النتائج الاعتيادية التي تتركها عروض المواد الإعلامية المختلفة الانتهاجات، ليس لها أكثر من تأثيرات وقتية عابرة في نفوس الجمهور المتلقي لتلك العروض الإعلامية، وأن كينونتها تمر في الأذهان مرور الكرام وأن موقف إبداء المرونة من الاشياء، مسألة مقترنة عند عموم المتلقين للإعلام، بتفهم واعٍ يتجاوز أطر التفكير الذاتي، وأن الاتجاه نحو الموضوعية هو الأمر الغالب، في التعامل مع عموم النتاجات الاسلامية ولما كان الإعلام قد أصبح مصدراً متقدماً ولصيقاً في الحياة اليومية الاجتماعية، فلعل مثل هذا الطرح السطحي – إذا جازت التسمية – يقود حتماً للإقرار، بأن واحداً من اثنين هما.. إما ان نزوعاً نفسياً لا مسؤولاً لمعرفة المجهول، أو الفضول لمعرفة ما جرى أو يجري من أحداث ووقائع، هو نوع من محاولة إشباع روحية الذات عضويا أو قصداً، وهذا ما يعطي معنى بأن هناك شعوراً بالاعتقاد يستهدف رجحان التفكير، والأحكام عند المتلقين للإعلام. فمثلاً حينما يلتزم الإعلام الغربي بعدم التعليق على مذابح الأطفال والنساء في بقاع محددة من العالم، فإن هذا الإعلام ذاته يقيم الدنيا ويقعدها استنكارا عن قيام إحدى الدول النامية بإلقاء القبض على عنصر مخابراتي غربي أُدين بالجرم التجسسي المشهود. إن الاعلام الغربي ما زال يقع في اخطاء قاتلة، حين يفوّر القائمون عليه، ان المجتمعات المتمدنة سوف تبقى مستقبلة للخزعبلات الإعلامية الغربية، ودسائس أنظمتها الرأسمالية، وإلى ما لا نهاية من الأزمنة.

اعتاد.. الإعلام الغربي، أن يشير لذاتيته بكونه إعلاما حرا)، في حين من المعلوم تماماً ان هذا الذهاب النرجسي المتخايل لا تسندهُ الوقائع الملموسة فكيف يجيز الإعلام الغربي بوصف نفسه بـ(الحر)، وهو يصادر حق إعلاميات العديد من البلدان النامية، ويحاصرها بألاعيب التبعية الإعلامية له؟ وهناك انطباع سايكولوجي مازال يتطلع لما

وصل اليه طابع الصراع الإعلامي في العصر الراهن، وتقف مسألة حسبان الأمر على أساس الضرورات الحضارية، لمعرفة ما يمكن ان يتركه الإعلام الفوضوي المغامر من أثر وتأثير خصوصاً وأن الاقتناع بالسائد من الإعلام يكاد يكون موضوعاً مفروغاً من بحثه، وهذا ما يجعل هناك دافعاً مستمرّاً وبالذات لدى المجتمعات العربية والإسلامية لعمل شيء فاضل، لتحقيق الارتقاء بالإعلام من اجل الحفاظ على نقاء الهوية، ووضع حدود عقلانية لوقف عمليات، تثقيف الأجيال إعلاميا بمبادئ الباطل، واللا أبالية، والخذلان عن ركب الحياة الحقيقيّة، وأن مجالات الإعلام قد طالت جوانب لا حصر لها من اهتمام الأفراد – كل منهم على حدة – وأن أخطر ما يواجه تركيبة المجتمعات الحضارية، هو الزحف لسلبيات واستلابات الإعلام الحديث.

و المعيار.. الإعلامي الأول متى ما كانت خلاصة الغاية منه هو الرجاء لبناء وإنعاش النفوس بروح الثقافة الحية، فيمكن أن يكـون هذا المكسب المعنوي الأهـم الأخذ بالأيادي إلى أن يعيش، ويتعايش الناس فيما بينهم، على أفضل ما يكون الاستمتاع بجمالية الأخلاق الإنسانية.

وفي كتابه الإعلام الدولي وبعض إشكاليات الخطاب الإعلامي العربي يكشف الدكتور وليد حسن الحديثي بعد تناوله وضع الإعلام العربي وحقيقة الإشكاليات التي يعاني منها والتحديات التي تواجهه اليوم في الجوانب التقنية والتكنولوجية والتدفق المعلوماتي العالمي وغير ذلك . . يكشف حقيقة المشكلة الإعلامية العربية – من وجهة نظره – بالقول أنها تكمن في أن الإعلام العربي لا يقرأ العالم وتطوراته إلا بعد حين، وهذا بدوره يجعل الإعلام العربي يفكر دائما بحالة تراجعية متخلفة عن فهم حالات التطور التي تحصل في بناء المعلومات أو طبيعة تناولها لوسائل الاتصال المتعددة. وبذلك فإن المؤلف لا يتفق بالرأي مع ما يشاع حول أن المشكلة الإعلامية العربية قد نتجت بسبب فرض الأنظمة العربية طوقا رقابيا على العقول والأقلام.

ويذهب المؤلف إلى التأكيد بأن وسائل التكنولوجيا الحديثة بكل أنواعها وأشكالها قد غيرت بصورة جذرية الطريقة التي يتعامل ويتعايش بها الناس مع الأحداث التي

تجري حول العالم حتى أصبحت ثقافتهم اليوم ومعرفتهم مرتبطة بالتدفق المعلوماتي الذي يوجه يوميا إلى أسماع وأنظار ابناء العالم ، وخاصة من خلال التلفزيون ومن ثم الإنترنت.

ولذلك فإن المؤلف ينصح الإعلام العربي والقائمين عليه اليوم بأن عليهم أن يقرءوا ويحللوا مضمون التفكير عند الأمريكان والغرب بهدف تطويق حالة الاجتياح المعلوماتية والثقافية التي تحملها وسائل الاتصال والإعلام بأشكالها وأنواعها المختلفة.

ويقول المؤلف في هذا الشأن إن عمق التفكير وشموليته سيقود أصحاب الفكر والسياسة إلى وضع إستراتيجية عربية تؤمن عملية الوصول إلى أهداف العالم وصراعاته وتطلعاته، وهذا بدوره يمكن أبناء الجيل العربي الجديد من عشق تقنيات المعلومات باعتبارها أدوات للتطور واللحاق بركب الحضارة وليس لاستثمارها كمتعة والوقوف عندها كحالة من حالات الانبهار.

ويتناول المؤلف موضوع الاتصال وتاريخه والنظريات الخاصة به والمفاهيم التي ترتكز عليها قيم الاتصال ويعرِّف في المبحث الثاني من هذا الفصل الإعلام الدولي وأهدافه ووظائفه ووسائله وجوانبه المختلفة وحدوده كوسيلة من وسائل السياسة الخارجية والإعلام الدولي في إطار المنظمات الدولية وكذا سمات أو ملامح النظام الإعلامي الدولي.

كما يركز الباحث على جوانب الإعلام الدولي في إطار السياسة الخارجية كونه إحدى وسائل السياسة الخارجية التي توظفها الدول لخدمة أهدافها في اختراق منظومة القيم الثقافية للدول الأخرى فيما يعرف بالغزو الفكري والإسهام في إعلاء شأن الثقافة الأمريكية أو الغربية عموما وتهميش ثقافات الجنوب وبقية الدول والترويج لعالمية السوق فيما يعرف بالعولمة.

وما يهمنا هنا بعد هذا التقديم لمحتوى الكتاب بشكل عام هو ما جاء في الفصل الثاني بعنوان " الحرب النفسية وتطور الدعاية الأمريكية " حيث يطرح المؤلف مسألتي

الحرب النفسية وتطور الآلة الإعلامية الأمريكية متضمنا ماهية الحرب النفسية ومدلولاتها وكيفية ارتباطها بسير العمليات الحربية، قائلا إن الحرب الشاملة هي خليط بين الحرب العسكرية والاقتصادية والنفسية ، مستشهدا باستخدامات الحروب النفسية في العصور المختلفة في تمويل صورة الجيوش لزرع الهزيمة في صفوف العدو وجعلهم فريسة للمخططات والأهداف التي تمهد للسيطرة عليها واستعمارها ، موضحا بأنها تستهدف الناس كمجموعة وأفراد إلى جانب المدنيين والعسكريين.

وتطرق المؤلف إلى موضوع الدعاية والفرق بينها وبين الدعوة حيث استخدمها الإغريقيون في فلسفاتهم ، والعراقيون والفراعنة أثناء الحروب ، كما استخدمها اليونانيون لتحقيق الأهداف السياسية والعسكرية، كما استخدمت في وسائل التبشير المسيحية، وفي عصر الدولة العباسية لنشر الدعوة الإسلامية ، مرورا بالفاطميين والأيوبيين الذين استخدموها لتغيير معتقدات الشعب المصري في تلك المرحلة ، حتى أصبحت الدعاية علما له قوانينه خلال الحرب العالمية الأولى مع اختلاف المسميات في كل دولة واعترف بها كعمل منظم ودائم في زمن السلم والحرب.

ويخلص الكاتب إلى تعريف بعض الموجات الفكرية التي سادت العالم وحملت طابع الغزو ومنها الغزو الثقافي والفكري، الامبريالية الثقافية، الاستعمار الثقافي، الاستعمار الإعلامي، الغزو الإعلامي والاختراق الإعلامي والعولمة، والدور الذي لعبته وسائل الاتصال الحديثة في تطور أساليب وفنون استخدام الدعاية، إلى جانب قواعد وحدود الدعاية التي وضعها وليم البيج وكيفية تأثيرها على الجمهور المتلقي ذكر منها أن الدعاية المقنعة تلجأ دوما إلى التلاعب بمشاعر الجماهير والمبالغة في الروايات والإشاعات والمعلومات التي يبثها على الجمهور بقصد التأثير عليهم وصرف اهتماماتهم عن الموضوعات الأصلية إلى موضوعات تافهة، ويتم التركيز فيها على عملية التكرار المتصل والمستمر وعدم الدخول في جدال ونقاش إلا في أضيق الحدود ومع الجماعات الصغيرة التي لا تعتمد على المنطق والتعرف على اتجاهات الجمهور السائدة للوصول بهم إلى المرغوب فيها.

أما عن قواعد الدعاية فهناك سبع قواعد تهدف إلى هدم الدعاوى الرئيسية للخصم قبل حدوث عمليتي التعلم والتأثر بالدعاية ولعل أبرزها تجريد الخصم ودعاويه من الأسلوب العاطفي المثير وكشف تناقضاتها ومهاجمة مواطن الضعف لدى الخصم وتسخيفه بالدعاية الهزلية الساخرة والمهاجمة الشخصية من خلال التناقض والزلات والفضائح الشخصية والعمل على إشاعة جو القوة وخلق الشعور بالإجماع وفرض لغة الدعاية ورموزها وشعاراتها.

ويستعرض الباحث في المبحث الثاني من هذا الفصل تطور الدعاية الأمريكية خلال أربع مراحل وهي مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية من خلال تأسيس لجنة المعلومات العامة في العام ١٩١٧م لإحباط الروح المعنوية والحط من قدرة الجيش الألماني عبر إطلاق الشائعات ودورها وقام رولد لاسويل في تنظيم الدعاية الأمريكية من خلال أفكاره التي أصبحت جزءا من النظرية الأمريكية القائلة بان الدعاية تنقل إلى الناس الأفكار والآراء، وكيف صدر الأمريكان سياسة بلادهم للخارج باستخدام الإذاعات الموجهة وإنشاء جهاز مركزي للدعاية السياسية الأمريكية في الداخل والخارج في العام ١٩٤٠م عبر إذاعة صوت أمريكا.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية تطور نشاط المنظمات الدعائية الأمريكية لتشمل دولا أخرى و أنشأت إدارات للحصول على المعلومات وتنفيذ أساليب الدعاية الإعلامية وتولي مسالة الحرب النفسية ضد العدو، حتى أصبح مكتب المعلومات الحربية مرتبطا بالخارجية الأمريكية في العام ١٩٤٥م حيث أصبحت عملا منظما للحكومة الأمريكية.

وبعد الحرب العالمية الثانية وبدء الحرب الباردة والصراع النفسي بين القوتين السوفيتية والأمريكية تمكنت الولايات المتحدة باستخدام الأجهزة الإعلامية والدعائية المتطورة من استمالة المشاعر وخلق مواقف مؤيده لها حيث تم تزويد (٩٠) دولة بأكثر من (٢٠٠٠) محطة تلفزيونية فضلا عن المحطات الإذاعية وصولا إلى الانقضاض على عدوها التقليدي.

بعد مرحلة الحرب الباردة وبروز مفهوم العولمة كنتاج للثورة العلمية والتكنولوجيا تمكنت الولايات المتحدة من السيطرة على تكنولوجيا المعلومات لتحرير مخططاتها الدعائية تصدير نمط الحياة الأمريكية للاستيلاء على الشعوب الأخرى.

وظهر ذلك من خلال تجنيد الشبكات الإذاعية والتلفزيونية ونجوم هوليود والاستفادة من الأمية التكنولوجيا في العالم الثالث لغرض الهيمنة والتحكم والانفراد والسعي لعولمة الإعلام خاصة بعد هجمات ١١ سبتمبر وما صاحبها من تغير استراتيجي في السياسة الخارجية الأمريكية في محاربة الإرهاب والانتقال من سياسة الردع والاحتواء إلى الحرب الوقائية التي استهدفت دولا عدة تحت ذريعة الإرهاب أو الدول المارقة.

و يقول المراقبون الإسرائيليون إن إسرائيل واجهت في الحرب خصماً اعلاميا ذكيا ومتطوراً إبان عدوانها على لبنان صيف ٢٠٠٦ .

ويقول « ألون بن دافيد » المعلق العسكري للقناة التلفزيونية الإسرائيلية العاشرة في معرض توصيفه الحرب الإعلامية بين المقاومة اللبنانية وإسرائيل خلال حرب تموز ٢٠٠٦ « كانت تلك حرباً غير ناجحة وأقول إن إعلامنا عكس حرباً لم تكن جيدة .. إسرائيل واجهت في الحرب خصماً إعلامياً ذكياً ومتطوراً ذا قدرات إعلامية وبنية تحتية إعلامية لم تعرف إسرائيل مثيلاً لها في تاريخها ، حزب الله كان خصماً أشد ذكاء من جميع الخصوم ، لقد كانت الحرب الاشد في الناحية الإعلامية من أي حرب سابقة في تاريخ إسرائيل » .

هذه الكلمات وغيرها الكثير من اعترافات المحللين السياسيين العسكريين الصهاينة وصولاً لتقرير « فينو غراد » تعكس حجم الأزمة التي عاشتها إسرائيل أثناء عدوان تموز وهي تشي بواقع جديد سحب فيه البساط من تحت التفرد الإسرائيلي بقوة التأثير عسكريا كان أم نفسيا ليمتلك الطرف العربي ومقاومته أو بالأحرى يراكم من تجربته في الحرب الإعلامية .

وإن حصرنا حديثنا في توصيف مديات الحرب الإعلامية التي خاضها الإعلام المقاوم في لبنان خلال عدوان تموز ٢٠٠٦ إلا أن هذا لا يعني أن ممارستها من قبله

تشكل وضعاً جديداً ربما يمكننا من القول : إن المقاومة اللبنانية تراكم من تجربتها في هذه الحرب اتساقاً مع المجهود العسكري في جناحها المقاتل ليكمل بعضهما البعض في أداء يبني احدهماعلى الآخر وان كان الأساس هو الفعل القتالي الذي يؤديه المجاهدون ليستثمر إعلاميا .

إذن إن ممارسة الإعلام المقاوم أسلوب الحرب النفسية ليس بالأمر الجديد بل الجديد هي أدوات الممارسة إذ يسجل لحزب الله ضمن هذا الإطار استخدامه الصوت والصورة (الكاميرا) في توثيق عملياته عبر الإعلام الحربي أثناء حرب التحرير حيث تسجيلات الاستشهاديين الذين ينفذون عملياتهم والابتسامة تعلو وجوههم في رسالة مختصرة للعدو تقول (إننا نعشق الموت دون الأرض) وبالتالي فما تخوفوننا منه نحن مقبلون عليه بعزة وفرح وهذا التسجيل لمثل هذه الحالات له منعكساته السلبية مع الجهد العسكري المقاوم على الجهة المستهدفة وهي العدو الإسرائيلي .

كما وثق حزب الله خلال تلك الفترة عملياته ضد العدو من اقتحام مواقع وأسر جنود وتصد لعدوان وهي تسجيلات حية تنفذها عناصر الإعلام الحزبي وقبل الحديث عن دور قناة المنار نقول : إن حزب الله لم يوفر في حربه النفسية أية وسيلة يستطيع استخدامها وصولاً إلى الشبكة العنكبوتية وحرب المواقع فيها إذ غالباً مايخترقها حزب الله عبر كوادر مختصة مستهدفاً مواقع الكترونية للعدو أو من يؤيده يخترقها ليبث رسائله للعالم عن حقيقة الكيان الصهيوني .

بعد انطلاقة المنار عبر بثها الأرضي والفضائي أتيح المجال بشكل أوسع لدائرة الحرب النفسية التي يؤديها حزب الله وقد تألق دورها في حرب تموز لتصبح ممراً تبث فيه رسائل الحزب عن اختراق منظومة الاتصالات الصهيونية وقد أشار لاحقاً أحد الكتاب الأمريكيين حول ماأشيع عن هذا الاختراق بأنه جزء من الحرب النفسية وقد أثرت كثيراً حيث مررت المقاومة هذه المعلومة إلى قناة« المنار» والتي وصفها أحد الكتاب الأمريكيين بأنها تمثل دور صحيفة (البرافدا) السوفيتية وقد غرس حزب الله مراسلي المنار مع تشكيلات مقاتليه ليتوزعوا على المناطق اللبنانية كافة وكما عبر هذا

الكاتب فإن القاعدة المعمول بها بالنسبة لأولئك المراسلين هي (إن تستطيع التقاط فيلم فأنت لم تقاتل) ومما هو معلوم أن هؤلاء المراسلين تلقوا تدريبات عسكرية مثلهم مثل حملة السلاح من المقاومين لإدراك الإسرائيليين حجم الضغط الذي يشكله الإعلام المقاوم فقد جرى في اليوم الثاني للحرب استهداف قناة المنار وإذاعة « النور » في سبيل حجب الدور الذي تمارسه في الحرب النفسية الموجهة للداخل الصهيوني إذ دمرت الطائرات الإسرائيلية المبنيين التابعين لهما لينقطع البث لثوان عدة بشكل متقطع **ولكن « المنار» والقائمين على المقاومة كانوا متحسبين لهذه الاحتمالات حيث تعددت أمكنة البث لتلفزيون المنار مواصلاً عمله معتمداً في حربه النفسية عدة نقاط وهي :**

الرمز :

عندما نتحدث عن المقاومة فإننا نتحدث عن المنار أيضاً إذ شكل حضور الأمين العام لحزب الله عاملاً أساسياً في حربها الإعلامية والذي وصفه أحد المحللين السياسيين وخبير علم النفس السياسي الإسرائيلي بـ (أبي الحرب النفسية) حيث شكلت إطلالات الأمين العام للحزب عاملاً مؤثراً نتيجة لمصداقيته المعهودة حتى في الاوساط الصهيونية إذ وكما قيل فإن الاسرائيليين يصدقونه أكثر من قادتهم ولعل المؤثر أكثر أن إطلالاته كثرت حاملة رسائل عملية بعد ما راج عن استهدافه ومقتله استثمر للإعلام المقاوم ظهور نصر الله ومحاكاته لتوازن رعب أرسته المقاومة مع العدو كما في عبارته الشهيرة « إن قصفتم عاصمتنا سنقصف عاصمة كيانكم الغاصب » وغالباً ماتقطع المنار بثها لإيصال رسائل حربه النفسية ضد العدو قد شكل ظهوره وحديثه الهاتفي عن تدمير البارجة «ساعر » وقوله « هاهي الآن ترونها تحترق » صدمة كبيرة زادت من الضغوط النفسية وأربكت حركة العدو لينتقل لاحقاً للحرب البرية.

صوت وصورة بالتوازي :

رسائل الحرب النفسية عبر « المنار » جاءت بالتوازي بين الداخل اللبناني والداخل الصهيوني وصولاً للعربي والعالمي فهي تنقل مشاهد صواريخ المقاومة وهي تدك

المستوطنات والمدن الاسرائيلية ومعها تصريحات « أولمرت » بتدمير المقاومة وإسكات صواريخها وتحقيق الأهداف الإسرائيلية التي يكذبها مشهد الصواريخ المنهالة على إسرائيل ومعها حالة الرعب والانهيار التي يعيشها الداخل الصهيوني ولتبث معها مشاهد استهداف إسرائيل نتيجة العجز عن البنية العسكرية للحزب - استهداف - المدنيين والبنية التحتية للبنان وهي الرسالة التي وصلت العالم مع صور الأطفال الذين يبحثون عن لعبهم بين أنقاض البيوت المدمرة وشكلت المنار مصدراً خبريا أوليا للقنوات العربية ذات الانتشار وحتى الأجنبية كما مثل صور (مجزرة قانا) وغيرها من المجازر الرهيبة كما كانت متابعات « المنار » عبر رسائلها تظاهر حجم الدعم العربي والتظاهرات المنددة بالعدوان عكس مواقف بعض الساسة إذن هى رسالة عزة وفخر بقصف صواريخ المقاومة لإسرائيل وحجم الخسائر والرعب الذي عاشه داخلها وأعجوبة الصمود التي مثلتها مجموعات صغيرة من المقاتلين الذين يخوضون حرب عصابات ضد جيش نظامي بل الأقوى في المنطقة فخطاب الحرب الإعلامية لقناة «المنار » مثل توازياً في رسائله حيث صور للمشاهد صمود اللبنانيين تقابلها صور الخوف والهلع من قبل الإسرائيليين واعتمدت « المنار » التصريحات لقادة العدو وتناقضها مع وقائع الأحداث لتزيد من وتيرة الضغط النفسي لدى الداخل لديهم وقد مثلت «الفلاشات» الساخرة والمبثوثة عبر شاشتها عنصراً في تأكيد مصداقيتها والمقاومة معها باظهار تناقض التصريحات الإسرائيلية مع الواقع .

مصدر خبري أولي :

يقال : الحرب خدعة وهذه القاعدة مباحة شرعاً وعقلاً وهذا الأمر اعتمدته « المنار» عبر شبكة مراسليها المنتشرين في الاراضي اللبنانية وكما قلنا حتى وسط المقاتلين وإن أشار بعض الخبراء الإسرائيلين لاحقاً أن الحديث عن اختراقات لمنظومة الاتصال الإسرائيلية لم يكن دقيقاً إلا أنهم اعترفوا كما أسلفنا بأن هذه المعلومة التي سربتها «المنار » التقطها كثير من مراسلي الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية كما العربية شكلت عامل ضغط نفسي أثر في قرارات القيادة العسكرية كما استثمر هذا التخبط بتحويل

الحرب من القصف الجوي إلى التدخل البري ومحاولات الإنزال والتي فشلت جميعها -- استثمر - لصالح تعزيز وجود هذا الاختراق وبالتالي باتت « المنار » مصدر معلومات أولي لا كطرف مباشر .

وهكذا كانت الحرب الإعلامية وبشهادة العدو بتنا كعرب في الجانب المقاوم نتقنها بما يشكل أرضية صلبة نستند إليها في معرفة عدونا وقدراته فالإعلام يشكل ثلاثة أرباع المعركة وبواسطته تهزم الخصم وأنت في وضعية الجلوس .

وهنا نقول : إن حرب تموز باتت مصدر قراءة للأحداث التي فيما قبلها وبعدها كدلالة على متغيرات حدثت وستحدث بناءً عليها ومن تقييم الخبراء المختصين أن حرب تموز كانت إعلامية بامتياز فإن هذا ينبهنا لخطورة الدور الإعلامي سلباً أو إيجاباً ووكلما مرت ذكرى هذه الحرب نستذكر فقط أنها كانت محطة عِزٍّ صنعها الإعلام كما صنعتها الدماء .

ولم يكن الحال في العراق يختلف كثيرا عن كونه حرباً نفسية إعلامية في المقام الأول .. نعم لقد أصبح الإعلام في زماننا هذا الخط الأول للجيوش وقلبها ومؤخرتها، فهو يشارك في الحرب قبل تحرك الجيوش ، ومع تحركها ، وبعد انتهاء المعركة ، ولا شك أن أكثر ما نسمعه هذه الأيام في الوسائل الإعلامية هو من قبيل الحرب الدعائية بين الحكومة الأمريكية ومن والاها وبين العراق والمسلمين ، فليس كل ما تعلنه الحكومة الأمريكية والإعلام الغربي أو الشرقي يكون صادقاً أو دقيقاً ..

إن التصريحات التي يُطلقها ساسة البيت الأبيض والحكومة البريطانية ليست ارتجالية على الإطلاق ، وإنما هي نتاج لقاءات بين متخصصين في علم النفس وسياسيين وإعلاميين يتفقون على صيَغ موحدة للتأثير على الرأي العام العالمي وفق دراسات ميدانية علمية تاريخية نفسية .. هذه التصريحات التي تنقلها وسائل الإعلام لها مدلولات وأهداف خاصة تصب في مصلحة القوات المعتدية في فترة معينة ثم تستخدم بعدها مصطلحات ومفاهيم أخرى للفترة المقبلة وفق مجريات الأحداث يحددها أهل الخبرة والدراية ..

ولحسن الحظ أن الإدارة الأمريكية لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب إعلاميّاً بحيث تستطيع التأثير على الرأي العام العالمي في الحروب (وإن كانت تملك أضخم القنوات الإعلامية في العالم) ، فقد رأينا في حرب الصومال كيف أنها حضّرت له إعلامياً لأكثر من سنتين ينقل إعلامها المجاعات والصور لأطفال الصومال ، ثم بدأت عملية احتلال الصومال تحت غطاء المساعدات الإنسانية ولكن سرعان ما انكشف زيف ادعاءاتها للعالم بعد أن اصطدمت قواتها بالمجاهدين الصوماليين الذين برهنوا للدنيا بأن الأمريكان غير مرغوب بهم من قبل سكان الصومال ، فقد زعمت أنها أتت لمساعدة الصوماليين وإذا بها تقتلهم .. ويجب أن ننبه بأن الحكومة الأمريكية قد تُسلم الحرب الإعلامية للبريطانيين الذين هم من أخبث الناس في هذا المجال لخبرتهم الطويلة ومعرفتهم الكبيرة بالنفسية العربية والإسلامية ..

وسوف نذّكر هنا بعض الأساليب الدعائية الأمريكية في الحرب الراهنة للتحذير منها أولاً ، ثم لمعرفة أسلوب العدو في حربه الدعائية وكيفية التعامل معها :

بعض الأساليب الدعائية الأمريكية في الحرب العراقية :

١ - إستخدام مصطلح "صدام" أو "حزب البعث" : فالإعلام الأمريكي والغربي عامة لا يقول بأنه يحارب "دولة العراق" بل يردد بأنه يحارب "صدّام" أو حكومة "صدام" أو "حزب البعث" وهذا يهدف إلى تقليل تفاعل الجموع الإسلامية مع العراق لكون المُحارَب لم يزل عدوا للإسلام والمسلمين في نظر أكثر الناس .. والرد على هذا يكون بتركيز الحكومة العراقية على المعاني الإسلامية في خطاباتها وتصريحاتها لتكسب الرأي العام الإسلامي ، وتبتعد كل البعد عن التركيز على "البعث" أو على شخص صدام ..

٢ - التركيز على استخدام ألفاظ كـ "الأكراد" أو "كردستان العراقية" للإيحاء بإقرار الحكومة الأمريكية بحق الأكراد في وطن قومي لاستجلاب الأكراد في صفهم وللتفريق بينهم وبين باقي الشعب العراقي ، وقد رأينا مثل هذا في

الحرب الأمريكية على أفغانستان حيث أعلن بوش عن موافقته لقيام "دولة فلسطينية" لكسب الرأي العام الإسلامي (فهل يتعظ بعض الأكراد) .. والرد على هذا يكون بالتركيز على أسلمة القضية ومخاطبة أحفاد صلاح الدين من منطلق إسلامي شرعي تاريخي ، مع بيان الأسباب الحقيقية للحملة الصليبية على بلاد الإسلام ..

٣ - الضرب على وتر "الشيعة المضطهدين" في العراق ، أو الأقليات المضطهدة فيها للتفريق بين العراقيين وربما التحريش بينهم ليكونوا كأفغان الشمال الذين وقعوا في الفخ الأمريكي بكل سهولة فأصبحوا كبش فداء القوات الأمريكية الغازية لبلادهم .

٤ - التذكير بماضي "صدام" الدموي في الوسائل الإعلامية لكسب الرأي العام الإسلامي خاصة والعالمي عامة ، وهذا يصرف النظر (بعض الشيء) عن تاريخ أمريكا الدموي في جميع أنحاء العالم .. فينبغي على الإعلام العراقي تذكير الناس بما جنته الحكومة الأمريكية على شعوب العالم وفضح تاريخها الأسود ..

٥ - تكرار أسماء الدول العربية التي تنطلق منها القوات الأمريكية لخلق نوع من السخط في الشارع الإسلامي عليها ومن ثم عزلها عن باقي جسد الأمة ، وبهذا يسهل إبقاؤها كقواعد دائمة للقوات الأمريكية في المنطقة ، ولصرف نظر البعض عن الغزو الصليبي وإشغالهم بنقد هذه الدول ، وللإيحاء بأن العالم العربي في صف القضية الأمريكية العادلة (لسماح الدول العربية بانطلاق الطائرات والصواريخ الأمريكية منها) .. ينبغي على الحكومة العراقية مخاطبة الشعوب العربية والإسلامية وعدم استعداء أي شعب (وخاصة شعوب دول الجزيرة والشام) ، والتفريق بين الشعوب وحكوماتها والتصريح بأن أمريكا أرغمت حكومات هذه الدول على التعاون معها بغير إرادتها ..

٦ - التركيز على تكرار الأسباب المُعلنة للحرب : كنزع الأسلحة ، وتخليص العالم من "صدام" وغيرها من الأسباب التي قد تصبح في يوم من الأيام من المسلّمات بسبب التكرار . والتركيز على "أسلحة الدمار الشامل العراقية" يصرف النظر عن استخدام أمريكا وبريطانيا لهذه الأسلحة ضد العراقيين (وقد استخدم الجيش الأمريكي القنابل العنقودية في اليوم الثاني من الحرب على العراق) .. فينبغي على الحكومة العراقية تذكير الناس بتاريخ أمريكا في استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد بعض الدول وكشف استخدام أمريكا وبريطانيا للقنابل "المحرمة دولياً" في حربها الحالية برغم إعلانها أنها بدأت الحرب لتخليص العالم من هذه الأسلحة ، وبهذا يكون للعراق الحق في الدفاع عن نفسه بأسلحة مشابهة !!

٧ - يركز الإعلام الغربي على إظهار صافرات الإنذار لبعض الدول العربية وتصوير مشاهد تلك الدول وهي تتعرض للقصف العراقي ، وذلك لكسب الرأي العام العربي .. فينبغي على الحكومة العراقية إعلان أن الجيش الأمريكي هو المتسبب في هذا القصف بتواجده في تلك الدول وبناء قواعده فيها ، وأن الشعب ليس هو المستهدف في هذا القصف ، وأن الأمريكان يقصفون المدنيين العراقيين من تلك الدول فيجب الرد عليهم وعلى مواقعهم العسكرية ، وإذا كانت القنابل الأمريكية الذكية تُخطئ أهدافها بين الحين والآخر ، فالقنابل العراقية من باب أولى .

٨ - يستخدم الإعلام الغربي بعض العرب ممن يُطلق عليهم لقب العَلمانيين للدفاع عن هذه الحرب الصليبية ضد العراق في وسائل الإعلام العربية ، فإذا دافع العرب عن الأمريكان فليس لأحد الاعتراض على أمريكا !!

٩ - عمدت القوات الأمريكية بمساندة قوات "طالباني" و "بارزاني" المرتدّين على منع الصحفيين من التواجد في مناطق الأحزاب الإسلامية الكردية في شمال العراق وذلك لمنعهم من نقل ما يدور هناك من قصف أمريكي عنيف

وقتل للأكراد المدنيين العزّل من قبل الأمريكان ، ولو أن الإعلام نقل ذلك لتفككت أواصر الصلة بين بعض الأكراد والأمريكان ولأدرك الأكراد بأن الأمريكان لم يأتوا لتحريرهم من "صدام" .. فينبغي على الحكومة العراقية أن تعمل جاهدة على توصيل صور ضحايا الأكراد جراء القصف الأمريكي للإعلام المحلي العراقي وللإعلام والعربي والدولي ..

١٠ - يبث الإعلام الغربي صور لأسرى عراقيين ، وتضخم التصريحات الأمريكية والبريطانية أعداد الأسرى وتُعلن بين ساعة وأخرى عن استسلام الجنود العراقيين لتبث حالة من اليأس في صفوف الجيش العراقي ، وكذلك تُعلن عن اضطرابات داخلية في الحكومة العراقية أو إشاعات بمقتل "صدام" تهدف من ورائها إلى نشر حالة من الفوضى في صفوف القادة الميدانيين وأفراد الجيش العراقي .. وقد أحسن العراقيون بإظهار الأسرى الأمريكان على شاشات التلفاز ، ولا ينبغي لهم الاستماع إلى الأمريكان بضرورة معاملة الأسرى وفق معاهدة جنيف ، وإن استخدم الأمريكان سلاح القوانين الدولية فعلى العراقيين تذكير العالم بأسرى جوانتنامو ..

١١ - تُعلن الحكومة الأمريكية عن سقوط المدن تباعاً في يدها لقتل روح المقاومة في الجيش العراقي وليخلق حالة من الذعر والهلع في صفوف المدنيين العراقيين.. وينبغي صد هذه الهجمة النفسية بالإعلان عن سقوط أعداد كبيرة من القتلى والأسرى في صفوف الأمريكان والبريطانيين لإرباك هذه القوات ولتهييج الرأي العام في هاتين الدولتين ..

١٢ - المراقب للإعلام الأمريكي يرى بأنه لا ينقل الجانب المعماري أو الحضاري للمدن العراقية ، وكل ما ينقله هو ليل العراق المظلم مع المناظر الصحراوية ليُعطي انطباعاً للشعب الأمريكي (الجاهل) بأن حكومته إنما تحارب بلدا صحراويا متخلفا ليس فيه جانب حضاري (وهكذا في نقلها من جميع البلاد العربية) ، واستخدمت أمريكا هذه الطريقة في حربها الباردة مع السوفييت

التي ما كانت تنقل على شاشاتها إلا صور المسنين الذين تنتقيهم انتقاءً ليكونوا أقبح الموجودين ، وتنقل معها أيام موسكو الباردة المظلمة .. ينبغي على الحكومة العراقية إبراز الجانب المدني والجمالي من الآثار والعمران في المدن العراقية على شاشات التلفاز ليفهم الشعب الأمريكي بأن هذه المدن وهذه البلاد عامرة زاخرة لها تاريخ عريق ..

١٣ - سوف تحاول الحكومات العربية الضرب على وتر العقيدة البعثية عن طريق بعض العلماء المرتزقة لتفريق الصف الإسلامي وصرف الناس عن مساندة العراق بحجة أن حاكمه وحزبه من الكفار.. ينبغي أن يكون واضحاً لكل مسلم بأن الجهاد في العراق "ضد جيوش نصرانية غازية لدولة إسلامية" لا شأن للبعثيين بهذه الحرب ، فالعراق ملك للمسلمين وليس للبعثيين أو حتى أهل العراق (كما هو الشأن في فلسطين وسائر بلاد المسلمين) ، ولقد أخطأ التلفزيون العراقي خطأً كبيراً جداً بتصوير بعض الأفراد وهم يهللون ويفدّون صداما ، فهذا من شأنه أن يقلل الدعم العربي والإسلامي للقضية ، فينبغي للإعلام العراقي أن ينتبه لهذا وأن يعمل على أسلمة القضية بدلاً من تحزيبها..

ليس المقصود هنا استقصاء جميع الإشاعات أو احتواء كل الوسائل والتكتيكات الإعلامية في هذه الحرب الصليبية ولكننا ذكرنا هنا بعض النماذج حتى نبين أسلوب العدو في هذه الحرب وكيفية تسخيره لهذا السلاح (الإعلامي) الخطير في سبيل تحقيق مصالحه ، ولكي نبين للقارئ المسلم أساليب الحرب الإعلامية والنفسية حتى لا يقع فريسة سهلة للأمواج الإعلامية النصرانية اليهودية العاتية ..

للأسف فإن الإعلام العراقي والتصريحات العراقية لم تكن بالمستوى المطلوب ، فقد أتى الكثير منها ارتجالياً لا يخدم المصلحة العراقية على المدى البعيد (ولقد رأينا ذلك جلياً في مقابلة الأسرى الأمريكان) ، فلا بد للحكومة العراقية من الانتباه لهذا الجانب الخطير من الحرب وعدم تمكين غير المؤهلين للظهور في وسائل الإعلام العالمية فإن هذا قد يؤدي إلى نتائج عكسية قد تضر بالمصالح العراقية على المدى القريب والبعيد..هذا ما كان يجب على الإعلام العراقى فعله فى حينه.

وقد اكتسبت (الحرب الإعلامية) معناها الحديث الذي نعرفه اليوم خلال الحرب العالمية الثانية إذ لم تكن الحرب الإعلامية الأولى ذات شأن مؤثر محسوس على سير الصراع فقد كانت تلك الحرب صراعاً أوربيا لإعادة ترتيب البيت الأوروبي وتوزيع الثروات والتخلص من الإمبراطوريات المتهالكة بإطلاق رصاصة الرحمة عليها وإفساح الطريق أمام القوة العالمية الجديدة الصاعدة التي كانت لها طموحات في أن يكون لها هي الأخرى ممتلكات استعمارية في إفريقيا وآسيا والعالم الجديد كما هوالحال بالنسبة لبريطانيا وفرنسا.

وكان في مقدمة الدول الطامحة إلى دور عالمي جديد يتناسب مع قوتها العسكرية وإمكاناتها الاقتصادية ألمانيا وإيطاليا على وجه الخصوص. ولكن تلك الطموحات كانت تصدم بإصرار الإمبراطوريات الفرنسية والبريطانية على الانفراد بالساحة الدولية والاحتفاظ بثروات المستعمرات **ومن هنا برزت حاجة ألمانيا إلى آلة دعائية فاعلة تحقق الأهداف التالية:**

- إعادة الثقة بالنفس إلى الألمان المهزومين في الحرب العالمية الأولى وإقناعهم بقوتهم العسكرية الجديدة.

- حشد الرأي العام الألماني خلف طموحات ألمانيا في أن يكون لها إمبرطورية عالمية.

- التوجه بالخطاب إلى الدول المعادية لإقناعها بالتنازل عن بعض الامتيازات لصالح ألمانيا.

- إخافة الشعوب الأوروبية من نتائج الوقوف في طريق ألمانيا.

- إثارة المشاعر القومية الوطنية في المستعمرات التابعة للدول المعادية.

- حشد الرأي العام العالمي (وخاصة في الدول المحايدة) إلى جانب القضية الألمانية.

وأدرك قادة (الحزب النازى) (الذين وصلوا إلى الحكم في ألمانيا تحت زعامة أدولف هتلر في عام ١٩١٣م) إمكانات الراديو في تحقيق جل هذه الأهداف بمفرده فجعلوا منه السلاح الرئيسي في الحرب الإعلامية (حتى إن الحرب الإعلامية في ذلك التاريخ كانت تسمى الحرب الإذاعية) وإسناد أدوار أقل خطورة إلى كل من الصحافة والسينما فيما كانت الإذاعة الألمانية تخاطب العالم كله كانت الصحف والسينما موجهة بشكل رئيسي لتوجيه الشعب الألماني ورفع معنوياته. ولنعرف مدى الاهتمام الذي حظي به الراديو في خطة الحرب الإعلامية يكفي أن نقرأ ما كتبه (أدولف هتلر) في كتابه كفاحي عن الإذاعة إذ يقول: (الإذاعة سلاح مخيف إذا تحكمت فيه أيد قادرة تجيد استخدامها) وقد شرح مدير الإذاعة الألمانية آنذاك (يوجين وبسكي) هذا القول عندما كتب يقول:

(إننا نتهجى كلمة راديو من خمسة حروف تعقبها ثلاث علامات تعجب.. إذ إن الإذاعة لها قوة تبلغ حد الإعجاز فهي أقوى سلاح يفتح القلوب، ويتخطى الحدود ويجتاز الأبواب الموصدة ويعبر جميع المعوقات ليصل إلى القلب ثم العقل).

وأعلن (جوبلز المسئول الأول عن الدعاية في ألمانيا النازية) أن الإذاعة سوف تتولى في القرن العشرين المهمة التي قامت بها الصحافة في القرن التاسع عشر. وهذا يعني أن الإذاعة كانت حجر الزاوية في خطة الحرب الإعلامية الألمانية.

. وفي مواجهة ذلك كانت الإذاعة البريطانية منذ عام ١٩٢٢م تذيع برنامجاً واحداً باللغة الإنجليزية موجهاً إلى مستعمراتها أشرف على إعداده وبثه مدير الإذاعة آنذاك (جون ديث) وكان الهدف تعزيز الروابط بين المستعمرات وعاصمة الإمبراطورية. والترفيه عن العاملين البريطانيين هناك بتمكينهم من سماع البرنامج المحلي يذاع في الوطن ولكن على الموجة القصيرة. وكانت تلك البرامج الموجهة تتضمن إشارات خفية إلى إنجازات الشعوب الواقعة تحت مظلة التاج البريطاني وتقدمها في مسيرة الحضارة والمدنية وإضفاء صفة الفضيلة والرسالة الإنسانية على دور بريطانيا الاستعماري في العالم. وحرصت الحكومة البريطانية على إبقاء مسافة آمنة بينها وبين الإذاعة فجعلتها مؤسسة مستقلة لا تتبع بشكل مباشر للحكومة البريطانية وإن كانت قد ألزمتها

بالتنسيق مع وزارة الخارجية حيال ما تذيعه من شئون سياسية حساسة خصوصاً في أوقات الحرب والأزمات السياسية.

أما عن خصائص الحرب الإعلامية الألمانية في الحرب العالمية الثانية فقد كان الراديو السلاح الرئيسي في الحرب الإعلامية وكان وزير الدعاية الألماني (جوزيف جوبلز) أحد أشهر الموهوبين في التاريخ في مجال الحرب الإعلامية إذ يستطيع أن يستخدم الراديو والصحافة والسينما في الدعاية السياسية للحزب النازي بنجاح حتى حقق له شعبية واسعة وانتشاراً كاسحاً بين طبقات الشعب الألماني، وعندما تولى وزارة الدفاع بشكل رسمي في عام ١٩٣٣ نفذ جملة دعائية هائلة لخدمة المصالح الألمانية والتطلعات السياسية لزعيمه (هتلر). وقد تمكن من تحقيق ذلك باتباع سلسلة من المبادئ نسبت إليه ووقعت في يد القوات الأمريكية بعد الحرب وكانت تتألف مع شروحاتها مما يزيد على ٦٥٠٠ صفحة.

ومن أبرز سماتها الآتي:

أ- ضرورة إطلاع مخططي الدعاية على تقارير الاستخبارات واتجاهات الرأي العام.

ب- ضرورة التخطيط المركزي لجميع مناشط الحرب الإعلامية.

ج- إسناد تنفيذ خطط الدعاية والحرب الإعلامية إلى الجهات التي خططتها.

د- نجاح الحرب الدعائية يقاس بمدى تأثيرها في سياسات العدو وتصرفاته.

هـ- إباحة اللجوء إلى الكذب والتشهير بالأعداء بل أنه كلما كانت الكذبة كبيرة كانت أقرب إلى التصديق.

و- عدم الالتزام بالرد على الحرب الإعلامية المعادية بل يجب التركيز على الخطط المركزية المعتمدة

ز- أن الأخبار هي سلاح عسكري ضد العدو وليست لتقديم المعلومات للعامة فقط ويجب التعامل معها على هذا الأساس.

ح- ضرورة وجود خطتين إعلاميتين إحداهما للاستهلاك الداخلي لبناء الثقة والطمأنية وأخرى خارجية لإقلاق العدو وخلخلة معنوياته بجميع الأساليب بما في ذلك الكذب والخداع والافتراء والنميمة.

ط- الحفاظ على المبادأة والسبق الإذاعي والسبق الصحفي(كان يرى أن المتحدث الأول هو المتحدث الصادق في رأي المستمع والقارئ).

ي- ضرورة التركيز على الشعارات السهلة الترديد والكلمات المثيرة للأصداء والعواطف.

ك- حشد الطاقات الإعلامية إلى أقصى درجة لاستثمار النجاحات السياسية والعسكرية والتجديد الدائم في عرض آثار تلك النجاحات المباشرة وغير المباشرة.

وإلى جانب ذلك قام (جوبلز) بتنظيم المهرجانات الوطنية التي كان (هتلر) يلقي خلالها الخطابات النارية بأسلوب يتسم بالانفعال المسرحي لإشعال حماس الألمان وكانت تلك الخطابات تبث على الهواء من خلال الإذاعة وتصور سينمائياً لتعرض على الجماهير في صالات العرض حول العالم، وإلى جانب ذلك كانت آلة الدعاية الألمانية تقوم بتنظيم الرحلات السياحية، والمؤتمرات الأدبية، والمعارض الفنية التي تمجد الأمة الألمانية وتبرز ما حاق بها من ظلم على أيدي أعدائها إلى جانب إبراز إنجازات الحزب النازي وآماله المستقبلية لألمانيا. وكانت الدعاية الألمانية تستثير الحمية الألمانية وتوغر صدر الشعب الألماني على جيرانه من الشعوب الأوروبية الذين أخضعوه بشروط مهينة وقاسية ومجحفة بحق الأمة الألمانية في معاهدة السلام في فرساي.

والحقيقة إن الدعاية النازية لاقت قبولاً تلقائيا لدى الألمان وآذاناً صاغية بين الشباب إذ استطاعت أن ترفع عدد الأعضاء المنضمين إلى الحزب من أقل من مائة ألف عام ١٩٢٨م إلى ما يزيد على المليون عام ١٩٣٢م.

وقد عمد (جوبلز) زيادة عدد مستمعيه بإرسال الرسائل التي تحتوي على جدول برامج الإذاعة الألمانية ومقتطفات من محتوياتها إلى كبريات الصحف والشخصيات السياسية والأدبية والثقافية في مختلف أنحاء العالم وكان يحرص على إبراز ردودهم على تلك الرسائل في البرامج الإذاعية وكذلك مكافأة المستمعين الذين يراسلون الإذاعة بالهدايا على شكل صور موقعة من نجوم الإذاعة أو مناظر من الريف الألماني، كما كان يشجع السفارات الألمانية على تأسيس نوادي الاستماع إلى الإذاعة الألمانية في العواصم العالمية الكبرى وتزويدها بأجهزة الالتقاط ذات الجودة العالية حيث يلتقي أفراد الجالية الألمانية ومواطنو الدول الأخرى للاستماع إلى الفنون والموسيقى الألمانية مع كثير من الدعاية السياسية النازية.

- وأدرك النازيون أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لربط أوربا بآسيا ولمد نفوذهم إلى الشرق من خلال تركيا وإيران وشمال العالم العربي(بلاد الشام) ولأن هذه المنطقة سقطت في دائرة النفوذ الفرنسي والبريطاني بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وقامت بريطانيا وفرنسا بإحكام قبضتها عليها. ركز الألمان خلال الحرب العالمية الثانية على إثارة هذه الشعوب ضد الحلفاء كما فعلت بريطانيا عندما أثارت العرب ضد تركيا) خلال الحرب الأولى. فأنشأ الألمان مع حلول عام ١٩٣٥ سبعة معاهد متخصصة في دراسات الشرق الأوسط (لغويا، وسياسيا، ودينيا، وجغرافيا إلخ..)

ونشطوا في مجال تأسيس الجمعيات المتخصصة في القضايا الإسلامية ليتسنى لهم التخاطب المباشر مع القيادات الدينية بعيداً عن الرقابه السياسية. ونشطت حركة إعادة طباعة القواميس الألمانية- العربية- والتركية وكذلك إصدار نشرات باللغات العربية والتركية والإيرانية تدعو إلى تنمية الصداقة بين ألمانيا والمتحدثين بهذه اللغات وإظهار أن المانيا وشعوب الشرق الأوسط لديهم الكثير من التطلعات والآمال والأعداء المشتركين.

وأشرف أحد قادة الحزب الناري وهو"الفرد روزنبرع" على الدعاية الموجهة للشرق الأوسط. كما حاولوا ولكن بنجاح محدود ترجمة أفلامهم ودبلجتها إلى اللغة

العربية وعرضها في العواصم العربية الكبرى وكان سبب فشلهم هو وقوف السلطات البريطانية والفرنسية ضدهم وعرقلة محاولاتهم لتأمين صالات العرض السينمائي. لكن الشعارات الألمانية نجحت في استقطاب مجموعة من الصحفيين والكتاب المعارضين لبريطانيا وفرنسا وتبنتهم وعملت على تزويدهم بمعلومات محرجة للنظام الاستعماري الفرنسي بهدف تأليب الجماهير وإثارة نقمتها على سلطات الانتداب في الدول العربية. واكتملت قوة آلة الدعاية النازية الموجهة للشرق الأوسط بتأسيس إذاعة برلين الموجهة في ضاحية سيسن على بعد حوالي ٢٥ كلم من برلين التى كانت تبث البرامج بلغات هي العربية والتركية والفارسية وكان لها متابعون ومعجبون، فى العالم العربي، كان المستمعون يترقبون صوت المذيع العراقي المشهور "يونس بحري" وهو يهدر بلهجته العراقية الجميلة " هنا برلين.. حى العرب " وبلغ من اهتمام ألمانيا بالدعاية السياسية في الشرق الأوسط والعالم العربي خصوصاً أن قام رئيس ومخطط الدعاية الألمانية جوزيف جوبلز بزيارة المنطقة في عام ١٩٣٩م ليرى بنفسه مدى فاعلية الحرب الإعلامية الألمانية ضد الحلفاء.

واستخدام الألمان إذاعتهم ومناصريهم من الكتاب في استغلال الأحداث المحلية المؤسفة لإطلاق الشائعات المناهضة للحلفاء وتحريض الشعوب ضدهم والثوره عليهم. فإذا ما أصاب الوباء" منطقة ما ومات عدد من الناس كان تبرير آلة الدعاية الألمانية أن الحلفاء يجرون تجارب على نوع جديد من الأسلحه الكيمائية أو الجرثومية وإذا ما تعرضت فنانة مشهورة لحادث فإن ذلك يكون من تدبير مخابرات الحلفاء. وهذا ما حدث عندما قتل ملك العراق الملك غازى في عام ١٩٣٩ في حادث سيارة بادرت إذاعة برلين إلى بث خبر يقول بأن المخابرات البريطانية هي التي خططت لاغتيال الملك بسبب معارضته للهمجية الاستعمارية البريطانية على بلده مما أثار العراقيين وفجر المظاهرات في المدن العراقية الكبرى حتى إن المتظاهرين المنفعلين فى مدينة الموصل هاجموا القنصلية البريطانية وأقدموا على رجم القنصل البريطانى هناك موتك ماسون" بالحجارة حتى لفظ أنفاسه ومات قبل أن تصل أي نجدة لإنقاذه .

وقد استخدم الإيطاليون الصحافة لترسيخ الشعور الوطني وإذكاء القومية الإيطالية بين أوساط الشعب الإيطالي وكان الخطاب الإعلامي الإيطالي يعتمد على الخطب الرنانة والفصاحة والإشادة بأمجاد الامبراطورية الرومانية التي حان وقت استعادة جزء منها. وكانت فصاحة موسوليني وخطبه المتتالية التي كانت تدغدغ أحلام الإيطاليين وتطلعاتهم القومية وسجله في تحقيق نهضة إصلاحية وتنموية في إيطاليا قبل الحرب من أقوى أسلحة استثارة همة الشعب الإيطالي وإقناعه بخوض الحرب وعملت آلة الدعاية الإيطالية بكل جهدها لتبرير وجودها في شمال إفريقيا باعتباره استعادة لعلاقات تاريخية لها آثارها وشواهدها هناك مما يجعل إيطاليا أحق الناس بالعودة إلى مسارحها الإمبراطورية التاريخية كذلك الترويج لفكرة توسعة الممتلكات الاستعمارية لإيطاليا في إفريقيا وأجزاء من آسيا إن أمكن فيما بعد.

وركزت الصحافة على إبراز قوة وتفوق الصناعة العسكرية الإيطالية في مجالي الطيران والمدرعات وأن جيشها يحتاج الفرصة فقط لتثبت كفاءته وتفوقه وتحقيق آمال إيطاليا في الظهور كقوة عالمية صاعدة فيما لجأت الإذاعة إلى تشجيع الموسيقيين والمطربين على إنتاج الأناشيد الوطنية التي تتغنى بإيطاليا وزعيمها موسوليني وانتصارات جيوشها ولكن الإنجازات العسكرية الإيطالية في ميادين القتال لم تسمح لحربها الإعلامية بالازدهار وإظهار المواهب، وبالتالي لم يكن للدعاية الإيطالية دور متميز خلال الحرب. على الرغم من قوة إذاعتها الموجهة باللغة العربية من(باري) في جنوب إيطاليا التي كان لها مستمعوها في الدول العربية المطلة على البحر المتوسط وسجل حافل بالإنجازات الإعلامية في مجال التحريض وبث الشائعات المعادية للحلفاء قبل الاشتراك الفعلي في الحرب.

أما بالنسبة لخصائص الحرب الإعلامية اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية فقد ركزت قبل بداية الحرب وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة في البيان على شحن المواطن الياباني بأفكار ملخصها أن اليابان قوة إقليمية صاعدة جديدة بقيادة الشعوب الآسيوية واستثمار خيراتها فيما يعود على اليابان والشعوب الآسيوية بالخير المشترك

ولكن ما يحول دون ذلك هو سيطرة الرجل الأبيض(الأوروبي) على مقدرات آسيا واحتلاله لأراضي شعوبها واستغلال خيراتها. ورفع اليابانيون شعار(آسيا للآسيويين) واستغلوها أسوأ استغلال فعندما اكتسحوا الصين والفلبين والملايو وغيرها لم يكونوا رسل التحرير بل غزاة بالغي القسوة والضراوة والجبروت. ولم تجد آلة الدعاية اليابانية صعوبة كبيرة في حشد طاقات الشعب الياباني لبناء قوة عسكرية على غرار القوة العسكرية الألمانية، فقد كان الشعب الياباني يعتبر إنجازات هتلر في إعادة بناء القوة العسكرية واستعادة هيبة ألمانيا مثلاً يستحق الإعجاب ويجب أن يحتذى إذا كانت اليابان تسعى لاحتلال المكانة التي تستحقها في آسيا وهي زعامة الشعوب الآسيوية لبناء إمبراطورية كبرى تحت التاج والهيمنة اليابانية. وعملت الصحافة المطبوعة والراديو ما هو مطلوب منها بنجاح داخل اليابان أما نجاحها خارج اليابان وتأثيرها في الشعوب الآسيوية المستهدفة فقد كان محدوداً جدا بل إن الفظائع التي ارتكبها الجيش الياباني خلال تقدمه من الأراضي المجاورة دمر كل أثر طيب (مهما كان ضئيلاً) للإعلام الياباني إذ كان الجيش الياباني يتصرف في المناطق التي ينجح في دخولها تصرف الأباطرة الفاتحين لا تصرف الأشقاء المحررين مما جعل كثيراً من الشعوب الآسيوية تترحم على عهد الاستعمار الأوربي الذي هزمته آلة الحرب اليابانية المندفعة بلا رحمة أو إنسانية في تعاملها مع أعدائها سواء أكانوا عسكريين أو مدنيين من السكان أوربيين أو من السكان الأصلين للبلاد.

وقد كثف اليابانيون أعمال المحطات الإذاعية السرية (الدعاية السوداء) التي تدعي كذباً وزوراً وبهتاناً أنها إذاعة أحد الشعوب التي يحاربها اليابانيون وتقوم تلك الإذاعة بعد تقمصها شخصية الإذاعة الوطنية بتوجيه نداءاتها وبرامجها إلى ذلك الشعب للكف عن القتال والانسحاب كما تذيع أخباراً ملفقة عن إقدام زعامة الشعب وقياداته على إبرام معاهدات صلح أو استسلام أو هدنة مع اليابان في الوقت الذي يقوم فيه الجيش الياباني بتكثيف عملياته لاستغلال فرصة البلبلة والتردد التي تسود الخصم، كما كانت تلك الإذاعات تتقمص زوراً وبهتاناً دور بعض الشخصيات الوطنية المعروفه بمعاداتها لحكوماتها وتقوم بتوجيه النداءات والمبادرات السياسية باسمها(زوراً

وبهتاناً) إلى الشعوب للكف عن القتال والتعاون مع القوات اليابانية حيث إنهم (أي تلك الزعامات) قد توصلت إلى إبرام اتفاقيات مع اليابانيين لاستلام السلطة وبدء عهد الحكم الذاتي الحر. واستخدمت في ذلك مذيعين يتقنون لغات ولهجات خصومهم واستطاعت في البداية أن تحرز نجاحات واضحة لكن أمرها انكشف بعد ذلك وقلت فاعليها. ومع ذلك استمر اليابانيون في توجيه إذاعاتهم إلى الأمريكيين في الولايات المتحدة والمحيط الهادي لإضعاف معنوياتهم ولإقناعهم بفكرة استحالة استسلام اليابان وحتمية الصلح معها.

لكن اليابانيين حققوا أكبر نجاحاتهم الإعلامية باستخدام المبرقات (التلغراف) بشكل فعال لاستمالة الصحف الأمريكية فقد كانت مكاتب الدعاية اليابانية تعد تقارير صحفية إخبارية غاية في الإتقان والصدق وتعمد إلى إرسالها إلى مكاتب الصحف في المدن الأمريكية الكبرى، وكانت تلك التقارير تصدر باللغة الإنجليزية وتعد بطريقة احترافية تجعلها جاهزة للإدراج في الطبعات الأخيرة من الصحف وكانوا يزودون تلك الصحف بخدمات خاصة بحيث يكون لدى كل صحيفة تقرير مختلف عن الأخرى وكانوا يضعون في اعتبارهم اختلاف التوقيت ومواعيد صدور الصحف في الولايات المتحدة من نيويورك شرقاً وحتى كاليفورنيا غرباً وقد نجحوا في تقمص العقلية الصحفية الأمريكية واستطاعوا أن يقنعوها بالتعامل معهم واعتماد أخبارهم فكانت تلك الرسائل الصحفية تجد طريقها إلى النشر في الصحف الأمريكية وهكذا نجحوا في حشد طاقات الشعب للاستمرار في القتال وتحمل المشاق والصعاب وكذلك في تقديم خدمة إخبارية من الدرجة الأولى لرؤساء الصحف والمجلات المعادية حتى لا تنفرد بهم آلة الدعاية الأمريكية الرسمية -. بل كانوا في بعض الأحيان يوجهون وسائل إرشادية بتأخير الطبع لمدة محددة نظراً لورود أخبار هامة سترسل بعد قليل ومن العجيب أن كثيراً من الصحف الأمريكية المحلية في الولايات المتحدة والمدن كانت تستجيب لذلك وتوقف الطبع في انتظار الأخبار ولكن في نهاية المطاف عندما قرر الإمبرطور الاستسلام بعد قصف هيروشيما ونجازاكي كان الراديو هو الوسيلة التي حملت هذا القرار المصيري إلى أسماع اليابانيين وكانت تلك هي المرة الأولى التي يسمع فيها المواطنون العاديون إلى صوت الامبرطور فأحنوا رؤوسهم واستمعوا إلى رسالته بخشوع واحترام وحزن شديد.

وتعتبر الدعاية العسكرية أهم أسلحه الحرب النفسية الحديثة الإعلامية وهي الاستخدام المخطط لأي نوع من وسائل الإعلام بقصد التأثير في عقول وعواطف جماعة معادية معينة أو جماعة محايدة أو جماعة صديقة أجنبية لغرض استراتيجي أو تكتيكي معين. والدعاية لها أثرها على المدنيين وعلى العسكريين على السواء. وتبنى الدعاية الحديثة على أساس علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى.

ومن مميزات الدعاية في الحرب النفسية مايلي:

١ - تنشر التخاذل، وتثبط المعنويات، وتعمل على تحطيم الدوافع والبواعث للقتال.

٢ - تجد الدعاية طريقها في كل كلمة مكتوبة أو منطوقة وفي كل صورة مرسومة ومطبوعة، وهي أكثر انسيابا في تيار الحياة اليومية للناس، وتسرى في النفوس دون ما ضجة ولا صخب إلى أن تنتهي بهم رويدا رويدا إلى تبديل الرأي والعقيدة وتغير الاتجاهات ثم اعتناق الآراء التي ترسمها لهم .

٣ - لها تكتيك يشبه تكتيك القتال، فهي تهاجم وتدافع وقد تنسحب من قطاع من الجبهة لكي تسدد ضرباتها في قطاع آخر، وقد توهم بالهجوم من ناحية بينما هي تحشد قواها من ناحية أخرى.

ومن أنواع الدعاية في الحرب النفسية ما يلي :

١ - **الدعاية الإستراتيجية** : ضد الشعوب المعادية لبث روح الاستسلام واليأس.

٢ - **الدعاية التكتيكية** : ضد القوات المسلحة المعادية، لبث روح الهزيمة.

٣ - **الدعاية الخاصة** : إلى البلاد المحايدة بغرض كسب تأييدها .

٤ - **الدعاية البيضاء**: الصريحة العلنية، ومصدرها معروف. وتتحمل الدولة مسئوليتها، وتستخدم جميع وسائل الإعلام.

٥ - **الدعاية السوداء:** الخفية السرية، وغير الرسمية، وهي غير مسئولة، وتصعب مقاومتها .

٦ - **الدعاية الرمادية:** لا يعرف مصدرها، وهي بين العلنية والسرية.

ومن أهم أهداف الدعاية في الحرب النفسية ما يلي:

١ - تغير الفكر والاتجاه، وتغير القيم والمعتقدات والرأي والسلوك تغييرا من شأنه أن يحقق الكسب لنا والخسارة للعدو.

٢ - إحداث الفرقة بين صفوف العدو وزعزعة إيمانه بمبادئه ومعتقداته وأفكاره وخفض قدرة العدو القتالية بإضعاف روحه المعنوية وزعزعة معتقداته التي يؤمن بها والتشكيك في قدرة العدو على تحقيق النصر في حال نشوب القتال، مع تهيئة جماهيرهم للوقوف ضد فكرة الحرب وبث الرعب والخوف في قلوب قوات العدو المحاربة، وحملهم على الاستسلام والفرار، وبث روح التذمر والتمرد بين جنودهم

٣ - كسب العدو فكريا، ودعم المكاسب فيما احتل من أرض العدو، وإظهار أن قضية العدو خاسرة، واستغلال الفكرة التي تزعم أنه لا جدوى من المقاومة، واللعب بنفسية الشعب والقوات المعادية، ورفع معنويات العناصر الموالية في أرض العدو حتى يحين الوقت المناسب لاستخدامهم

٤ - الخداع والتمويه الاستراتيجي، وتشجيع الآمال الزائفة، والتقليل من شأن انتصارات العدو، والتهويل من شأن هزائمه .

٥ - كسب التأييد والرأي العام العالمي، وتنمية الاحتفاظ مصداقية الدول الحليفة، والحصول على صداقة الدول المحايدة. وإظهار عدالة القضية التي يقاتل من أجلها .

أهداف الحرب النفسية :

يمكن تلخيص أهداف الحرب النفسية فيما يلي :

١ - بث اليأس من النصر في نفوس القوات المعادية، وذلك عن طريق : المبالغة في وصف القوة وفي وصف الانتصارات والمبالغة في وصف الهزائم حتى يشعر العدو أنه أمام قوة لا يمكن أن تقهر، وتوضيح أن كل مجهودات النهوض والتقدم في صفوف العدو ضائع سدى، واستخدام مبدأ الحشد في عدد الطائرات والدبابات، والصواريخ، والتلويح بالتفوق العلمي والتكنولوجي .

٢ - تشجيع أفراد القوات المعادية على الاستسلام، وذلك عن طريق : توجيه نداءات إلى القوات المحاربة للعدو بواسطة مكبرات الصوت- قبل أن يبدأ الهجوم- تدعوهم إلى الاستسلام وعدم المقاومة وتوزيع منشورات تحتوي على حيل مختلفة لتشجيع الاستسلام .

٣ - زعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه، وذلك عن طريق : إثبات استحالة تحقيق هذه المبادئ أو الأهداف وتصوير المبادئ والأهداف على غير حقيقتها، وتضخم الأخطاء التي تقع عند محاولة تحقيق هذه المبادئ والأهداف.

٤ - إضعاف الجبهة الداخلية للعدو وإحداث ثغرات داخلها. وذلك عن طريق: إظهار عجز النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن تحقيق آمال الجماهير والضغط الاقتصادي على حكومة العدو حتى ينهار النظام الاقتصادي . وتشجيع بعض الطوائف على مقاومة الأهداف القومية والوطنية. وتشكيك الجماهير في ثقتها بقيادتها السياسية. وتشكيك الجماهير في قدرة قواتها المسلحة على مواجهة عدوهما المشترك. وإيجاد التفرقة بين القوات المسلحة وباقي قطاعات الشعب المدنية في الجبهة الداخلية. والدس والوقيعة بين طوائف الشعب المختلفة .

٥ - تفتيت وحدة الجبهة القومية والعالمية المعادية، وذلك عن طريق: التشكيك في أهداف التعاون بين أعضاء هذه الجبهة، وتشجيع بعض أعضاء الجبهة على الخروج على ما تجمع عليه الغالبية، وإثارة مخاوف أعضاء الجبهة من بعضهم البعض، والتشكيك في قدرة أعضاء الجبهة.

- **الحرب النفسية وتوجهها:** توجه الحرب النفسية لشل معنويات العدو، وتثبيط عزيمته على القتال، وإلقاء الرعب في قلبه، ودفعه إلى الاستسلام. والحرب النفسية حرب شاملة توجه إلى القوات المسلحة وتمتد إلى الجبهة الداخلية، إلى الشعب كله من عسكريين ومدنيين. وهي حرب متصلة ومستمرة في زمن الحرب والسلم على السواء. إنها تشن قبل الحرب الفعلية لتحطيم معنويات العدو، وأثناءها لزلزلة ثباته وبعدها لإخضاعه. وتغلغل الحرب النفسية في جميع شئون ونواحي الحياة، في السياسة وفي الاقتصاد والنواحي الاجتماعية وفي النواحي التربوية .

وتقوم الحرب النفسية على الهجوم والدفاع في وقت واحد وهي تستخدم على أوسع نطاق في الحرب الخاطفة . ولا بد من إحداث التغيرات نفسية في كل من الجهتين المحاربة والداخلية قبل نشوب الحرب. أما حرب الأعصاب فيؤدي إلى وباء من الذعر. لذلك يجب غرس سمات المهارة والشجاعة والإقدام والإصرار على المقاومة في القوات المسلحة. ويجب التمسك بشعارات مثل "النصر أو الاستشهاد" وشعار "احرص على الموت توهب لك الحياة" ولاشك أن المستعدين للموت في سبيل وطنهم هم وحدهم المواطنون وهم وحدهم الذين يستحقون الحياة. إن فرقة في الجيش أفرادها أصحاء نفسيا وروحهم المعنوية مرتفعة، يساندهم جبهة داخلية قوية، محصنون ضد الحرب النفسية التي يوجهها العدو، مثل هذه الفرقة تقبل على المعركة بحماس وعزيمة وتحقيق النصر تحت نداء " الله أكبر".

وإذا كان ميدان الحرب النفسية هو الشخصية، فإن أسلحتها هي الكلمات، والأفكار، والدعاية، والإشاعات، وهذه توجه مباشرة إلى الأفراد والجماعات، ومن أخطر أسلحة الحرب النفسية سلاح الرعب الشامل وهدفه تدمير الروح المعنوية

للعدو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" نُصرت بالرعب" . وكذلك من الأسلحة الهامة في الحرب النفسية الخداع. قال الله تعالى" وإن يريدا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين".

ويمكن تلخيص الوسائل التي استخدمت في الحرب النفسية قديما فيما يلي:

١ - الخداع عن طريق الحيل والإيهام" أن الحيلة هي أساس فن الحرب وينبغي التظاهر بالعجز عندما تتوافر القدرة على الهجوم، والتظاهر بعدم العمل عند الرغبة في استخدام الجيوش، وإقناع العدو بأننا بعيدون عندما نكون على مقربة منه، وبأنهم قريبون وهم بعيدون عنه. استخدموا الفخ لجذب العدو. وتظاهروا بالفوضى ثم حاربوه" .

٢ - إثارة القلق والتوتر باستخدام وسائل مثيرة مثل الشتائم.

٣ - الافتراءات وتشويه قضية العدو التي يحارب من أجلها .

٤ - زعزعة الإيمان بالنصر وإشاعة الانهزامية.

٥ - إنشاء قوة خاصة جبارة لا تقهر، والتحقير من قوة العدو.

٦ - التهديد بواسطة التسليح.

٧ - الإرهاب وبث الذعر والتخويف من الموت والفقر وإطلاق الشائعات.

٨ -الإغراء والتضليل والوعد والوعيد، ومحاولة كسب العناصر المحايدة والمترددة.

٩ - استغلال الخلافات الدينية والعقائدية واستثارة الطائفية والعنصرية وتأجيج الأحقاد.

١٠ - استغلال العلاقات الزوجية مثل إخبار الجنود أن زوجاتهم يرتكبن الخيانات الزوجية وأنهن مصابات بأمراض سرية، مما يجعل جنود العدو في حالة يأس وقلق مستمر على ذويهم قد يؤدي بهم إلى الانهار العصبي أو الفرار من الميدان .

يُقصَد بالدعاية: ترويج معلومات وآراء منتخبة وَفق تخطيط معين بقَصد التأثير في عقول وأعمال مجموعة معينة من البشر لغرض معين؛ قد يكونُ عسكريا أو اقتصاديا، وهي أحد أسلحة الحرب النفسية الفتاكة التي فرضت نفسها في الحرب الحديثة أكثر من أي وقت مضى، مما حفز الدول على التفنن في كيفية استخدامها لتحقيق أعظم فائدة منها، ولا يقتصر استخدامُ الدعاية على وقت الحرب فقط، بل يشمل وقت السلم أيضاً.

وغنيّ عن البيان أن الإنسانية قد استعانت منذ أقدم العصور بكثير من الوسائل التي تندرج اليوم فيما نسميه بحرب الدعاية، وقد تطورت هذه الوسائلُ حتى بلغت في قرننا الحالي ذروة ما يمكن أن تكون عليه.

ولم تعد الدعاية تقتصر على المقاتلين في المعركة؛ تدفعُهم عن المقاتلة إلى الاستسلام، وتقنعهم بالهزيمة المؤكدة، بل ولم تعد الدعاية تقتنع -بالإضافة إلى ما سبق- بسكان الأراضي المحتلة؛ تكسبهم لقضيتها، وتخلق منهم الأعوان والأنصار، مباعدةً بينهم وبين أعمال التخريب والتدمير، وإنما اضطلعت الدعاية أيضا بمهمة أخرى، فأخذت تهيئ من أمر السكان وتكسبهم لقضيتها، سواء قبل الحرب أو إبّان القتال، لذا نرى الدعاية متنوعة؛ فالدعاية التكتيكية تستهدف هدفاً مباشراً، وهي سلاح يتعاون مع سائر الأسلحة الأخرى، كإلقاء المنشورات بالمدافع، واستخدام مكبرات الصوت، وإشاعة الأخبار السيئة عن مؤخرة عدوّه (مثلما كان عليه استخدام مكبرات الصوت في معركة (ديان بيان فو) في الهند الصينية).

أما الدعاية الاستراتيجيةُ فتتميز ببُعد مرماها، ويتلخص عملُها في التمهيد لعمل الدعاية التكتيكية، في حين تستعمل الدعاية التعزيزية ما استطاعت لكسب المحتلين بإقناعهم بأن الهزيمة هي النهاية، وأن كل مقاومة ينكرها المنطق.

فالخير أن يتعاون الجميع مع السلطة لتحقيق الرفاهية.

وهناك الدعاية المضادة التي تستهدف تفنيد فكر العدو أو أسلوبه، كالدعاية التي أطلقها اليابانيون متهمين الأمريكان بالهمجية عندما كانت أجهزةُ الدعاية تتحدث عن همجية اليابانيين.

من أساليب **الدعاية السوداء** أنها تستخدم الشعارات والكلمات الرنانة مثل الدكتاتور والسفّاح، كذلك استعمال المترادفات السلبية بدلاً من تسمية الأشياء بمسمياتها؛ مثل: كلمة (الفراعنة) بدل (المصريين)، والتهويل والتشويش مثل استغلال الصور الموضحة، كالرسم الكاريكاتيري كدعاية ضد الأمريكان في أثناء الحرب الكورية. غير أن الدعاية مهما كان لها من تأثير فلها قيودٌ تحُد من قيمتها، لذا يجب أن يستغل القائم بالدعاية الاستعداد النفسي للمجموعة التي يوجه إليها دعايته، وقد يتمكن من الحصول على بعض النتائج، غير أنه يخفق في الوصول إلى هدفه لإثارة نزعات متعارضة؛ فكثير من الفرنسيين كانوا يخافون الاستجابةَ لدعاية الحلفاء في الاشتراك الفعلي خوفًا من بطش الألمان.

وقد يخطئ القائم بالدعاية في تقدير من يوجّه لهم دعايته، فيحصل على نتائج مضادة لما يهدف إليه، ومن الأمثلة على ذلك: في بداية الحرب العالمية الثانية حين عسكرت الجيوشُ الفرنسية أمام خط سيجفريد، أذاع الألمان في مكبرات الصوت للجنود الفرنسيين أن الإنجليز قد نزلوا بشمال فرنسا، وأخذوا في هتك عرض النساء الفرنسيات تاركين أزواجهن في الميدان، فقوبلت القصة بسخرية وفكاهة؛ لأن الألمان كانوا يجهلون التعصب الإقليمي للفرنسيين، وكان معظم الجنود من أهل الجنوب.

ومن الأخطاء التي تحدث من أثر الدعاية طولُ الوقت، ومن الأمثلة على ذلك أن الألمان ظلوا مدة طويلة يقومون بالدعاية ضد الروس على أنهم أعدى أعدائهم. فلما تمت معاهدة عدم الاعتداء بين الألمان والروس عام ١٩٣٩م غيّر الألمان من دعايتهم. فلما عادوا وهاجموا روسيا بعد ذلك كان من الصعب عليهم إقناعُ الشعب ثانية بأن الروس أشرار.

واتجهت الحربُ الدعائية إلى الفكاهة والبرامج الساخرة والنكت التي تمس الحكم والنظام السياسي والاقتصادي وبعض جوانب الحياة واستغلال ميل الشعب إلى الفكاهة في ترديد ونقل النكت التي تركت أثرًا بالغ السوء على روح القتال لدى الأفراد، ولقد لوحظ خطورةُ هذا في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧م حين بدأت النكت التي تركت أثرًا بالغ السوء على روح القتال لدى الأفراد.

ولكن الله سلّم حين أدرك الشعب خطورة الموضوع، وقضى تماما على هذه الموجة، ولم تظهر للنكتة آثار كسلاح من أسلحة الحرب النفسية في معركة أكتوبر عام ١٩٧٣م.

كما اتجهت الحرب الدعائية إلى سلاح الغرائز الجنسية أيضا لاجتذاب الآخرين إلى الدعاية المسمومة، وكان اليابانيون يلقون المنشورات على الجنود الإنكليز وقد رسم على الوجه الآخر منها تصاوير فتيات عاريات.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على الأخبار التي بثتها وكالات الإنباء ، بعد أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية ، فإننا نجد ثمة قلقا في أوساط النخبة السياسية والمثقفة – ليس في العالم النامي فحسب وإنما – في العالم أجمع ، حول محاولات الايديولوجيات المسيطرة في الهيمنة وفرض إرادتها علينا من خلال مراقبة سلوكنا – نحن البشر – وحركة مجتمعنا بالإنصات علينا بالآذان والعيون الالكترونية المبثوثة في قواعدها العسكرية أو مؤسساتها المنتشرة على الكرة الأرضية أو عن طريق الأقمار الصناعية التجسسية التى ترانا وتراقبنا بوضوح أو من خلال تعاون العسكريين مع السياسيين والإعلاميين والجواسيس لإساءة استعمال الإعلام في الترهيب والترغيب والتحريف ، أو عن طريق الأذاعات السوداء ، التي تميطر بلادنا بالبرامج والدعاية الرمادية التي تتعارض مع قيمنا لقتل الجانب الكفاحي في وجدان جماهيرنا ، لأنها ترمي إلى تبليد أحاسيسها وإضعاف مشاعر الانفعال الجدي لديها ضد حوادث الاعتداء على القيم والأخلاق الاجتماعية وصولا إلى خلق شخصية توفيقية غير قادرة على مقاومة الانحلال والفساد والمسخ الروحي .

وقد كانت تصريحات وبحوث تلك النخبة السياسية – الثقافية ، المنشورة تعبيرا عن ذلك القلق وردّ فعل على محاولات الهيمنة بالتغيير القسري – ليس بالاتجاه نحو الديموقراطية الصحيحة ، كما تدعي ، وإنما – لخلق تلك الشخصية التوفيقية والخانعة والمتقبلة لأفكاره وأنماط سلوكه وأسلوب حياته . ومن ذلك بحث (الرقابة الخفية على حرية التعبير) للكاتب المصري السيد يسين ، الذي أكد فيه " وجود نوع من الرقابة الخفية – في الاعلام الغربي لاسيما الاميركي والفرنسي – على حرية إبداء الرأي

نتيجة القوانين التعسفية التي تحرم انتقاد السياسات الاسرائيلية (وهي الأيديولوجية المسيطرة القوية الثانية بعد الولايات المتحدة) خصوصا بعد الأحداث الارهابية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بسبب سيطرة اللوبي الصهيوني على جميع الأجهزة الفعالة في المجتمعين، حماية للأمن الإسرائيلي والمصالح الإسرائيلية .... وأن ما قدمناه - في هذا المقال من خلال عرض كتاب بونيفاس - ليس سوى حالة نموذجية من حالات الرقابة الخفية على حرية التعبير في فرنسا ، وهي حالات تستحق التأمل والدراسة حتى لا يشيع الحكم الزائف والذي مبناه سيادة حرية التفكير المطلقة في المجتمعات الغربية الديموقراطية" .

وقد أكد الرئيس محاذير محمد ، رئيس وزراء ماليزيا الديموقراطي ، تلك الحقيقة المرة عندما قال مجددا وقبل يوم واحد من إحالة نفسه على التقاعد (٣١ / ١٠/ ٢٠٠٣) بأن " اليهود يحكمون العالم من خلال إملاء إرادتهم على السياسة الأميركية ، وأن على المسلمين أن يتحدوا لمواجهة الأخطار التي تواجههم بممارسة الديموقراطية والشفافية الادارية واخذ العلم ولوكان في الصين " . وأضاف إلى ذلك " أن المعاناة التي لقيها اليهود في الماضي في أوروبا ، لا تبرر لهم الاستيلاء على أراض عربية " . بل إن الجنرال حلمي اوزكوك ، رئيس أركان الجيش في دولة تركيا ، الحليفة الاستراتيجية لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل ، قد أكد في لقائه بالصحفيين في حفل الاستقبال بمناسبة الذكرى الثمانين لإقامة الجمهورية التركية (٢٩ / ١٠/ ٢٠٠٣) في القصر الجمهوري " أن مفهوم السيادة قد تغير الآن نتيجة القواعد الدولية الجديدة في النظام العالمي المعاصر ، وبعد التاثير الهائل لتقنيات الإعلام الحديثة في حياتنا المعاصرة . فإن جارك أو حليفك يقول لك (إننا سنطير في أجوائك لإجراء بعض التمارين ، ثم يقوم بها) وكذلك يتولد لك حق مماثل في أجوائهم ، وهو أمر جديد فرضته تلك القواعد الجديدة والتكنولوجية المعاصرة . وإنني كمسؤول عسكري أعرف بأن ثمة جهات عديدة تتنصت علينا : على اتصالاتنا الهاتفية وعلى هواتفنا النقالة -الموبايل - بل وعلى هواتفنا المرئية الخاصة المتصلة مع ضباطنا في القيادة والمسؤولين الآخرين . إنه واقع جديد ، لا أقول بقبوله ولكننا مضطرون لاتخاذ الإجراءات الضرورية حفاظا على أمننا القومي وأمن مجتمعنا ومواطنينا . ولذلك فقد قمنا بتأسيس خط مباشر مع السيد رئيس الجمهورية وقادة القوات المسلحة التركية " .

فمن هم ياترى جارات وحلفاء تركيا الذين -أشار إليهما الجنرال التركي- ويستطيعان الطيران في أجوائهما ورقابتهما غير أميركا وإسرائيل ؟!! لاسيما وأن إسرائيل لا تزال تتجسس على حليفتها الاستراتيجية أميركا ، في نطاق مؤسستها الاستخباراتية والتجسسية الكبرى في العالم . فقد نشرت صحيفة الواشنطن بوست (٢٠٠٤/٨/٢٧) بأن لاري فرانكلين ، المسؤول في البنتاغون عن شؤون الشرق الأوسط واسيا - والذي كان يعمل سابقا في الاستخبارات العسكرية - قد نقل إلى اسرائيل وثائق سرية لمضمون مناقشات دارت - في البيت الأبيض - حول إيران والتي ساهمت في رسم السياسة الأميركية في شأن العراق ، تلك السياسة التي وضعت في وزارة الدفاع الأميركية . وقد أقرت إسرائيل أن أحد دبلوماسييها الكبار قد التقى بفراكلين عدة مرات . لأن الدعاية الرمادية التي تعتمد على الشوفينية الوطنية المتطرفة والأيديولوجية الغامضة - التي تنفذها إسرائيل حول القضية الفلسطينية وواشنطن في العراق قبل وبعد غزو العراق - هي نتاج تعاون العسكريين والسياسيين والإعلاميين والجواسيس ، ضد الأعداء والاصدقاء معا .

ولعلكم جميعا تتذكرون الأنباء العالمية التي أكدت قيام عملاء استخبارات بريطانيين بالتجسس على الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي عنان) قبل الحرب على العراق ومقولة ريتشارد كلارك ، مستشار البيت الأبيض السابق ، بأن (المسؤولين الأميركيين يستخدمون تحذيرات التهديدات الإرهابية التي ستتعرض لها الولايات المتحدة قريبا ، لتحقيق أهداف انتخابية " .

وتعاون الجامعات والمخابرات في بريطانيا للتجسس على الطلاب العرب . وأن تصفية حسابات عسيرة قامت بين السياسيين والجواسيس في أميركا " بسبب المعلومات المفجعة في خطئها التي أدت إلى شن الحرب على العراق " . وأن شركة ميكروسوفت الإلكترونية ، قد قامت بمساعدة الاستخبارات الصينية لاصطياد المنشقين المعارضين - الذين تسميهم الدولة بالأعداء الداخليين من المعارضة السرية - وبذلك فقد أضيفت إلى شركة برامج الكومبيوتر الشهيرة - على نطاق العالم - بممارسة للاحتكار ، تهمة سياسية .

إن الأيديولوجيات المسيطرة ، تحاول من خلال تقنيات الإعلام الإلكترونية وبإساءة استعمال حق الإعلام ، بث الدعاية الرمادية في حرب الأفكار التي أعلنتها ضد معارضي أيديولوجية المحافظين الجدد المتربعين على عرش السلطنة الإمبراطورية في واشنطن، والذين كانوا يستخدمون الرئيس جورج بوش الابن لتنفيذ مخططهم الإجرامي — الموضوع والمدروس منذ العام ١٩٩٢ — في السيطرة على العالم من خلال الاستحواذ على طاقتي البترول والغذاء في ذلك المستطيل الشرق أوسطي الكبير الممتد من نواكشوط غربا إلى حدود الصين شرقا ، في سلسلة من الحروب (العادلة !!!) التي بدأت بأفغانستان وامتدت إلى العراق وستشمل دولا أخرى في تلك المنطقة الحيوية الواسعة إذا ما تمت اعادة انتخاب بوش الابن لفترة رئاسية ثانية من جهة، وإذا لم يتنبه حكماء واشنطن إلى ضرورة ترجيح مصالحهم الوطنية على مصالح إسرائيل التي يفضلها المحافضون الجدد — بأيديولوجيتهم الأصولية اليهودية المزوجة بالمسيحية الأميركية المتصهينة التي يرفضها الفاتيكان — على مصالح أميركا نفسها، أكثر من الصهاينة الإسرائيليين، من جهة اخرى . ومن هنا تقع على عاتق المثقفين العرب — المسلمين المتنورين ، مهمة الدفاع عن قيمهم الحضارية وهويتهم الوطنية وبلادهم التي تكتنز الثروة (البترول) والمعادن الثمينة الأخرى ، بشجاعة وإقدام ودون خوف من اتهامهم — زورا وبهتانا — بمعاداة السامية أو بالأصولية أو بالانفصالية والشوفينية عند دفاعهم عن حقوقهم وحقوق الأقليات المهضومة في بلادهم وبلادنا — والتي يثيرها انصاف المثقفين ودعاة التطرف القومي الشوفيني — لأنها ، أي تلك الاتهامات ، جميعا أسلحة تلك الأيديولوجيات المسيطرة ودعاة الوصاية الفكرية والاستبداد وأصحاب فكرة إقصاء الآخر ... من أجل إسكاتنا لكي يخلو لهم الجو لتنفيذ مخططاتهم . كما إننا ندعو — من هذا المنبر الحر — حكامنا والقابضين على السلطة في بلادنا ، بأن لا يستقووا بالأجنبي الطامع ببلادهم وخيراتها ، وإنما أن يقوموا بإيلاء الثقة بشعوبهم التي هي أكثر إخلاصا لهم وأعظم قوة من كل جبابرة الأرض . ولنا في الزعيم الوطني الديموقراطي المسلم محاذير محمد ، الذي استطاع — ونيابة عن كافة المسلمين — أن يقول (لا كبيرة) لتلك الأيديولوجيات المسيطرة لإيمانه بشعبه وثقته بوطنيته ، بعد

أن استطاع القيام بالإصلاح السياسي والاجتماعي الجذري في بلاده بالاعتماد على الذات، ومن خلال التوفيق بين البيروقراطية الحاكمة و الحركة الإسلامية المعتدلة ، مع عدم إقصاء الآخر ومنح الأقليات الأخرى حقوقها بالاعتراف بالتعددية الفكرية وتعدد الهويات في بلاده ، لإجراء التغيير بمضمونه الديموقراطي الليبرالي البعيد عن قوقعة العقائدية الاستبدادية والوصاية الفكرية ، فقدم للإنسانية نموذجا فريداً – ويحتذى – في التنمية البشرية والوطنية الصادقة في بلاده . بل إن الرئيس الفنزويلي الديموقراطي (شافيز) استطاع أن يقول (لا) لأميركا رغم جبروتها ومؤامراتها ضده وضد بلاده، لأنه زاهد في السلطة وزاهد – أيضاً – في اكتناز المال أو امتلاك الجزر أو القصور في الرفييرا الفرنسية أو لاسفيكاس الأميركية ، لأنه آمن بشعبه و بقواته المسلحة الوطنية كدرع واق له ولنظامه الجمهوري الديموقراطي الشفاف .

كما أعطت الرئيسة الفليبينية درسا بليغا لكل الزعامات العربية والإسلامية في القيادة الرشيدة والشعور بالمسؤولية الأخلاقية في حماية مواطنيها واحترام كرامتهم، عندما تحدت الولايات المتحدة ورفضت كل تهديداتها وضغوطاتها بقرارها الشجاع بسحب قواتها من العراق ، من أجل إنقاذ حياة مواطن فليبيني بسيط أصبح رهينة في العراق .

(إن الأكذوبة تقوم بدورة كاملة حول العالم قبل أن تنتهي الحقيقة من ارتداء سروالها) هكذا قال "ونستون تشرشل" رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية"

وتعتبر "الأنترنيت" من ناحية القوة الكامنة ، أداة فعالة لترويج الشائعات المثيرة، بالإضافة إلى الدعاية السياسية "السوداء" والرمادية "لأن الانحياز الفعلي لمصدر المعلومات يمكن إخفاؤه بسهولة، كما يمكن تغيير أي مواد إخبارية مرئية أو حقائق ووثائق على الشبكة لتبدو الأحداث الحقيقة عند التشويه مزورة إضافة إلى التلفيق العدائي).

وتمتلك الإدارة الأمريكية وحلفاؤها في احتلال العراق، منظومة إعلامية هائلة ومحترفة في مجال الدعاية، سخرت على الدوام لتمرير مخططات حروب الولايات المتحدة الأمريكية واستهداف ضحاياها، لم ترتق هذه المنظومة إلا ما ندر إلى مستوى

الإعلام الهادف والمهني والباحث عن الحقيقة، بل لم تكتف بذلك وأنتجت وسائل ومفاصل وأدوات ناطقة بللغة العربية والمحلية للبلد المستهدف وإدارة حرب التأثير لغزو العقول والقلوب وترويج الحلم الأمريكي، في معظم الصراعات. ومن هنا يخوض كل فريق متحارب الحرب النفسية للتأثير في تصورات القادة السياسيين والعسكريين والقوات العسكرية والسكان والمدنيين، ودفعهم للقيام بأعمال في صالح الخصم، كما أن جوهر الأهداف الإستراتيجية للحرب النفسية،هو تدمير معنويات الخصم ، وإضعاف الدعم المحلي والدولي للمجهود العسكري والسياسي والإعلامي له ،أيضا على المستوى التكتيكي النيل من إرادته القتالية، وإضعاف قدراته وإجباره على الاستسلام ، ناهيك عن استخدام الوسيلة الأكثر انتشار (شبكة الإنترنيت) في ترويج الدعاية وتضليل الرأي العام، إضافة إلى استخدامها كوسيلة للحرب النفسية والإعلامية المستعرة ضد شعوبنا وبلداننا، والسعي الجاد لتطبيع الهزيمة وغرسها في نفوس أجيالنا القادمة على الدوام.

ولعل أخطر ما في وسائل الإعلام الأمريكية، إنها تؤثر في سياسة أكبر قوة موجودة حاليا على المسرح الدولي الولايات المتحدة الأمريكية وتضلل الرأي العام الأمريكي والعالمي، بالتالي تخدم وسائل الإعلام الأمريكية إلى حد كبير توجهات السياسة الأمريكية الخارجية، ولو سلطنا الضوء على دور الإعلام الأمريكي في السياسات والإستراتيجيات الأمريكية المختلفة، نتوصل إلى مجموعة استنتاجات تدل على قدراته الهائلة، ومدى تأثيره محليا وعالميا، فالولايات المتحدة الأمريكية تمتلك أكبر ترسانة إعلامية في العالم، وكالات الأنباء الأمريكية تتحكم ب ٨٠٪ من الصور المبثوثة، تنتج أو تبث ٥٧ ٪ من الأفلام السينمائية في العالم، تزود "وكالة الاسوشيتدبرس" ١٦٠٠ صحيفة بأخبارها، كذلك ٥٩٠٠ محطة إذاعية وتلفزيونية، يشترك الأمريكيون بـ ٩٠٪ في شبكة "الانترنيت، تعد محطة "السي إن إن "المصدر الأساسي للأخبار المصورة في العالم، تشير إحدى الدراسات إلى أن المواطن الأمريكي يشاهد في العالم ويتابع قضايا ثقافية وإعلامية من تلفاز وإذاعة ومسرح وسينما ومطالعة، حوالي ٣٤٠٠ ساعة أي بمعدل (٩/٨) ساعات يوميا، وبالتالي يكون في مخيلته مواقف عن الكثير من القضايا من خلال هذه الوسائل الإعلامية، كما يفترض في وسائل الإعلام أن تتعامل بموضوعية مع الأحداث سواء

كانت داخلية أو خارجية، ولكن نجد أن أغلب وسائل الإعلام الأمريكية لا تتعامل مع هذه الإحداث بواقعية وبدلالتها الظرفية ، في ظل النفوذ والسطوة الإعلامية الصهيونية على الإعلام الأمريكي، بل تقدم وتسوق القضايا الكاذبة وإشاعتها أمام الرأي العام الأمريكي، لقد صورت وسائل الإعلام الأمريكية قضية الصراع العربي الإسرائيلي على أن الإسرائيليين هم ضحايا ومحبون للسلام؟ عملت وسائل الإعلام الأمريكية على تنميط للإرهابيين على أنهم مسلمون أو عرب .

لقد عملت مراكز الإعلام الصهيونية في أمريكا على تعبئة الذاكرة الأمريكية بصورة مستمرة على تشويه العرب ، المسلمين، ورسخت في عقول المواطن الأمريكي قبل وبعد الحرب ضد العراق أن أحداث أيلول سببها العراق، الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل وغيرها من المبررات المزيفة المضللة، لم ينضج جيل سياسي أمريكي خارج إطار هذه الصورة المعكوسة.

ويلاحظ بين الحين والآخر هجمات تشويه منظمة ضمن مراحل الحرب النفسية المعادية، حرب إشاعات ،تصريحات،معلومات كاذبة ومزيفة ومفبركة، الغاية منها إشغال الرأي العام، واستهداف عناصر ومحاور الصراع التي لم تستجب للإرادة الأمريصهيونية أو الإقليمية التوسعية التي تتجاذب أطراف الصراع والتفوذ والهيمنة في العراق، وعبر شبكة "الإنترنيت" التي يستخدمها الجاهل والعالم، العميل والوطني،عديم الأخلاق،وذو الخلق الرفيع، كل على شاكلته (الإناء ينضح بما فيه) كما يقول المثل، يستخدم كذلك في الدعاية والحرب النفسية(الدعاية السوداء والرمادية) عبر الخلايا النائمة وشخصيات الظل المرتبطة بدوائر المخابرات الأجنبية.

وهيأت دوائر الموساد ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي إي إيه) ، (محاور الهيمنة والنفوذ في العراق) ، خلايا نائمة مرتبطة بها عبر قنوات سرية وأخرى علنية داخل وخارج العراق، وبهياكل تبدو لأول وهلة علمية،مستقلة،لكنها لا تمتلك دلالة اجتماعية في العراق ما قبل الغزو لو بحث ذلك بدقة، لكنها مسخرة لتمزيق جسد العراق ونسيجه الاجتماعي، تقوم تلك الخلايا بين الحين والآخر، ببث إشاعات وتلفيق

الأكاذيب عبر شبكة الإنترنيت والدهاليز المظلمة وفقا للمنهج المخابراتي المرتبطة به، باستخدام وسائل أخرى يمكن إن يلجا أليها العقل البشري للتأثير على غيره، من خلال إقناعه وبلبلته وتضليله، وإخضاعه والهيمنة على فكره، هدم شخصيته، تحطيم معنوياته، شل قدراته، وغالبية هؤلاء يعملون في الأروقة المظلمة والدهاليز القذرة، ليبث سمومه النابعة أحيانا وبشكل كبير من إحساسه بالنقص وضعف شخصيته وإرتزاقه من هذه المهنة القذرة المرتبطة بدوائر المخابرات المختلفة أو بقنوات حكومية تخطط لهم منهجية الاستهداف.

ويعتبر التضليل إحدى وسائل الدعاية، والحرب النفسية وجزءا من الحرب الإعلامية، ولتقاس تسمية الحرب بمقاييس الحرب العسكرية، أي الشروع باستخدام أدوات الصراع المسلح، بل هي تسبقه في ميدان الصراع السياسي والإعلامي، وأحيانا تكسب الحرب قبل بدئها، وتمتاز بنشر وبث المعلومات والأفكار المغلوطة عن عمد، وعن سابق تصور وتصميم لخلق واقع مزيف ومغلوط، والتضليل هو أقوى أسلحة الحرب النفسية والإعلامية، ويعتبر أيضا احد المرتكزات الأساسية للاستراتيجية السياسية الشاملة لأي دولة عدوانية ذات طابع توسعي.

هناك عدة تعريفات للتضليل الإعلامي نذكر منه :-

١ - خلق واقع مزيف ومغلوط ومقنع بما فيه الكفاية وذلك بهدف إيقاع الخصم في الخطأ بينما هو يفكر بشكل صحيح.

٢ - شكل من أشكال العدوان ونشاط تخريبي سيكولوجي وحرب الكلام والأفكار والمفاهيم وسلاح العصر السري.

أما عن أساليب التضليل تعمل الأقلام المأجورة وعناصر خدمة الدعاية السرية المرتبطة بدوائر المخابرات الآنفة الذكر، على شن حملات دعائية، ضمن عناصر الحرب النفسية وتستخدم وسائل التشويه والتشويش والتضليل بشكل واسع، ولن تستثنى أي وسيلة لتحقيق الأهداف السياسية، المخابراتية العسكرية، عن طريق وسائل الإعلام

المتاحة المعلنة والسرية ، ووسائل الاتصال الأخرى، للتأثير إضافة إلى القنوات الجانبية، لنشر الخبر والإشاعة والمواد الإعلامية المفبركة المضللة إلى المتلقي. **وتستخدم أساليب التضليل الإعلامي كما يلي:-**

أولا: الكذب، الخداع.

ثانيا: الإشاعة والتشويش.

ثالثا: إخفاء الحقائق والمعلومات.

رابعا: اختلاق وقائع ممسرحة.

خامسا: إغراق وسائل الإعلام بأكثر الأخبار تناقضا بحيث تفقد أي معنى عند استعمالها إذا يضيع المشاهد أو القارئ في غابة من الإشارات والعلامات والمؤشرات التي تلغي بعضها بعضا بفعل الإفراط في ضخ المعلومات والأخبار وبفعل فوضى المعلومات والأخبار.

تُعَدّ الوسائل التي يتضمنها هذا التقسيم، من أقدم الوسائل وأكثرها استخداماً خلال مراحل الأزمات ومراحل الصراع ، مع تغطيتها لمساحات شاسعة، كما يمكن الاستفادة من تعدد أنواع الوسائل، وخصوصا ما هو شائع حاليا استخدام الأسماء الوهمية للنشر عبر بريد الإلكتروني باسم مستعار لا يحمل دلالة المعلومات ((يعتبر "الإنترنيت" من ناحية القوة الكامنة ، أداة فعالة لترويج الشائعات المثيرة ، بالإضافة إلى الدعاية السياسية "السوداء" والرمادية" لأن الانحياز الفعلي لمصدر المعلومات يمكن إخفاؤه بسهولة،كما يمكن تغيير أي مواد إخبارية مرئية أو حقائق ووثائق على الشبكة لتبدو الأحداث الحقيقية عند التشويه مزورة ، إضافة إلى التلفيق العدائي))

وتقسم الدعاية من حيث النوع إلى:- دعاية (بيضاء – صريحة- رمادية- سوداء) فإن مخطط الحملات النفسية، إلى جانب استخدام الدعاية "الصريحة" ، خلال

المراحل المختلفة للصراع (قبل- أثناء- بعد انتهاء الصراع)، عادة ما يركز على استخدام الدعاية "الرمادية والسوداء" لتأثيرها، **لما تمتاز به من إمكانيات وتأثير خطير في حال التخطيط والاستخدام الجيد لها فهي تحقق الآتي:**

أولا. نشرها ووصولها إلى أعماق ومساحات كبيرة من مسارح الصراع.

ثانيا. أنها تحوز قبولاً وسرعة انتشار والتأثير بين الأفراد والمجتمعات.

ثالثا. استخدام موضوعات وأساليب يصعب استخدامها في الدعاية البيضاء مثل:-

(١) إخفاء المصدر والاتجاه- تزييف وثائق- تزوير عملة - تخريب.

(٢) صعوبة وضعف تأثير إجراءات المقاومة والدعاية المضادة عليها نظراً لسريتها وعدم الدلالة.

(٣) قدرة عالية على تحطيم الذات، والقدرة القتالية للهدف المخاطب من خلال سرعة انتشارها وعدم معرفة مصدرها واستخدامها لمعلومات مفبركة مزيفة، تحتاج وقت لإثبات عدم صحتها.

رابعا. استخدام الدعاية، كأحد الطرق المدعمة لخطة العمليات النفسية، يتم التخطيط لتصميم الحملات تدار بالتوازي على المستويين الإستراتيجي والعملياتي.

وأمام هذه المشهد لابد من استراتيجية وطنية شاملة لمواجهة ما يجري في المناخ الإعلامي والثقافي الأمريكي المضلل خصوصا في البيئة العربية .

●●●

8

الفصل الثامن

هتلـر.. جويلـز والدعايا النازية

الدعاية هي نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار والسلوك أو كليهما معا، إن للدعاية بعدين ،بعدا إيجابيا يتحقق عندما يكون هدف رجل الدعاية إحداث تغيير في سلوك الأفراد أو الجماعات الذين توجه الدعاية لهم وهو ما كان ليحدث لولا الحملة الدعائية. أما البعد السلبي فهدفه الحيلولة دون تغير القناعات السائدة وأنماط السلوك المتبعة بل تثبيتها والتأكيد عليها.

وتعزف الدعاية على أوتار المشاعر والعواطف دون أن تهمل الجانب العقلي وتسعى الدعاية إلى استغلال ملكتي العقل والعاطفة ..لكن دور العقل يأتي في المرتبة الثانية في مجال الدعاية ،فهدف الدعاية هو إحداث تغيير فوري وسريع في مواقف وسلوك الجماعات المستهدفة وهذا يتطلب اللجوء إلى المثيرات النفسية أكثر من اللجوء إلى القضايا التي تستدعي المناقشة وإعمال الفكر والتأني

وتعتبر الدعاية النازية إحدى الركائز الأساسية في التخطيط السياسي للحزب النازي الذي وصل إلى السلطة في ألمانيا في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين. ويعتبر جوبلز وزير الدعاية الألماني صاحب مدرسة مميزة في فن الدعاية،والتي ساهمت بصورة أساسية في تنفيذ البرامج السياسية والحملات العسكرية التي قام بها النازيون.(١)

١- الدعاية السياسية الشيوعية والنازية - منتديات الجزيرة نوك .

أما الزعيم النازي هتلر فقد تميّز بقدرته الخطابية فضلا عن المظاهر البالغة الأبهة والعظمة التي كانت ترافق ظهوره في الاحتفالات والمهرجانات والعروض العسكرية وهي تشكل جزئا لا يتجزأ من الدعاية النازية.

الفرق بين الدعاية الشيوعية والدعاية النازية كبير.. فقد توجهت الدعاية الشيوعية إلى عقل الفرد والجماعة منهجة سياسة التثقيف والتوعية المبنية على التحليل العلمي للقضايا الاجتماعية والاقتصادية من هنا سميت بالدعاية السياسية العقلانية،، أما الدعاية النازية فقد خاطبت مشاعر الأفراد والجماعات ودغدغت عواطفهم واستثارت فيهم غرائز الجماعات البدائية واعتمدت منهج الإثارة الجماهيرية والقومية من أجل احتواء الجماهير والسيطرة عليها وجعلها تنساق بدون شعور وراء القيادات والزعامات التي تحكمها.،،

لقد اعتمدت الدعاية النازية على عدد من الدعائم الأساسية وأولها التكرار وطبقا لتعليمات غوبلز يجب أن يكون التكرار في صور متوافقة تلائم الجماهير.. فلا بد للجمهور المختلف من عرض مختلف... ولم تتورع الدعاية النازية عن استخدام الخبر الكاذب كوسيلة للإقناع أو للإثارة وكلما كان الخبر كاذبا ازداد تأثيره على الناس وبالتالي صار من الصعب تصحيحه.

لقد أكد هتلر على الجانب اللاعقلاني للدعاية وكان يعتقد أن الجماهير فيها الكثير من خصائص النساء،، وأن استجابتها تكون عاطفية أكثر منها عقلية...لقد توجهت الدعاية النازية إراديا للمرأة في عواطفها فقد قال هتلر: " عندما نصل إلى السلطة كل امرأة ألمانية ستحصل على زوج ".

كان هتلر يرغب دائما في التحدث إلى الكتل الجماهيرية الضخمة بعد إعداد الأضواء بطريقة خاصة، وبعد وضع اللافتات التي تحمل شعارات الحزب النازي وبعد الانتظار الطويل .. ويشرح هتلر ذلك : يبدو أنه في الصباح وربما خلال النهار تكون إرادة الناس قادرة على التمرد. أما في المساء فإن هؤلاء الناس يتهاوون بسهولة أمام إرادة أخرى أقوى تفرض عليهم.

وقد قال بعد خطبة له استمرت ٣ ساعات : " إن الجميع أصبحوا تحت إبطي" .

كانت الدعاية النازية من أقوى الأسلحة التي اعتمد عليها النظام النازي وكانت لها أيديولوجية سياسية تهدف كما يقول "هتلر " إلى غزو العالم .

قامت الدعاية النازية على الأفكار والمبادئ التي اشتمل عليه كتاب "كفاحي" لهتلر. وفيه يقول عن الدعاية " إنها التأثير في خيال الجماهير التي تسيطر عليها الغريزة وعلى الدعاية أن تتخذ لنفسها شكلا سيكولوجيا ملائما حتى تسلك الطريق الملائم لهذه الجماهير .

لقد خاطبت الدعاية النازية المشاعر وتلاعبت بالعواطف فلم تترك للشعب فرصة التفكير الهادئ فتبلدت عقوله حتى كف عن التفكير سوى تفكير واحد : هتلر هو القوة، القوة الوحيدة الحقيقية .

أما بالنسبة لمبادئ الدعاية النازية فقد قامت على مجموعة من الدعائم منها ما يلي :

١ -التركيز على الجانب اللاعقلاني في الدعاية : من منطق أن الجماهير كما يقول " هتلر " فيها من خصائص النساء ، وإن استجابتها تكون دائما عاطفية أكثر مما هي عقلية ، وقد اهتمت هذه الدعاية بالمرأة وتوجهت إراديا إلى عواطفها وفعلت ذلك بكل نجاح.

والدعاية ضمن هذا المبدأ تقوم بإحداث تحويل في الاندفاعات الطبيعية للفرد وتوجيهها صوب مواضيع محضرة سلفا (التفوق الثقافي والعرقي الجيرماني) .

٢ - إشاعة الفوضى لدى العدو : وذلك من خلال التعامل مع الأقليات الموتورة والزعماء الطموحين والفاسدين وذوي العصبيات والميول الإجرامية ، نتبناهم كما يقول جوبلز وزير الدعاية في عهد هتلر .

ونحتضن أهدافهم ونهول مظالمهم ونهيج أحاسيسهم بمزيج من الدعاية والشائعة مثيرين الغنى على الفقير والرأسمال على البرولتاري ودافع الضرائب على فارضها

والجيل الجديد على القديم وبذلك نحقق درجة عالية من الفوضى يمكن معها التلاعب بمقدرات العواطف وفق ما نشاء .

٣ -استخدام الأخبار بطريقة منهجية كوسيلة لتوجيه الأفكار ، ولذلك كانت الأخبار المهمة تحمل بدلالة معينة وتعبأ بشحنة دعائية.

٤ - اتخاذ التكرار كأسلوب من أساليب الدعاية الجيدة ، ويجب أن يكون في صور متوافقة تلائم مختلف الجماهير ويقول جوبلز في هذا الصدد إن الكنيسة الكاثوليكية قد استطاعت البقاء لأنها تكرر نفس الشيء منذ ألفين من الأعوام ، والتركيز على غرض واحد في آن واحد أي تركيز التوجيه نحو مرمى واحد خلال فترة معينة ، فقد اتحد الهتلريون أولا مع الأحزاب البرجوازية والرجعية ضد الماركسية ثم مع اليمينيين القيميين ضد البرجوازية ثم تخلصوا من القوميين .

٥ - الارتكاز إلى عقيدة أساسية : فالعقيدة هي أساس كل حزب ولا يمكن للدعاية أن تنجح ما لم تستند إلى عقيدة والعقيدة عبارة عن المفاهيم الأساسية للحركة النازية ، وقد وضع هتلر عقيدته وعمل على نشرها بكل وسائل الدعاية ويقول إن أية عقيدة أو فكرة لن يكتب لها النجاح ما لم تعتنقها أكثرية الشعب وتبدي استعدادها للنضال من أجلها وقد نجح في تحقيق هذا الهدف من خلال خطة دعائية طويلة المدى .

٦ - الاهتمام بمخاطبة الجمهور : فالدعاية كما يقول هتلر " تهدف إلى لفت نظر الجمهور إلى وقائع وأحداث لا إلى تنوير الشعب على أساس علمي ، لذلك وجب التوجيه إلى قلوب أبناء الشعب لا عقوله فالدعاية التي توجه إلى قلب الجمهور وحواسه قبل عقله هي التي تكون أشد تأثيرا فيه شريطة ألا تعتمد على التضليل وقلب الحقائق.

-أهمية الدعاية عند النازيين :

يقول هتلر في خطاب له في مؤتمر لورنمرج سنة ١٩٢٩ " لقد أوصلتني الدعاية إلى الحكم . وبالدعاية حافظنا على مراكزنا ، وبها سوف نستطيع غزو العالم كله " .

ويقول " جوبلز " إن الدعاية يجب أن تكون مستخدمة في حكم الشعب ويجب أن تكون مكانتها الأولى بين تلك الفنون ، ولا يمكن الاستغناء عنها في بناء الدولة الحديثة ، وان الهدف منها هو قيادة الناس إلى الأفكار التي ترغب الدولة في أن يعتنقها الجميع " .

ما السبب في إيمان هتلر بالدعاية ! ترجع جذورها بالطبع إلى الحرب العالمية الأولى وأن تعيد المانيا النظر في أسلوب دعايتها بعد فشلها ويعقب هتلر بقوله : كانت الدعاية على جانب عظيم من الأهمية فهي أداة لتنوير الأذهان من جهة ولخداع من يراد خداعهم من جهة ثانية . ويضيف هتلر " وقد لعبت الدعايات دورا بارزا في الحرب. وكنت أنا أراقب العدو في هذا الميدان أتفجر غيظا لإغفالنا خطر هذا الفن الفعال . والأدهى من ذلك أن قادتنا لم يفكروا في اللجوء إلى هذا السلاح مع أنهم لمسوا مدى تأثيره في معنويات الشعب والجيش . ويكمن نجاح الدعاية النازية في تغليب الصورة على التبرير والحس الاندفاعي على المنطق .

- الاهتمام بالتنظيم :

اهتمت الدعاية الألمانية بالتنظيم واختلف نظامها عن أنظمة الدعايات الأخرى ومن أهم هذه النظم :

١ - **وزارة الدعاية :** وكان رئيسها جوبلز وكان اتصاله بالهيئات مباشرة وجهاز " الجستابو " أو المخابرات الألمانية ، ووُضع في كل بيت جهاز مكبر للصوت لينقل الإذاعة التي تحملها الشبكات اللاسلكية التي تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة .

٢ - **نظام القمصان السمراء :** وكان الهدف منها إلقاء الرعب في نفوس وقلوب الأعداء عن طريق القمصان السمراء وقد انخدع أعداء ألمانيا بذلك .

٣ - **الصليب المعقوف** : وقد طبع على كل سيارة ومنزل ألماني وكل شيء يملكه والغرض من ذلك هو أنه يكون هتلر والنظام النازي في ذاكرة الألماني وذلك تطبيقا لأسلوب الدعاية من الباب للباب ، ويقال إن الصليب المعقوف يرمز إلى الدين والقوة هنا نلاحظ (التركيز على الرمز والشعار) .

٤ - **تنظيم المظاهرات** : وذلك في أثناء خطب هتلر وإنشاد الأناشيد وإلقاء الهتافات وأداء السلام الهتلري ، وتنظيم المظاهرات يعتمد على الموسيقى .

٥ - **الاهتمام بتربية النشء** : وتتدخل الحكومة في ذلك ، وقد أنشأ هتلر لذلك ما يسمى بالمنظمة الهتلرية لتربية النشء، وقد عملت هذه المنظمة على تهيئة الشباب الألماني لتقبل النظام النازي والإيمان المطلق بهتلر وبقدرته على أن يجعل ألمانيا حاكمة ومسيطرة على العالم .

٦ - **العناية بنشر الثقافة الألمانية** بحيث يتعرف الناس على كل جديد في الخارج والعناية بنشر الثقافة التي تدعو إليها الحكومة الجديدة .

٧ - **العناية بالصحافة والإذاعة وغيرهما** من وسائل الإعلام المعروفة والدقة في اختيار القائمين على هذه الأنشطة حتى يعملوا في انسجام مع الحكومة . ومن الأمثلة على تكريس وسائل الإعلام في سبيل الدعاية نأخذ مثلا الصحيفة الأسبوعية النازية " دير شتيمبر" (المهاجر) أداة رئيسية في خدمة الدعاية الألمانية النازية ففي أسفل الصفحة من كل عدد كانت الصحيفة تعلن بأحرف سميكة " اليهود هم حظنا السيء " وكانت " دير شتمير " تنشر رسومات كاريكاتيرية يظهر فيها اليهود معقوفي الأنوف وشبيهين بالقرود، وكان تأثير هذه الصحيفة بعيد المدى ففي سنة ١٩٣٨ كانت الصحيفة توزع نصف مليون نسخة أسبوعيا وهنا نلاحظ معاداة السامية حيث كانوا ينظرون لهم نظرة دونية وعظمة ألمانيا كدولة وتقديس الرايخ أدولف هتلر ونلاحظ أن النازيين ركزوا على الجوانب النفسية وإثارة الهمم واستنهاضها لخدمة مصالحها .

أما عن تأثير الدعاية النازية على المدى الخارجي ، فقد استطاع النازيون أن يحققوا انتصارات كثيرة وكبيره في ميدان الدعاية ، فإلحاق الهزيمة بالنمسا وتشيكوسلوفاكيا بدون معركة وانهيار البناء العسكري والسياسي لفرنسا كان قبل كل شيء انتصارا للدعاية النازية .

. الدكتور بول جوزيف غوبلز (٢٩ أكتوبر١٨٩٧ - ١ مايو١٩٤٥) - وزير الدعاية السياسية في عهد أدولف هتلروألمانياالنازية، وأحد أبرز أفراد حكومة هتلر لقدراته الخطابية.

أبوه فريدريك غوبلز، المحاسب ذو الدخل المتوسط ووالدته ماريان غوبلز. وعندما تطوّع في الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى، تم رفضه لتسطّح أخمص قدميه. وفي عام ١٩٢٢، إنضم غوبلز للحزب النازي. والطريف أنه كان من المعارضين على عضوية هتلر في الحزب عندما تقدم الأخير بطلب للعضوية إلا أنه غيّر وجهة نظره تجاه هتلر فيما بعد وأصبح من أنصاره بل وأحد موظفيه.

لعب غوبلز دوراً مهما في ترويج الفكر النازي لدى الشعب الألماني بطريقة ذكية. وقبيل إقدامه على الانتحار وفي الفصل الأخير من الحرب العالمية الثانية عينه هتلر ليكون مستشار ألمانيا كما اتّضح في وصية هتلر الخطية إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بوصيته بعد سقوط الرايخ الثالث. وفي ١ مايو١٩٤٥، أقدم غوبلز على الانتحار مع زوجته وأطفاله الستة، وتراوحت أعمار أطفاله بين ٤ و١١ سنة.

ومن أقواله :

كلما كبرت الكذبة، كلما سهل تصديقها.

الدعاية الناجحة يجب أن تحتوي على نقاط قليلة وتعتمد التكرار.

هو الذى قال: «كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسى» وفى رواية أخرى «كلمة ثقافة» وربما لو كان يعيش في عصرنا هذا ما قالها، إنه صاحب آلة الدعاية النازية والذى

صور أدولف هتلر للألمانيين على أنه المنقذ لهم ولألمانيا وطالما ذكرنا قولته الشهيرة عن المثقفين فإنه يتعين الإشارة إلى أنه بممارساته شكل فصلا دمويا من فصول محاكم التفتيش في التاريخ.

نحن نتحدث عن جوزيف جوبلز (وزير الدعاية النازى) ورفيق هتلر حتى الدقائق الأخيرة من حياته ويعتبر «جوبلز» إحدى الأساطير في مجال الحرب النفسية، وهو أحد أبرز من وظفوا واستثمروا وسائل الإعلام في هذه الحرب وهو صاحب شعار شهير يقول: «اكذب حتى يصدقك الناس» غير أنه كان صاحب الكذب الممنهج والمبرمج يعتمد الترويج لمنهج النازية وتطلعاتها،

ويهدف لتحطيم الخصوم من الجانب الآخر وقد أكدت ظاهرة جوبلز هذه أن الذى يملك وسائل الإعلام يملك القول الفصل في الحروب الباردة والساخنة. وهذا ما ينتهجه الصهاينة أيضا.

لعب جوبلز دوراً مهما في ترويج الفكر النازى لدى الشعب الألمانى بطريقة ذكية. وقبيل إقدامه على الانتحار وفى الفصل الأخير من الحرب العالمية الثانية عينه هتلر ليكون مستشار ألمانيا كما اتّضح في وصية هتلر الخطيّة إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بوصيته بعد سقوط الرايخ الثالث. وتوفى في أول مايو من عام ١٩٤٥م و«جوزيف جوبلز» بناء على ذلك هو مؤسس فن الدعاية السياسية بلونها الرمادى.

واستطاع حينما كان يروج للفكر النازى بقوة أن يسوق في ركابه عشرات الملايين من الألمان، ورغم العداء الغربى للنازية، إلا أن جوبلز يعد مؤسس مدرسة إعلامية مستقلة بذاتها وقد لجأ إليها آخرون من بعده مثل الأمريكان والإسرائيليين رغم استغنائهم عن منصب وزير الإعلام.

●●●

9

الفصل السابع

الطـــابـــور الخـــامـــس
جيش العملاء المختبئ

يلعب الطابور الخامس في الحرب، النفسية دورا كبيرا في تحقيق أهداف العدو . والطابور الخامس هو جماعة سرية متعاطفة أو مؤيدة لعدو ، تشترك في التجسس أو التخريب ضمن الخطوط الدفاعية أو على الحدود القومية .

الاعتقاد الشائع عن هذا المصطلح هو ظهوره أثناء الحرب العالمية الثانية ، لكنه في واقع الأمر ظهر قبلها بقليل ، تحديدا خلال فترة الحرب الأهلية الإسبانية خلال أعوام ١٩٣٦-١٩٣٩.

في انتخابات فبراير ١٩٣٦ فازت الجبهة الشعبية والتي تضم معظم التيارات اليسارية بأغلبية مقاعد البرلمان ، ومع اشتعال الأوضاع قام اليمين العسكري بالانقلاب على الشرعية الجمهورية بقيادة الجنرال " فرانشيسكو فرانكون " وكلا الجبهتين وجدا النصرة والدعم من دول مختلفة، إذ ناصرت الحركات الشيوعية والاتحاد السوفيتي الجمهوريين ، بينما أيدت ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية والبرتغال الانقلابيين أو الوطنيين ، وهكذا تحولت إسبانيا إلى ساحة مستعرة بين مصالح دولية متنازعة

ما يعنينا من كل هذه الحرب ، هو أن أحد جنرالات " فرانكو " ويدعو " إيميليو مولا" أثناء حصار العاصمة مدريد خطب عبر الراديو لمقاتليه يحمسهم بأن أربعة جيوش تحاصر الجمهوريين فى العاصمة ، وأن هناك " طابورا خامسا " من أنصار الانقلاب عازمون على تقويض الحكومة الجمهورية من الداخل . ومن هنا كانت نشأة المصطلح.

وأثناء الحرب العالمية الثانية استطاع هتلر أن يحشد جيشاً بكامله من الجواسيس والمخبرين والعملاء المخلصين في البلدان المجاورة لألمانيا وكانوا ما أن يتقدم الجيش الألماني باتجاه أي بلد حتى يروجون له وينشرون الشائعات ويبالغون بعدده وعدته الخ حتى يحققوا الهزيمة النفسية في صفوف المقاتلين والمقاومين في البلد الذي ينوي الجيش غزوه.. ولما انهزمت ألمانيا وتم فتح الخزينة السرية وعرفت أسماؤهم تم ملاحقة الكثير منهم والقبض عليهم،

وأثناء الحرب العالمية الثانية عانت آنذاك بولندا وتشيكوسلوفاكيا الأمرين من الأقلية الألمانية الموجودة بهما ، إذ قامت بتنظيم مجموعات مسلحة أركعت هاتين الدولتين للرايخ الثالث بعد أن قامت بفظائع مهولة من تخريب وتدمير .. كان ينظر عامة وقتها إلى مواطني دول العدو المقيمين في دولة ما على أنهم جواسيس محتملون ويتصرفون معهم على هذا الأساس ، بل في بعض الأحيان يتم اعتقالهم كتدابير احترازية ، كما حدث في الولايات المتحدة مع الأمريكيين ذوي الأصل الياباني .

فقد أصدر الرئيس " فرانكلين روزفلت " القرار التنفيذي رقم (٩٠٦٦) ، وعلى أثره تم ترحيل كل ياباني أو مواطن أمريكي من أصل ياباني من الساحل الغربي لا سيما كاليفورنيا إلى مخيمات تهجير في أركنساس وأريزونا ، وعلى مدار الأعوام (١٩٤٢-١٩٤٥) تم تهجير أكثر من (١١٠) ألف من المدنيين ذوى العرق الياباني

وقامت المحكمة الدستورية العليا عام ١٩٤٤ بالتصديق الدستوري على هذا القرار، مبررة أعمال الإقصاء والترحيل والاحتجاز بأنه يمكن تقليص الحريات المدنية لمجموعة عرقية لصالح الضرورات الوطنية العاجلة وبعد سنوات عديدة خلال حكم الرئيس "رونالد ريجان " تم تقديم اعتذار رسمي لكل المحتجزين وقتها نيابة عن الحكومة الأمريكية ، ووصف الاعتذار قرار الاحتجاز بأنه تحامل عرقي بفعل هستيريا الحرب وفشل القيادة السياسية . يذكر أن الحكومة الكندية وقت الحرب قامت بنفس التصرف - الذي انتهجته نظيرتها الأمريكية - تجاه مواطنيها ذوي الأصل الياباني

قد يحدث كذلك أن تستغل دولة محاربة بعض المتعاطفين معها أو تقوم بتجنيد بعض العملاء ليكونوا بمثابة الرادع بين الشعوب التي تحتلها تلك الدولة وبين قواتها

وخير مثال على ذلك السياسي النرويجي " فيدكن كويسلنج " ذو التوجه الفاشي والذي أنشأ حزب التجمع الوطني ، حيث أن الحزب كان مؤيدا لسياسات إيطاليا وألمانيا في الثلاثينات ولم تتجاوز قاعدة شعبيته (٢,٥٪) قبل الحرب لكن في عام (١٩٤٥) وبعد الاحتلال النازي للنرويج صار عدد أعضاء الحزب ما يقرب من (٤٥) ألف عضو من بينهم رئيس الوزراء آنذاك " جينس هاندسيد " .

على كل حال ، فدول المحور لم تتوقف قط عن الاستعانة بالأحزاب الموالية لسياساتها في البلدان المحتلة لنشر مبادئها وسط السكان عن طريق الموالين لسياساتها ولكي يكونوا حائلا قويا بينهم وبين الغضب الشعبي ولضمان الاستقرار للتفرغ للعمل على الجبهات المشتعلة لا سيما السوفيتية والإنجليزية ولم يتوان الحلفاء كذلك عن غرس شبكات التجسس في الدول الأوروبية بل وداخل ألمانيا أيضا وتمويل حركات المقاومة السرية خصوصا الفرنسية .

وهناك جدل مثار حول اعتبار المقاومة السرية - بكل ما تحمل الكلمة من معان ايجابية - جزءا من مصطلح (الطابور الخامس) - بدلالاته السلبية - مع تقاربهما في نقاط مشتركة كثيرة .

وقد نشر الكاتب الروسي أوليغ بلاتونوف ، دراسة بعنوان (الاتحاد السوفييتي في ملفات المؤامرة الماسونية) ،ضمنها معلومات قيمة بالغة الأهمية ،مستقاة من مصادر غربية مختلفة ومتنوعة ، عن الدور الهدام الذي اضطلعت به الحركة الماسونية العالمية في تفكيك الاتحاد السوفييتي ، ودول المعسكر الاشتراكي السابق .

لدى التمعن في تاريخ الحركة الماسونية العالمية المعاصر وعبر إبراز المناحي والاتجاهات الرئيسة لتأثيرها على روسيا ، يدهشنا النمو المتعاظم المخطط لأعضاء (الأخويات) الماسونية السرية . فخلال الثلث الأول من القرن العشرين فقط تضاعف

عدد أعضاء (الأخويات) الماسونية ، إذ ازداد من مليوني عضو إلى أربعة ملايين وأربعمائة ألف ، بينما بلغ عدد أعضاء الجمعيات الماسونية خلال عقد التسعينات فقط عشرة ملايين عضو.[1]

وتلعب الماسونية في الغرب دورا مفتاحيا هاما ، حيث يتحكم جهازها التنظيمي بعملية التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويسيطر على كل مناحيها وجوانبها من خلال غرز ممثليها ومعتمديها الأساسيين في المراكز الاجتماعية والسلطوية الهامة والحساسة .فالأغلبية الساحقة من قادة الغرب السياسيين المعاصرين إما أنهم أعضاء في المحافل الماسونية أو يلعبون دور الأداة الطيعة المنفذة لمخططاتها وأهدافها . فقد أصبح عرفا في السياسة الأمريكية أن يكون جميع رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية بدءا من أول رئيس وانتهاء بالأخير أعضاء في الجمعيات والمحافل الماسونية .

إنه لأمر جدير بالملاحظة أن يكون ثلاثة أرباع أعضاء الجمعيات والمنظمات الماسونية في العالم موجودين في الولايات المتحدة الإمريكية ،علما أن بريطانيا وألمانيا وفرنسا تعتبر مراكز مؤثرة هامة من مراكز الحركة الماسونية العالمية ، لكنها تتخلف من حيث الأهمية عن الولايات المتحدة الامريكية ،التي يعيش فيها اليوم حوالي ثمانية ملايين عضو .

بيد أن هذه الإحصائية لاتشمل إلا الأعضاء الأصليين للجمعيات الماسونية الرئيسية، ولا تأخذ بعين الاعتبار أعضاء التكوينات والتنظيمات الماسونية غير النظامية ، كما انها لا تشمل أيضاً شخصيات اعتبارية هامة تدور في فلكها ، وتدخل في إطار التكوينات الماسونية التنظيمية وتشكل ما يسمى بالماسونية (البيضاء). ويقابل كل عضو من أعضاء المحافل الماسونية النظامية عضوان على الأقل من أعضاء ما يسمى بالماسونية (البيضاء) وهكذا يصبح من الجائز أن نقول إن عدد المنظمات الماسونية العالمية يصل إلى ثلاثين (٣٠) مليون عضو منهم ٧٥- ٨٠ ٪ في الولايات المتحدة الامريكية (أي مايعادل ٢٤ مليون عضو).

١-الاتحاد السوفييتي في ملفات المؤامرة العالمية – نجم الدليمي– موقع " قاسيون " .

تعتبر الحركة الماسونية العالمية اضخم منظمة سرية عالمية ، فهي تمتلك اليوم ميزانية وثروات تناهز مليارات الدولارات . ويبرز في عداد المؤسسات المشرفة على رعايتها وتنظيمها وتمويلها كبار البنوك الغربية وفي مقدمتها البنوك السويسرية والفرنسية، والمنظمات الصهيونية العالمية وجمعية اليهود في فيينا والمؤتمر اليهودي الأمريكي والمركز اليهودي الرئيسي للإعلام في امستردام . وتبرز بجلاء ووضوح العلاقة الحميمة والوثيقة بين الحركة الصهيونية والحركة الماسونية ، ويتجلى التعبير الواضح عن هذه العلاقة في نشاط (الأخوية) الماسونية اليهودية (بناي بريت)التي أسسها المهاجرون اليهود الألمان عام ١٨٤٣ في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومع نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين انتشرت هذه المنظمة في٤٢ بلدا وبلغ عدد أعضائها نصف مليون . ويشير المؤرخ البريطاني غودمان إلى ان (بناي بريت)تعتبر المنظمة الأقوى في عالمنا المعاصر ، لأنها تمثل في حقيقة الأمر تنظيما فوق ماسوني ،أو ماسونية قائدة للتنظيمات الماسونية الأخرى ، أو (أخوية ضمن الأخويات).

في الخمسينيات من القرن العشرين تأسس ما يسمى بنادي بيلدر بيرغ أحد أهم المنظمات الماسونية التنسيقية في العالم ، حيث يطلق عليه بعض الباحثين تسمية (حكومة حكومات العالم).

في عام ١٩٧٣ تأسست إحدى المنظمات الماسونية العالمية التنسيقية المسماة اللجنة الثلاثية التي ترأسها الملياردير الأمريكي الماسوني روكفلر.

اتخذ نشاط الحركة الماسونية العالمية اتجاها يرمي إلى توسيع نفوذها من خلال تأسيس نواد شرعية متخصصة وتكوينات تنظيمية أخرى كان من أبرز تجلياتها وضوحا وتأثيرا نادي (روتاري انترنيشينال)وكان الماسوني الأمريكي المحامي هاريسو قد أسس هذا النادي في عام ١٩٥٥ بوصفه (أخوية) ماسونية عالمية . وحسب رأي (هاس) الباحث والمتخصص في شؤون الماسونية فإن الحركة الروتارية تعتبر التشكيلة الماسونية الأكثر عقلانية وحداثة في عالمنا المعاصر .وتنتسب المنظمة الروتارية لما يسمى بـ (الماسونية البيضاء) أي إلى الاتحادات والتكوينات التنظيمية المختلفة التي يسعى الماسونيون وينشطون من خلالها للتأثير على المجتمع .

أعدت الحركة الماسونية العالمية قادة خصوصيين في شبكتها التنظيمية الخاصة بوصفهم أعضاء فاعلين في المحافل الماسونية السرية التي تمثل في حقيقة الأمر مراكز حكومية رفيعة المستوى في الإدارات العليا للدول الغربية وفي المقام الأول الأمريكية منها. ويلحق هؤلاء القادة ،بوصفهم متآمرين حقيقيين يحتلون أرفع المناصب الحكومية الرسمية، النظام أفدح الأضرار التي لاتعوض بمبادئ الشرعية الدولية والنظام القانوني العام.

وإذا ما أمعنا النظر في الملاك الحكومي للإدارة الأمريكية وفي فاعلية دور ونشاط الحركة الماسونية العالمية، **فإننا نستطيع أن نؤكد على ثلاث مسائل رئيسية هي :-**

١ - يلاحظ النمو المتعاظم لتأثير قيادة الشبكة الماسونية على الأوساط العليا في الإدارة الأمريكية .

٢ - تتلقى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، بدءا من مؤسسيها دالاس ودونوفان التوجية والأشراف من قبل أعضاء قياديين في الحركة الماسونية العالمية كما يحتل التنظيم الماسوني فيها كافة المناصب الهامة والحساسة ويمكننا القول بكل ثقة وتأكيد إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومنذ نهاية الخمسينيات تعتبر الأداة التنفيذية الرئيسية للحركة الماسونية العالمية .

٣ - وبوصفهم القوة الرئيسية الأكثر تأثيرا ونفوذا يوجه الماسونيون الأمريكان، ويسيطرون بصورة كاملة على المراكز الماسونية الأوربية الغربية، مستخدمين لتحقيق ذلك الإمكانيات الهائلة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

١ :- الطابور الخامس .

تجسدت الخطوة الرئيسية الأولى على صعيد النشاط الماسوني العالمي في الاتحاد السوفييتي في البحث عن مرتكزات وعملاء يتميزون بفعالية وتأثير هامين . فعضو الطابور الخامس حسب مصطلحات قاموس الجاسوسية هو مواطن إحدى الدول الذي يسخّر نشاطه لخدمة مصالح وأهداف دولة أخرى مستخدما لتحقيق ذلك وضعه الوظيفي ومكانته الرسمية المؤثرة التي يحتلها في مراكز السلطة المختنفة وفي أجهزة صنع الرأي العام من إعلام وعلم وفن وثقافة .

وخلال الفترة الممتدة بين ١٩٥٣- ١٩٦٢ صاغ دالاس،بوصفه رئيسا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية جملة من المخططات والتوجيهات السرية ،التي اعتمدها مجلس الأمن القومي الأمريكي والتي تمثل من بينها مسألة إعداد مرتكزات ومساعدين للوكالة المذكورة في الاتحاد السوفييتي ، إحدى النقاط الهامة.

٢- الماسونية .. ومنظري البيرسترويكا.

كانت أولى التجارب في إعداد هذه المرتكزات كما يبدو ،محاولة تجنيد بعض أعضاء البعثات الدراسية السوفييتية الذين قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات لإجراء دورات دراسية في جامعة كولومبيا والذين كان من بينهم بعض ((منظري)) (البيريسترويكا)المستقبليين مثل الكسندر ياكوفليف (والذي شغل مسؤولا للجنة العلاقات الخارجية مع الأحزاب ،ثم عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي ومسؤول العمل الأيديولوجي في الحزب) .

وفي مطلع السبعينيات عين الكسندر ياكوفليف سفيرا للاتحاد السوفييتي في كندا،حيث أقام علاقات وثيقة مع مجموعة واسعة من الشخصيات الرسمية الكندية وفي مقدمتهم رئيس وزراء كندا آنذاك الماسوني ترودو. وتشير كافة الدلائل إلى ان علاقة ياكوفليف التنظيمية بالحركة الماسونية العالمية قد ترسخت في تلك الفترة .

جاء تصعيد نشاط الطابور الخامس في الاتحاد السوفييتي مرتبطا بمخططات الحركة الماسونية العالمية وبتوجيه مباشر من المركزين التنظيميين الماسونيين : بيلدربيرغ واللجنة الثلاثية التنظيمية . ويلاحظ في الوثائق السرية لهذين المركزين في تلك المرحلة إبداء مخاوفهما بصدد تعاظم النفوذ السوفييتي ودوره وتأثيره على الصعيد العالمي،الذي تنامى إثر الانتصار الرائع الذي حققه الشعب والجيش السوفييتيان على الفاشية الألمانية في الحرب العالمية الثانية ، وما خلفه من تأجيج للمشاعر الوطنية والإنسانية والأممية . ومما أثار مخاوف الحركة الماسونية العالمية الإمكانات النظرية والأيديولوجية الهائلة التي ترتبت على تعاظم المشاعر الوطنية في الاتحاد السوفييتي

وتعاطفها مع مطامح وأماني دول العالم الثالث وبروز نوع من التضامن بين الاتحاد السوفييتي من جهه والبلدان النامية من جهة أخرى . الأمر الذي أثار مخاوف الدول الغربية وقلقها ،لأن من شأن قيام مثل هذا التحالف عرقلة وتقليص استلاب الغرب واستنزافه لثروات شعوب البلدان النامية .

وفي عام ١٩٧٣ صاغت المنظومة الماسونية المعروفة باسم ((نادي روما))وثيقة بعنوان ((حدود النمو)) جاء فيها أن الثروات تتناقص بسرعة مأساوية مذهلة وأن الدول الغربية تواجه خطرا حقيقيا يتجسد في انخفاض مستوى الاستهلاك .

وفي الاجتماعات السرية لقادة المحافل الماسونية أعيد من جديد إحياء الفرضية الماسونية القائلة بخلق نظام عالمي جديد تتركز فيه السلطة العالمية كلها بأيدي زعماء المحافل الماسونية وتصبح من خلاله كل الثروات العالمية مسخرة لخدمة مصالح الدول الغربية .

وكانت العقبة الرئيسية التي تقف في وجه تنفيذ هذا المخطط تتمثل في وجود الاتحاد السوفييتي ،الذي يستحوذ على ثروات هائلة تشكل نسبة عالية من الثروات العالمية .

في السبعينيات والثمانينيات اكتسبت الخطة الأمريكية لإعدد وتجنيد عملاء لها في الاتحاد السوفييتي طابعها النهائي المدروس .

وكانت المخابرات السوفييتية على علم ودراية بمخططات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الهدامة ومراميها التخريبية إزاء الاتحاد السوفييتي . وقد ركزت المخابرات الأمريكية نشاطها في تدريب أعضاء الطابور الخامس في الاتحاد السوفييتي على خطط التخريب الاقتصادي وتشويه تنفيذ التعليمات الاقتصادية والاجتماعية الصادرة عن المؤسسات السوفييتية المعنية . وقد أولت المخابرات المركزية الأمريكية جل اهتمامها ونشاطها ،موظفة في سبيل ذلك الأموال الطائلة لتجنيد عملاء لها في قيادة السلطتين التنفيذية والتشريعية لتشويه الخطط الاقتصادية ، أي لممارسة التخريب الاقتصادي والاجتماعي في الاتحاد السوفييتي. ومما يؤسف له أن نقول إن المخططات التخريبية هذه قد لاقت النجاح المطلوب الذي رسمته المحافل الماسونية العالمية .

مع مطلع الثمانينيات تمكنت المخابرات المركزية الأمريكية من تجنيد عشرات العملاء في أعلى مراتب السلطة في الاتحاد السوفييتي ،وطبقا للمعلومات التي أدلى بها وزير خارجية لاتفيا،فقد بلغت المخصصات المالية التي وظفتها الدول الرأسمالية الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لتنفيذ ما يسمى بـ((دمقرطةالاتحاد السوفييتي))أي تدميره وتفكيكه وتحطيمه مبلغ تسعين مليار دولار خلال الفترة الممتدة من ١٩٨٥-١٩٩٢ ،وقد خصصت هذه المبالغ الفلكية لشراء ذمم بعض المسؤولين النافذين في السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وفي المفاصل الأساسية لأجهزة الإعلام والفن والثقافة .

٣- شخصيات كريهة .. ودور مأساوي.

وفي أواسط الثمانينيات ، وبتوجيه وإرشاد من القيادة الماسونية العالمية وبمبادرة من غيورغي أرباتوف مدير معهد أمريكا وكندا في الاتحاد السوفييتي آنذاك الذي تربطه علاقة وثيقة وحميمة بالدوائر الغربية ، وبدعم مباشر من ميخائيل غورباتشوف يعود إلى موسكو الكسندر ياكوفليف الذي شغل على الفور موقعا قياديا هاما في تنفيذ المخطط الرامي لتهديم وتحطيم الاتحاد السوفييتي. وقد التفت حوله شخصيات كريهة ومقيتة لعبت دورا مأساويا وخطيرا في : تأريخ الاتحاد السوفييتي ،نذكر منهم على وجه الخصوص :ف٠ كورتيتش ،يوري افاناسييف ، ايغور ياكوفليف ،غافريل بوبوف ، يفغيني بريماكوف ، وغيورغي ارباتوف ٠ وكان تأثير هذه المجموعة في البداية محدودا ،بيد أن دعم غورباتشوف لها قد عزز من فاعلية نشاطها وتأثيرها .

في هذه الفترة توسع المخابرات المركزية الأمريكية من نشاطاتها التخريبية في الاتحاد السوفييتي ، ومما ساعدها على تحقيق ذلك هو أن عملاءها المزروعين في قمة هرم السلطة وفي أجهزة الإعلام والفن والثقافة كانو يشعرون أنهم في منجى من العقاب لأنهم كانو مدعومين من رأس السلطة السوفييتية ، وصار خونة الشعب يروجون نشاطاتهم الهدامة على أنها نضال من أجل ((الديمقراطية والحرية))!!٠ لقد دفعت مليارات كثيرة من الدولارات لتمويل نشاطات خونة الشعب والدولة السوفييتي عبر

مؤسسات وسيطة نذكر منها :اللجنة الاجتماعية ((للإصلاحات)) الروسية ، الرابطة الأمريكية ((لدعم الديمقراطية)) ، معهد كريبل وغيرها من المنظمات الأخرى التي اشتد نشاطها في الاتحاد السوفييتي . فمعهد كريبل ، على سبيل المثال ، قرر ان يوظف ((كل نشاطه وطاقته لتدمير الإمبراطورية السوفييتية))- هذا ما صرح به مديره على الملأ ، وقد أسس لهذا الغرض شبكة كاملة من الممثليات في كافة جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقا ، عقدت خلال الفترة الممتدة من تشرين الثاني ١٩٨٩ ولغاية آذار ١٩٩٢ حوالي (١٥٠) اجتماعا تعليميا وحلقة بحث في عموم مدن الاتحاد السوفييتي: في موسكو، لينينغراد، سفيردلوفسك، فارونيج، تالين، فيلنوس،ريغا، كييف،مينسك،لفوف،اوديسا، ييريفان،نينجي نوفغورود،تبليسي،ياركوتسك وتومسك. ففي موسكو وحدها عقدت ستة مؤتمرات (ارشادية) وعن طبيعة أعمال ونشاطات هذه الاجتماعات الهدامة التي كان يعقدها معهد كريبل يتحدث رئيس مؤسسة الدعاية الحزبية وأستاذ مادة الشيوعية العلمية سابقا غينادي باربوليس ، الذي ظل يؤكد حتى عام ١٩٨٨ على الدور القيادي للحزب الشيوعي السوفييتي ويركز على دوره الإيجابي والبناء في عملية (البيرويسترويكا) . لكننا نرى باربوليس هذا يتنكر تماما لأفكاره وطروحاته السابقة بعد أن أجتاز دورة تدريبية (إرشادية) نظمها معهد كريبل المذكور، حيث صار يؤكد بعدها على ضرورة تحطيم ((الإمبريالية السوفييتية)).

تعتبر منظمة (المساهمة القومية من أجل الديمقراطية) التي يرأسها فاين غشتاين أحد تفريعات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .وقد مارست هذه المنظمة نشاطا تخريبيا هداما ، حيث وظفت في خدمته نشاط مجموعة من المؤسسات نذكر منها (معهد زاخاروف) الذي كان يعني كما يدعى ب (حقوق الإنسان) لكن نشاطه كان مكرسا في حقيقة الامر منذ تأسيسه في عام ١٩٨٤ لتقويض المجتمع السوفييتي وتحطيمه. وفي عام ١٩٨٦ عمل المعهد المذكور على تأسيس (جامعة حرة) في موسكو مخصصة للطلبة الذين يرفضون نظام التعليم السوفييتي . وفي عام ١٩٩٠ (مجموعة نواب الأقاليم في مجلس السوفييت الأعلى) للاتحاد السوفييتي .

٤- تدريب العملاء ..

وخلال شبكة ممثليات معهد كرييل والمؤسسات الشبيهة به تم تدريب وإعداد مئات عملاء الطابور الخامس ، الذين نفذوا لاحقا العمليات التخريبية الهدامة التي أدت لتقويض الاتحاد السوفييتي وقيام سلطة يلتسين نذكر منهم :غافريل بوبوف، ستاروفويتوفا، ميخائيل بولتارانين ، ايغور غايدار ، موروشوف، ستانكييفيتش، بوتشاروف، يافلينسكي (زعيم حركة يابلاكا والمرشح للرئاسة الروسية في حزيران ١٩٩٦)، بولديريف ، لوكين ، تشوبايس ، نويكين ، شاباد ، بوكسر . وكثيرون غيرهم من بطانة يلتسين مثل رئيس حملته الانتخابية في عام ١٩٩١ في مدينة كاترين بورغ ا.رمانوف، وكذلك فيريوشين ،ريزنيكوف ، اندرييفسكايا ،نازاروف والعديد من الصحفيين والإعلاميين البارزين .وهكذا تم تأسيس الطابور الخامس في الاتحاد السوفييتي تحت يافطة (روسيا الديمقراطية) و (مجموعة نواب الأقاليم).

مما لاشك فيه أن ميخائيل غورباتشوف قد أحيط علما بوجود المنظمات الخاصة بإعداد وتكوين عملاء الطابور الخامس في الاتحاد السوفييتي – هذا ما أكدته مصادر المخابرات السوفييتية ذاتها – كما اطلع أيضاً على قوائم بأسماء هؤلاء العملاء ، لكنه لم يحرك ساكنا ولم يفعل شيئا لايقاف نشاط خونة الشعب ومعاقبتهم . وقد تسلم غورباتشوف أيضاً من قيادة المخابرات السوفييتية ملفات تتضمن وثائق تفصيلية كاملة عن الشبكة التنظيمية الكاملة لخونة الشعب ونشاطاتهم ضد الدولة السوفييتية ، لكن غورباتشوف منع المخابرات السوفييتية من اتخاذ أي إجراء ضد تطاولاتهم وأعمالهم التخريبية . والأنكى من ذلك أنه استخدم كل نفوذه للتستر عليهم . وبذلك يكون قد لعب دور الراعي والاب الروحي والحامي لعملاء (الطابور الخامس) في الاتحاد السوفييتي. يبقى أن نشير أيضاً إلى أن كافة الوثائق التي قدمت له والتي أدانت نشاط الكسندر ياكوفليف الهدام كانت تقابل من جانبه برفض اتخاذ أي إجراء ضده على الرغم من وثوقية المعلومات المتعلقة بنشاطه التخريبي .

وإذا ما أردنا أن نوضح ما للطابور الخامس من تأثير فلنذهب إلى فرنسا فمن أخطر الجرائم السياسية التي واجهتها فرنسا إبان الاحتلال النازي الألماني هو ، ارتماء الحكومة الفرنسية العسكرية ، بقيادة المارشال العميل "بيتان دو فيشي" ، في أحضان سلطات الاحتلال النازي الألماني التي اكتسحت الأراضي الفرنسية دون أن تواجه بمقاومة جدية من اجل صون و حماية سيادة واستقلال الجمهورية الفرنسية.

كان تواطؤ المارشال الفرنسي " بيتان " يعتبر خيانة وطنية عظمى للتاريخ والوطن القومي الفرنسي، الأمر الذي دفع بالعديد من الضباط والجنود والشخصيات الفرنسية التي تعتز بقوميتها ووطنيتها وتاريخها المشرف في العدالة والحرية والمساواة إلى إعلان التمرد على حكومة " فيشي العميلة " وإعلان الحرب والمقاومة على القوات الألمانية النازية المحتلة، وعملائها المأجورين من الفرنسيين ممن ارتضوا الاستسلام دون قيد أو شرط، للقوات الغازية .(١)

كما تآمر " بيتان " على الجنرال الفرنسي "شارل ديغول "رمز لكل الفرنسيين والأوربيين في مقاومة الاحتلال النازي ، ورغم جبروت الحكم النازي في أوربا، قبل أن يتمكن الفرنسيون بمساندة قوات الحلفاء من استرداد سيادتهم الوطنية، وتحرير فرنسا وكسر شوكة الألمان "العدو التاريخي" للأمة الفرنسية .

ويعتبر الفرنسيون الماريشال فيليب بيتان أكبر خائن في تاريخهم ، ويحملونه أسباب الهزيمة التي حلت بهم عام ١٩٤٠ .. الغريب أنه كان قبلها بطلا مغوارا في عيونهم بفضل ما اضطلع به خلال الحرب العالمية الأولى ، بل إن الجنرال ديغول الذي كان أقرب مساعدي " بيتان " في الحرب العالمية الأولى ، أطلق اسم " فيليب " على ابنه على سبيل التيمن والتقدير، و مع ذلك ، صار " بيتان " ألد أعداء أستاذه خلال الحرب العالمية الثانية، وعمل المستحيل من أجل إصدار حكم بالإعدام على ديغول بتهمة الخيانة العظمى !!

١-مراهنات الخيانة – أيمن أبو جبل – موقع بنت جبيل .

و سوف نروي قصة خيانة " بيتان " من خلال قصة أخرى هى قصة " ديغول " نظرًا لأن الأول لم يكتف بخيانة بلاده ، و إنما بمحاولته تصفية قائدها الذي يتزعم حركة المقاومة ضد النازيين المحتلين !!

ولد ديغول في مدينة "ليل" عاصمة الشمال الفرنسي في عائلة كاثوليكية محافظة، مثقفة، فأبوه هنري ديغول كان أستاذ تاريخ وأدب في المدارس الخاصة، وقد عرفه على كبار كتاب فرنسا من أمثال باريسي، وبيرغسون وشارل بيغي وآخرين.

ثم اختار ديغول المهنة العسكرية وتخرج ضابطاً من كلية سان سير الشهيرة عام ١٩١٢، أي في سن الثانية والعشرين، وقد شارك بعدئذ في الحرب العالمية الأولى وجرح في الحرب عام ١٩١٤، وتشاء الأقدار أن يكون رئيسه المباشر آنذاك الجنرال فيليب بيتان الذي سيصبح عدوه الأول أثناء الحرب العالمية الثانية لأنه تحالف مع الألمان وقبل احتلالهم لفرنسا على عكس ديغول.

ثم أسر في الحرب عام ١٩١٦ من قبل الألمان وظل في الأسر سنتين ونصفا، أي حتى نهاية الحرب وتحقيق الهدنة بين فرنسا وألمانيا، وكانت تجربة الأسر مريرة بالنسبة له لأنه شعر بعدم القدرة على خدمة بلاده عندما كانت المعارك تشتعل ضارية.

والواقع أنه حاول أن يهرب من الأسر خمس مرات ولكنه كان يفشل في كل مرة بسبب طول قامته، فقد كانوا يعرفونه ويكتشفونه فوراً لأنه أطول رجل في المعسكر، وقد منحوه وسام الشرف بعد انتهاء الحرب نظراً لبطولته وتضحياته في ساحة الوغى.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان ديغول قد أصبح عقيداً في الجيش الفرنسي وقائداً لإحدى سرايا المدفعية ولكنهم رفعوه فوراً إلى رتبة جنرال وأعطوه قيادة أكبر فرقة عسكرية في الجيش لكي يعيد الهجوم الألماني على باريس.

ولكنه لم ينجح في ذلك بسبب قوة الهجوم الألماني الذي اخترق خط ماجينو، نقول ذلك على الرغم من شجاعته ومخاطرته بنفسه أثناء المعارك، ونظراً لذلك فقد عينوه وزيراً في الحكومة في تلك الفترة العصيبة، ولكنه رفض معاهدة الهدنة أو الاستسلام

للألمان، وغادر فرنسا سرّاً في اللحظة التي استلم فيها الماريشال بيتان السلطة. وذهب ديغول إلى عند تشرشل في لندن لمقاومة النازية.

ثم دخل التاريخ يوم ١٨ يونيو من عام ١٩٤٠ عندما وجه نداءه الشهير إلى الشعب الفرنسي قائلاً : "أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة ولكننا لم نخسر الحرب وسوف نناضل حتى نحرر بلدنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره".

وهناك في لندن راح الجنرال ديغول يشكل في المنفى حكومة فرنسا الحرة، وهكذا أصبحت لفرنسا حكومتان: الأولى برئاسة الماريشال بيتان ومقرها في مدينة "فيشي" وهي عميلة للألمان.

والثانية في المنفى الإنجليزي برئاسة ديغول وهي مضادة لأي تعامل مع المحتل، وعندئذ انقسمت فرنسا إلى قسمين قسم مد يداً للمارشال وقسم مؤيد للجنرال، وسوف ينعكس ذلك على تاريخ فرنسا اللاحق كله.

والأكي من ذلك هو أن الماريشال بيتان رئيس الحكومة العميلة راح ينظم محاكمة غيابية لديغول بتهمة الخيانة العظمى! وقد حكموا عليه بالإعدام غيابيّاً، ونلاحظ أن الأمور سوف تنعكس بعد ذلك بأربع سنوات عندما يعود ديغول ظافراً إلى البلاد ومحرراً لباريس، وعندئذ راح هو الذي يتهم بيتان بالخيانة العظمى ويحكم عليه بالإعدام ولكن دون تنفيذ الحكم نظراً لكبر سنة، فقد كان قد تجاوز التسعين.

وفي أثناء الحرب اتفق ديغول مع تشرشل على أن يدفع له هذا الأخير مبالغ ضخمة من أجل تسيير حكومته في المنفى وتنظيم أعمال المقاومة في الداخل، واشترط عليه ان يفعل ذلك على سبيل الدين لا على سبيل الهبات والكرم الحاتمي لكيلا تقيد حريته في الحركة.

وبالفعل فقد رد ديغول كل ديونه حتى قبل انتهاء الحرب .

فالواقع أن ديغول كان متشدداً جدّاً فيما يخص المبادئ، ولم يكن يساوم على الشرف الوطني أو الاستقلال الذاتي أو المبادئ العليا، ويبدو أن علاقاته مع تشرشل في تلك

الفترة العصيبة من التاريخ شهدت بعض التأزمات والصراعات أحياناً، فكلاهما كان عملاقاً من الناحية السياسية والتاريخية، ولم يكن من السهل على ديغول أن يخضع لتشرشل حتى لو كان مقيماً عنده.

وفي إحدى المرات صرخ تشرشل في وجهه قائلاً: ولكنك لست فرنسا كلها يا ديغول! أنت تمثل فرنسا المقاومة، أما فرنسا الأخرى فيمثلها غيرك.

فرد عليه ديغول فوراً: أنا أتحرك باسم فرنسا، وأناضل باسم فرنسا كلها، وأنا أقاوم النازية إلى جانب إنجلترا ولكن ليس لصالح إنجلترا، أنا اتحدث باسم فرنسا ولست مسؤولاً أمام أحد غيرها!

وعندئذ رد عليه تشرشل قائلاً: كنت آمل أن نحارب جنباً إلى جنب ولكن أملي خاب بكلامك، فقد فهمت أنك قادر ليس فقط على محاربة ألمانيا وإيطاليا واليابان وإنما أيضاً إنجلترا وأميركا!

فرد عليه ديغول: آخذ كلامك على سبيل المزاح لا الجد، ولو عرفت أنك جاد لغضبت منك غضباً شديداً، فلو كان هناك شخص على وجه الأرض مفيد لإنجلترا لكنت أنا هذا الشخص. وانتهى النقاش عند هذا الحد بين أكبر شخصيتين أثناء الحرب العالمية الثانية.

أما علاقات ديغول مع روزفيلت فكانت أكثر تعقيداً لأن الرئيس الأميركي لم يكن يثق بديغول وكانا يحتقران بعضهما البعض على عكس تشرشل، والواقع أن ديغول كان منزعجاً جدّاً من الغرور الأميركي أو عنجهية اليانكي! وقد قال مرة لتشرشل: قل لروزفيلت بأني أكبر من أن أنحني مذلولاً أمام الأميركان!

ويبدو أن روزفيلت كان يريد القضاء على القدرة الصناعية لفرنسا وتحويلها إلى دولة تابعة للعالم الأنغلوساكسوني، بل وكان يعاملها على أساس أنها دولة مهزومة في الحرب مثل ألمانيا وإيطاليا.

وهذا ما كان يجعل ديغول يستشيط غضباً ويخرج عن طوره، فقد كان مفعماً بالأمجاد الفرنسية ولا يقبل إطلاقاً بأن يعامل أحد فرنسا وكأنها دولة ثانوية كان يشعر بأن كل

عظمة فرنسا تتجسد في شخصه، ولذلك رفض أن ينحني أمام الأميركان وحصلت له مشاكل كثيرة معهم بعد الحرب العالمية الثانية، وتحداهم أكثر من مرة أثناء الحرب الباردة، بل وخرج من حلف الأطلسي أو من إحدى هيئاته الأساسية وراح يتقارب مع الاتحاد السوفييتي ويعترف بالصين.

وأما روزفيلت فقد رد عليه بالصاع صاعين، وحاول إهانته اكثر من مرة، وكان يعتبره ديكتاتوريّاً مقبلاً أو شخصاً انتهازيّاً على الأقل، ولكنه كان مخطئاً فقد اتبع ديغول بعد الحرب، سياسة ديمقراطية تجاه الشعب الفرنسي، وكان أول قرار اتخذه هو إعطاء حق التصويت للنساء: أي لنصف الشعب ومعلوم أن المرأة الفرنسية كانت محرومة من هذا الحق سابقاً.

ثم أسس ديغول الضمان الاجتماعي للفرنسيين الفقراء والمتوسطي الحال، وهذا من أكبر انجازاته، بالإضافة إلى تصويت المرأة ثم قام ببعض التأميمات لصالح العمال والطبقات الشعبية.

وعلى الرغم من كل ما فعله لفرنسا منذ تحريرها من الاحتلال النازي إلا أن الأحزاب السياسية تآمرت عليه فاضطر إلى ترك السلطة عام ١٩٦٩، أو قل أنه لم يضطر إلى ذلك وانما استقال من تلقاء نفسه عندما شعر بأنه لا يستطيع ان يحكم البلاد كما يريد.

وبما أنه اكبر من الحكم ولا يستمد قيمته الشخصية من كرسي السلطة فإنه تخلى عنه بكل شموخ وكبرياء وعاد إلى قريته في كولوملبي لودو زيغليز.

أما " بيتان " خان بلاده بعد أن كان بطلاً قومياً في الحرب العالمية الأولى، ووقع معاهدة استسلام مع ألمانيا تقاسم معها فرنسا وتنازل ١٩٤٢ عن باريس ، وشكّل حكومة في مدينة فيشي في الجنوب الشرقي اسماها الفرنسيون بـ " حكومة فيشي العميلة " التي أهدرت محاكمها دم ديغول بحكمها عليه بالإعدام بتهمة " الخيانة العظمى " !!

و لكن عندما انتهت الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٤٥ وسقطت النازية وقُضيَ على هتلر عاد الجنرال ديغول إلى فرنسا، وحُكِم على الماريشال بيتان بالإعدام جزاءًا لخيانته !!

أيضا هناك قصة واقعية لامرأة قادت حربا نفسية ، جرت أحداثها في الحرب العالمية الثانية وتبين مدى ضراوة الحرب النفسية وتداعياتها .

أثناء الحرب العالمية الثانية اكتسبت الشابة الأمريكية المنشأ واليابانيةالأصل "إيفا توجيوري" شهرة واسعة وأطلق عليها آنذاك لقب "وردة طوكيو" لإقدامها على إذاعة برامج وتسجيلات إخبارية كان الهدف منها إحباط الروح المعنوية وإضعاف الثقة لدى القوات الأمريكية المرابطة قرابة سواحل جنوب المحيط الهادى.

ولدت "وردة طوكيو" بولاية لوس أنجلوس في الرابع من يوليو ١٩١٦ ، حيث نزح والدها جون توجيوري إلى الولايات المتحدة الأمريكية قادما من اليابان عام١٨٩٩ ثم تبعته والدتها في عام ١٩١٣ ، وانتقلت العائلة بعد ذلك إلى لوس أنجلوس حيث بدأت توجيوري حياتها بدراسة قواعد اللغة الإنجليزية بمدينتي كاليكسيو وسان دييجو بكاليفورنيا ووصفت في الأوساط العلمية حينذاك بولائها لأمريكا.[1]

حصلت توجيوري على درجة البكالوريوس في علم الحيوان من جامعة كاليفورنيا بولاية لوس أنجلوس في يناير. ١٩٤ ، قررت بعدها السفر والعودة إلى اليابان.

أبحرت توجيوري في ٥ يوليو ١٩٤١ من ميناء سان بدرو بكاليفورنيا متجهة إلى اليابان بدون أن يكون بحوزتها جواز سفر أمريكي وعللت ذلك فيما بعد بأنها سافرت لليابان لزيارة عمتها المريضة وأيضا لدراسة الطب.

ثم تقدمت بطلب إلى القنصل الأمريكي باليابان خلال شهر سبتمبر من نفس العام لمنحها جواز سفر أمريكي حتى تتمكن من السفر مرة ثانية إلى الولايات المتحدة والإقامة هناك بصفة دائمة.

ولكن قبل إصدار جواز السفر كانت الولايات المتحدة قد بدأت حربها ضد اليابان ولم تتخذ السلطات الأمريكية أية إجراءات نهائية للموافقة على طلبها.

١- وردة طوكيو.. العدو المفضل للأمريكيين – مجلة الجزيرة – ٢ أكتوبر ٢٠٠٨ .

وعقب القصف الياباني لميناء بيرل هاربر تقدمت توجيوري بطلب ترحيلها إلى الولايات المتحدة بواسطة المفوضية السويسرية المتواجدة باليابان، ولكنها تراجعت وسحبت طلبها مرة أخرى بعدما أعربت عن استعدادها للتطوع والبقاء في اليابان حيث التحقت بمعهد لتعليم اللغة اليابانية.

ومنذ منتصف ١٩٤٢ وحتى أواخر ١٩٤٣ عملت توجيوري بوظيفة ناسخة آلة كاتبة بوكالة أنباء دومي ثم حصلت في أغسطس١٩٤٣ على عمل إضافي بنفس المهنة بإذاعة طوكيو.

في شهر نوفمبر ١٩٤٣ بدأت توجيوري العمل بصفة رسمية كمذيعة لدى إذاعة طوكيو اكتسبت من خلالها شهرة واسعة أدينت على إثرها بتهمة الخيانة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد كان برنامجها الإذاعي الشهير "ساعة الصفر" جزءاً من استراتيجية الحرب النفسية التي كانت تشنها اليابان لإضعاف الثقة وإحباط الروح المعنوية لدى القوات الأمريكية.

و"ساعة الصفر" برنامج إذاعي كان يتم بثه يوميا طوال الأسبوع فيما عدا يوم الأحد من الساعة السادسة وحتى السابعة عشرة والربع مساء بتوقيت طوكيو.

وكانت توجيوري تتقاضى راتبا شهريا وقدره ١٥٠ يناً يابانياً أي ما يعادل ٧ دولارات أمريكية.

وفيما يلي أحد المقتطفات التي استهلت بها توجيوري برنامجها الإذاعي خلال شهر أكتوبر ١٩٤٤: "أهلا بكم أيها الأغبياء .. هنا محدثتكم وعدوتكم المفضلة.. كيف حالكم أيها اليتامى وأنتم هنا وزوجاتكم وحبيباتكم يرتعن ويعبثن مع عشاقهن هناك .. كيف تشعرون الآن بعد أن دمرت البحرية اليابانية بوارجكم... هل ستعودون إلى بلادكم؟".

مع بداية برنامج "ساعة الصفر" لم تكن هنالك اية إشارة على استخدامها اللقب التي اشتهرت به "وردة طوكيو". ولكن أطلق هذا اللقب عليها من قبل القوات الأمريكية أوائل عام ١٩٤٤.

وفي حقيقة الأمر فإن هذا اللقب قد انتشر بين أفراد القوات العسكرية المرابطة قرابة سواحل المحيط الهادي وهو اللقب الذي يطلق على أي مذيعة يابانية تتحدث اللغة الإنجليزية بإذاعة طوكيو في الفترة بين ١٩٤٣ و١٩٤٥.

وكانت تيوجوري تشعر بالفخر والاعتزاز لإطلاق هذا اللقب عليها نظرا لأنها المرأة الأمريكية الوحيدة التي حظيت بمثل هذا اللقب بين المواطنات الأجنبيات، والدليل على ذلك أنها قامت بتوقيع لقبها "وردة طوكيو" كأتوجراف على عملة الين اليابانية لأحد أفراد القوات الأمريكية أثناء فترة احتجازها بالسجن باليابان بعد انتهاء الحرب.

في ١٩ إبريل ١٩٤٥ تزوجت إيفا توجيوري من فيليبي داكوينو المواطن البرتغالي الياباني الأصل وتم عقد الزواج بالقنصلية البرتغالية بطوكيو، ومع ذلك لم تتنازل عن حقها في المطالبة في الجنسية الأمريكية فضلا عن استمرارها في تقديم برنامج "ساعة الصفر" على الرغم من تهديدات زوجها المتكررة بالتوقف عن أداء دورها في البرنامج.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأعلنت اليابان استسلامها قامت سلطات الجيش الأمريكي بإلقاء القبض على السيدة داكوينو "وردة طوكيو" باعتبارها مصدر خطر يهدد الولايات المتحدة حيث أودعت بسجون مختلفة باليابان إلى أن أطلق سراحها عام ١٩٤٥، وتم القبض عليها مرة أخرى في سبتمبر ١٩٤٨ وصدرت الأوامر بإحضارها إلى الولايات المتحدة في ظل حراسة عسكرية .

ووصلت بالفعل إلى ولاية سان فرانسيسكو يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٨ تمهيدا لإحالتها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية بتهمتي الخيانة وتقديم المساعدة والولاء للحكومة الإمبريالية اليابانية أثناء الحرب العالمية الثانية.

استغرقت التحقيقات التي أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالية خمس سنوات متواصلة أجريت خلالها العديد من المقابلات والتحقيقات مع مئات الجنود الذين شاركوامع القوات الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية.

ونجح فريق التحقيقات في الحصول على وثائق يابانية وتسجيلات للبرامج الإذاعية التي لعبت فيها "وردة طوكيو" دور البطولة أثناء تلك الفترة.

مثلت السيدة داكوينو التي ذاع صيتها ولقبت ب"وردة طوكيو" أمام القضاء الأمريكي في ٥ يوليو ١٩٤٩ وهو اليوم الذي يلي عيد ميلادها الثالث والثلاثين بتهمة الخيانة والإدلاء ببيانات إذاعية مغرضة خلال شهر أكتوبر ١٩٤٤ عن اختفاءالسفن الحربية الأمريكية، وبذلك أصبحت سابع شخصية تتهم بالخيانة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن الطريف أن إجراءات المحاكمة كبدت الحكومة الأمريكية ما لايقل عن ٥٠٠.٠٠٠ دولار أمريكي واحتوت الوثائق والمستندات على ملايين الكلمات بالإضافة إلى تكاليف استدعاء عدد كبير من الشهود من اليابان لإجراء التحقيقات معهم ومن ثم المثول أمام القضاء لسماع شهادتهم.

ولقد صدر الحكم من محكمة سان فرانسيسكو في ٦ أكتوبر ١٩٤٩على "وردة طوكيو" بالسجن لمدة عشر سنوات وإيداعها إصلاحية النساء بولاية فيرجينيا الغربية مع تغريمها ١٠٠،٠٠٠دولار أمريكي.

وتم إطلاق سراحها في ٢٨ يناير ١٩٥٦م بعد قضاء ست سنوات وشهرين بعد أن تقدمت بالتماس للحكومة الأمريكية لتخفيف مدة العقوبة، ثم قام الرئيس الأمريكي الراحل جيرالد فورد بإصدار عفو عام عنها في ١٩ يناير ١٩٧٧، وهي الآن تعيش حياة هادئة في منطقة " ايليونيوس " بولاية شيكاغو الأمريكية.

●●●

10

الفصل العاشر

الحرب النفسية
وثقافة الهزيمة

الثقافة هي مجموع المعارف التي يكتسبها الإنسان من أبويه ومحيطه وتجاربه. والثقافة تستقر في العقل الباطن للإنسان وتحكم تصرفاته حيث إنها تبرمجه فيعمل الإنسان بموجبها لاإراديّاً ويحاول نشرها لأكبر عدد من الناس لتحمسه لها ولاعتقاده أنها الصواب وغيرها الخطأ ، ويصف غير المتمتع لثقافتهم بالعجز والمرض.

و الثقافات السلبية التي تلوث الأفراد والجماعات وتعمل على هدمهم:

١ - **ثقافة التخلف:** يكتسب الإنسان ثقافة التخلف من بيئته الملوثة بها ويفسر كل أموره بموجبها بحيث يبقى متخلفاً حضاريّاً.

٢ - **ثقافة الفقر:** يبرمج الإنسان الملوث بهذه الثقافة نفسه بموجبها بحيث يبقى فقيراً للأبد معدداً حسنات الفقر والمخاوف والمحاذير التى من الممكن أن يقع فيها إذا لم يبقَ فقيراً.

٣ -**ثقافة الضعف:** كذلك يبرمج الإنسان الملوث بهذه الثقافة نفسه عليها بحيث يبقى ضعيفاً.

٤ - **ثقافة الخنوع:** بحيث يتزاوج الضعف مع الخوف لينتج ثقافة الخنوع فيخنع لأي مستكبر أو متجبر عليه.

١-التلوث الثقافي الهادم للأمم والأفراد والجماعات ذاتيا - غازي أبوفرحة – موقع دنيا الوطن- ١٢ ديسمبر ٢٠٠٥) .

٥ - **ثقافة الخرافة :** تسيطر على الإنسان ثقافة الخرافة غير الواقعية ويبرمج حياته بموجبها وتكون محور حياته ولا يتقبل غيرها ويعمل على نشرها لتحمسه لها .

٦ - **ثقافة الرجعية :** لا يتقبل الإنسان الملوث بهذه الثقافة أي جديد فيصعب تغييره ويتعصب للقديم الموروث والذي غالباً ما يكون ملوثاً بالأوهام والخرافات.

٧ - **ثقافة التبعية :** يبرمج الإنسان الملوث بهذه الثقافة نفسه بحيث يكون تابعاً لأحد أو جماعة وتعطل هذه الثقافة عنده روح الإقدام والمبادرة.

٨ - **ثقافة النصب والاحتيال :** يبرمج حياته وتفكيره على النصب والاحتيال ويحاول حل مشاكله في الرزق والعلاقات الاجتماعية عن طريق النصب والاحتيال رغم أنه يقع في مطبات عميقة فتحطمه دون أن يعتبر ؛ كما قال المثل : يا حافر حفرة السوء ... يا واقع فيها.

٩ - **ثقافة الإلحاد :** وهي عكس ثقافة الإيمان بحيث يحور الإنسان الملوث بهذه الثقافة كل معارفه التي اكتسبها أو ما زال يكتسبها إلى الإلحاد ويفسر كل الأمور بموجبها كما حصل لشريحة كبيرة من المجتمع العربي ومجتمعات أمريكا وأوروبا كلها تقريباً فإن أكثر من ٩٩٪ منهم ملحدون فأصبحت حياتهم آلية خالية من الروح رغم أن أمريكا تكتب على الدولار : نحن نؤمن بالله ليس لأنها تؤمن بالله فعلاً بل لكي تصطاد الشعوب المؤمنة وتسيطر عليهم وتنهب ثرواتهم.

١٠ - **ثقافة التدين الشكلي :** وهذه ثقافة خطيرة فالتدين الشكلي يضر بالدين أكثر من الكفر والإلحاد واللذان يمتازان عن التدين الشكلي بالصدق والصراحة؛ فالتدين الشكلي يستعمل الدين كغطاء للموبقات التي يمارسها من كذب وسرقة وزنا أو أي انحراف آخر عن جادة الصواب ينهى عنه الدين.

١١ - **ثقافة المصلحة :** تتلوث بها كثير من المجتمعات المدنية وتقل في الريف والبادية عنها في المدينة وتسود في كثير من الأمم المتطورة كأمريكا التي لا تتعامل إلا بالمصلحة.

١٢ - **ثقافة الانتهازية :** إن انتهاز الفرص واجب مطلوب للإنسان في سعيه لكسب الرزق والسعادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغتنم خمساً قبل خمس : صحتك قبل سقمك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك..الخ ولكن الانتهازية المقصودة هنا هي الانتهازية السلبية بحيث ينتهز الملَوّث مصائب الآخرين ونقاط ضعفهم ليتسلق عليها وتصبح محور حياته ويعتقد أن لا طريق له للرزق والحياة إلا هذا الطريق فيبني سعادته على شقاء الآخرين.

١٣ - **ثقافة النفاق :** النفاق نوع من المدح الخداعي الكاذب بقصد التقرب من أشخاص أو مجموعات للحصول على منفعة أو درء مفسدة .

والنفاق عكس الصراحة والمجابهة ؛ وإن كثيراً من الأشخاص والمجموعات ملوثون بهذه الثقافة الهدامة ولا يرون غيرها أسلوباً للتعامل مع مشاكلهم في الحصول على المنافع وفي درء المفاسد.

١٤ - **ثقافة العنف والجريمة :** يبرمج الإنسان الملوث بهذه الثقافة نفسه على العنف والجريمة ويحل كل مشاكله بهذه الثقافة مع أنها تجلب له العديد من المشاكل وتدخله السجن ، وفي السجن يلتقي بالكثير من أتباع هذه الثقافة الذين يزيدون من ارتباطه بها .

١٥ - **ثقافة المظهر:** وهي عكس ثقافة الجوهر الإيجابية ؛ فالملوث بثقافة المظهر يحكم على كل الأشخاص والأمور بحسب مظهرها الخارجي فقط ولا علاقة له بجوهر الأشخاص والأمور والذي غالباً ما يكون مغايراً لمظهرها .

١٦ - **ثقافة الملذات:** يبحث الملوث بهذه الثقافة عن اللذة الغريزية البهيمية في الطعام والشراب والجنس والخمر والمخدرات والقمار وقد تتراوح هذه الملذات في نفس الملوث من عنصرين أو أكثر إلى كل عناصر اللذة فتعمل هذه الثقافة على هدمه وهدم الجماعة التي ينتمي إليها.

١٧ - **ثقافة الاستهلاك :** وتصيب الأجيال الطفيلية والنساء (الزوجات) بحيث يكون كل محور حياتها وتفكيرها منصباً على الاستهلاك كأصناف المأكل والملبس والزينة ولا علاقة للملوث بهذه الثقافة بالإنتاج لأن الإنتاج في الجيل الطفيلي يكون مؤمناً له من الجيل الباني وللزوجات يكون مؤمناً لهنّ من الأزواج؛ وثقافة الاستهلاك السلبية هي عكس ثقافة الإنتاج الإيجابية.

١٨ - **ثقافة الجنس:** يبرمج الإنسان الملوث بهذه الثقافة نفسه ومعارفه والمعارف التي يتلقاها على الجنس ويجعله محور حياته وتفكيره.

١٩ - **ثقافة الكراهية :** وهي عكس ثقافة المحبة الإيجابية؛ تجعل التلوث بها يكره كل شيء حتى نفسه أحياناً .

٢٠ - **ثقافة الأنانية :** تكون نفس الملوث بهذه الثقافة هي محور حياته وتفكيره فتمنعه من التعاون مع الغير أو تقديم المساعدة لهم فيتقوقع على نفسه ويتشرنق ؛ ويحرم نفسه من مكاسب العمل الجماعي ؛ لأن العمل الجماعي له مكاسب كثيرة فالنحلة بمفردها لا تستطيع بناء الخلية وصنع العسل .

٢١ - **الثقافة الميكافيللية :** نسبة إلى الإيطالي ميكافيللي صاحب نظرية : " الغاية تبرر الوسيلة" فترى الملوثون بهذه الثقافة لا يهمهم المآسي وعذابات الناس الذين يدوسونهم في سبيل وصولهم لغاياتهم ؛ ويسمون بالعربية بالوصوليين.

وترى هذه الثقافة سائدة في أمريكا التي قتلت وروعت مئات الألوف من أبناء الشعوب المستضعفة في العراق وأفغانستان وفيتنام وغيرها في سبيل الوصول إلى ثرواتهم لنهبها؛ ولم تأبه لعذابات الناس الذين قتلوا وعذبوا ودمرت بيوتهم وممتلكاتهم .

٢٢ - **ثقافة الطابور الخامس :** الطابور الخامس هم الجواسيس الذين يساعدون عدو بلادهم في عدوانه . ويقال ظهر هذا التعبير عندما قال فرا نكو. إسبانيا لهتلر . ألمانيا (في بداية الحرب العالمية الثانية) قال له : عندي أربع طوابير(جيوش).؛ فقال له هتلر : أنشئ الطابور الخامس (الجواسيس) فهذا الطابور أقوى من الطوابير الأربعة الأخرى .

إن ثقافة الطابور الخامس هي نفسها ثقافة الخيانة ولكنها في حالة الطابور الخامس قد تكون الخيانة غير مباشرة. فترى الملوث بها يساعد عدوه مساعدة غير مباشرة لاعتقاده بأن مصالحه مع هذا العدو وليس مع بني جلدته .

٢٣ - **ثقافة الهزيمة:** وهي أهم الثقافات الهدامة التي ابتلي بها العرب بعد هزيمتهم مع إسرائيل عام ١٩٦٧ ؛ رغم أنها كانت نكسة عابرة وعادوا وانتصروا انتصاراً باهراً في حرب رمضان عام ١٩٧٣ . إلا أن أمريكا لتكرس ثقافة الهزيمة لدى العرب لأنها تستفيد منها . فإن ثقافة الهزيمة تجعل أمريكا وعملاءها يسيطرون على العرب لنهب ثرواتهم بأقل قدر من الجهد .فإن ثقافة الهزيمة تخلق الإحباط واليأس لدى الملوث وتجعله لقمة سائغة لأعدائه والمتربصين به .

وفي مقال رائع ، استطاع الكاتب الكبير فيصل القاسم تشخيص " ثقافة الهزيمة " بصورة متقنة ، تجعل القارئ يختصر عشرات الكتب والدراسات والأبحاث ، حتى يضع يديه على معنى المصطلح ، في الوقت الذي ربط بينه وبين عالمنا العربي .

وقد بدأ الكاتب الكبير مقاله بقوله : لا أعتقد أن هناك أمة عانت من ثقافة الهزيمة أكثر من الأمة العربية، فقد عمل أعداؤنا على مدى عقود على تكريس الشعور بالهزيمة لدينا، وقد ساعدهم في ذلك رهط من أبناء جلدتنا الذين ما فتئوا ينشرون اليأس والعجز والإحباط بين ظهرانينا بدعوى الواقعية وضرورة أن نعرف قدر أنفسنا، على اعتبار أنه ليس بالإمكان أكثر مما كان.[1]

ويقول : " ولا بد من الاعتراف بأن أولئك الأشرار قد نجحوا إلى حد كبير في حربهم النفسية الخطيرة ضد الشعب العربي من المحيط إلى الخليج، خاصة وأن الأخطر من الهزائم العسكرية التي مُنينا بها هو القبول بها والعيش معها كأمر واقع، فقد وصل الأمر بالكثير منا إلى حد الخوف حتى من استخدام كلمة مقاومة أو جهاد أو تصدٍّ في الآونة الأخيرة، خشية أن نُتهم بالإرهاب بحيث أصبحنا نخشى من الكلام فما بالك القتال.

١-ثقافة الهزيمة إلى مزبلة التاريخ - فيصل القاسم - الحوار المتمدن — ٢١ أغسطس ٢٠٠٦ .

لقد انحدرت بنا ثقافة الهزيمة إلى ذلك الدرك الأسفل من الهوان والاستكانة. ويؤكد هذه الحقيقة كتاب شهير بعنوان "ثقافة الهزيمة" The Culture of Defeat، إذ يرى مؤلفه وولفغانغ شيفلبوش أن أهم شيء في فنون الحرب الحديثة ليس الانتصار على عدو ما، بل إبقاء ذلك العدو أسيراً لعار السقوط ولحظة الهزيمة والوقوع على الأرض لا يخرج منها أبداً ولا يخرج من عاره أو من هزيمته.

بعبارة أخرى، فإن النصر الأعظم الذي تستطيع قوة من القوى أن تلحقه بأعدائها هو أن تظل تضغط عليها نفسياً باستمرار، وأن تذكرها طوال الوقت بهزيمتها وأن تستبقيها إلى الأبد أسيرة لثقافة الهزيمة. وقد درس المؤلف تجارب ألمانيا واليابان وبولندا وفرنسا، وأخذ حالة هذه البلدان وكيف واجهت الوضع الصعب، مع العلم أن ألمانيا استسلمت بلا قيد أو شرط وفتحت أبوابها للمنتصرين ليدخلوا ويفعلوا ما يشاؤون، وأن اليابان ركعت على ركبتيها أمام القنبلة النووية الأمريكية واستسلمت بالكامل.

ولا ننسى أن فرنسا بجلالة قدرها هُزمت واحتُلت من قبل هتلر في سنة ١٩٤٠ وظل نصفها تحت حكم الألمان والنصف الآخر بقيت فيه حكومة عميلة. لكن الشعوب الأوروبية لم تسمح للهزيمة بأن تتحول إلى ثقافة عامة، كما فعل العرب. لقد فهم الألمان واليابانيون والفرنسيون تلك الحقيقة جيداً، كما يقول محمد حسنين هيكل، وواجهوها واجتثوها من جذورها. وقد لعب المثقفون الوطنيون وقتها دوراً كبيراً في إزالة آثار الهزيمة وتشجيع المقاومة وإعادة استنهاض الروح المعنوية للشعوب الفرنسية والألمانية واليابانية، بمعنى أن المثقف الحقيقي هو أول من يجب أن يتنبه إلى أن استبقاء شعبه أو أمته أسيرة لثقافة الهزيمة أمر في غاية الخطورة، فلا ديمقراطية ولا حرية ولا تنمية ولا شرعية ولا هوية ولا كرامة، طالما أن الأمة أسيرة لثقافة الهزيمة. فلا يمكن أن تصنع مستقبلاً وأنت أسير لحظة الانكسار.

لكن بينما تصدى المثقفون والإعلاميون الغربيون لثقافة الهزيمة ووأدوها في مهدها، راح بعض مثقفينا يكرّس الهزيمة ويجعلها ثقافة عامة مستدامة.

لقد تخلص شارعنا من عقدة الذل والهزيمة، وهي، كما رأينا في كتاب (ثقافة الهزيمة) آنف الذكر أنها أخطر بكثير من الهزيمة ذاتها. ولا شك أن المثقفين العرب الحقيقيين سيستعيدون من الآن فصاعداً زمام المبادرة ولن يخشوا تسمية الأمور بمسمياتها الحقيقية بعدما كانوا يتجنبون عبارات التحدي والمقاومة في الماضي.

●●●

11

الفصل الحادي عشر

الحرب النفسية واختراق الأمن القومي

على الرغم من الأهمية القصوى لمفهوم "الأمن" وشيوع استخدامه، فإنه مفهوم حديث في العلوم السياسية، وقد أدى ذلك إلى اتسامه بالغموض مما أثار عدة مشاكل، فلا يُعَدُّ اصطلاح "الأمن" هو أفضل المصطلحات للتعبير عن الأمن الوطني الدولة المعاصرة من ناحية، كما لم يتبلور المفهوم لكي يصبح حقلاً علمياً داخل علم السياسة-منفصلاً عن علوم الإستراتيجية- تطبق عليه قواعد تأسيس النظرية، بدءاً من وضع الفروض وتحديد مناهج البحث الملائمة، واختيار أدوات التحقق العلمي، وقواعد الإثبات والنفي وإمكانية الوصول إلى نظرية عامة، وبالتالي الوصول إلى قانون يحكم ظاهرة "الأمن الوطني" ، كما يقول الدكتور زكريا حسين أستاذ الدراسات الإستراتيجية والمدير الأسبق لأكاديمية ناصر العسكرية بمصر .

ويعود استخدام مصطلح "الأمن" إلى نهاية الحرب العالمية الثانية؛ حيث ظهر تيار من الأدبيات يبحث في كيفية تحقيق الأمن وتلافي الحرب، وكان من نتائجه بروز نظريات الردع والتوازن، ثم أنشئ مجلس الأمن القومي الأمريكي عام ١٩٧٤م، ومنذ ذلك التاريخ انتشر استخدام مفهوم "الأمن" بمستوياته المختلفة طبقًا لطبيعة الظروف المحلية والإقليمية والدولية. (١)

وعلى الرغم من حداثة الدراسات في موضوع "الأمن" فإن مفاهيم "الأمن" قد أصبحت محددة وواضحة في فكر وعقل القيادات السياسية والفكرية في الكثير من

١-الأمن القومي - دكتور زكريا حسين .

الدول.. وقد برزت كتابات متعددة في هذا المجال، وشاعت مفاهيم بعينها في إطاره لعل أبرزها "الأمن القومي الأمريكي" و"الأمن الأوروبي" و"الأمن الإسرائيلي" و"الأمن القومي السوفييتي" قبل تفككه.

وفي مجال التوصل إلى مفهوم متفق عليه "للأمن"، فإنه يجدر بنا التعرف على ذلك المدلول في إطار المدارس الفكرية المعاصرة.

فالأمن من وجهة نظر دائرة المعارف البريطانية يعني "حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية".

ومن وجهة نظر هنري كسينجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق يعني أي تصرفات يسعى المجتمع عن طريقها إلى حفظ حقه في البقاء.

ولعل من أبرز ما كتب عن "الأمن" هو ما أوضحه "روبرت مكنمارا" وزير الدفاع الأمريكي الأسبق وأحد مفكري الإستراتيجية البارزين في كتابه "جوهر الأمن".. حيث قال: "إن الأمن يعني التطور والتنمية، سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونة". واستطرد قائلاً: "إن الأمن الحقيقي للدولة ينبع من معرفتها العميقة للمصادر التي تهدد مختلف قدراتها ومواجهتها؛ لإعطاء الفرصة لتنمية تلك القدرات تنمية حقيقية في كافة المجالات سواء في الحاضر أو المستقبل".

ولعل أدق مفهوم "للأمن" هو ما ورد في القرآن الكريم في قوله - سبحانه وتعالى -: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ -الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ". ومن هنا نؤكد أن الأمن هو ضد الخوف، والخوف بالمفهوم الحديث يعني التهديد الشامل، سواء منه الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، الداخلي منه والخارجي.

وفي إطار هذه الحقيقة يكون المفهوم الشامل "للأمن" من وجهة نظري هو:

"القدرة التي تتمكن بها الدولة من تأمين انطلاق مصادر قوتها الداخلية والخارجية، الاقتصادية والعسكرية، في شتَّى المجالات في مواجهة المصادر التي

تتهدَّدُها في الداخل والخارج، في السلم وفي الحرب، مع استمرار الانطلاق المؤمَّن لتلك القوى في الحاضر والمستقبل تخطيطاً للأهداف المخططة".

ثانيًا: ركائز وأبعاد ومستويات الأمن:

وعلى ضوء المفهوم الشامل للأمن، فإنه يعني تهيئة الظروف المناسبة والمناخ المناسب للانطلاق بالإستراتيجية المخططة للتنمية الشاملة، بهدف تأمين الدولة من الداخل والخارج، بما يدفع التهديدات باختلاف أبعادها، بالقدر الذي يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر له أقصى طاقة للنهوض والتقدم.

من هنا فإن شمولية الأمن تعني أن له أبعادًا متعددة :

أولها : البُعْد السياسي.. ويتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة.

ثانيًا : البُعْد الاقتصادي.. الذي يرمي إلى توفير المناخ المناسب للوفاء باحتياجات الشعب وتوفير سبل التقدم والرفاهية له.

ثالثًا : البُعد الاجتماعي.. الذي يرمي إلى توفير الأمن للمواطنين بالقدر الذي يزيد من تنمية الشعور بالانتماء والولاء.

رابعًا : البُعْد المعنوي أو الأيديولوجي.. الذي يؤمِّن الفكر والمعتقدات ويحافظ على العادات والتقاليد والقيم.

خامسًا : البُعْد البيئي.. الذي يوفِّر التأمين ضد أخطار البيئة خاصة التخلص من النفايات ومسببات التلوث حفاظاً على الأمن.

ويتم صياغة الأمن على ضوء أربع ركائز أساسية :

أولاً : إدراك التهديدات سواء الخارجية منها أو الداخلية.

ثانيًا : رسم إستراتيجية لتنمية قوى الدولة والحاجة إلى الانطلاق المؤمَّن لها.

ثالثًا: توفير القدرة على مواجهة التهديدات الخارجية والداخلية ببناء القوة المسلحة وقوة الشرطة القادرة على التصدي والمواجهة لهذه التهديدات.

رابعًا: إعداد سيناريوهات واتخاذ إجراءات لمواجهة التهديدات التي تتناسب معها.. وتتصاعد تدريجيًا مع تصاعد التهديد سواء خارجيًا أو داخليًا.

وللأمن أربعة مستويات:

أولاً: أمن الفرد ضد أية أخطار تهدد حياته أو ممتلكاته أو أسرته.

ثانيًا: أمن الوطن ضد أية أخطار خارجية أو داخلية للدولة وهو ما يُعبر عنه "بالأمن الوطني".

ثالثًا: الأمن القُطري أو الجماعي، ويعني اتفاق عدة دول في إطار إقليم واحد على التخطيط لمواجهة التهديدات التي تواجهها داخليًا وخارجيًا، وهو ما يعبر عنه "بالأمن القومي".

رابعًا: الأمن الدولي.. وهو الذي تتولاه المنظمات الدولية سواء منها الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن الدولي و دورهما في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين.

ظاهرة الأمن ظاهرة قديمة قدم الإنسان ، فالأمن عند الإنسان ((هو طرد الخوف والرعب)).

وعلى الرغم من التطور والتقدم التقني فإن الشعور بالخوف بقي ملازما للإنسان، ورغم ان الامن بدأ ذاتيا إلا انه أصبح مسألة قومية، ونتيجة لذلك ظهر مفهوم حديث للأمن القومي عام ١٩٤٣ نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية على يد الكاتب الأمريكي "والترليبمان" والذي ارتبط بمفهوم الدولة الحديثة ، وقد غلب عليه الطابع العسكري.

إن مفهوم الامن القومي والمصالح القومية مفهومان متداخلان ، فالمصالح القومية كل ما يمثله الكيان الذاتي وهي لا تقتصر على هدف واحد ، بل ذات أهداف (عقائدية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، سيكولوجية، وغيرها...) والتي لا تتوانى الدول في دخول حرب من اجل تحقيق تلك الأهداف، **أما المصالح القومية فيمكن التعبيرعنها بالأهداف التالية:**

- حماية السيادة الوطنية.
- تنمية مقدرات الدولة في كافة المجالات.
- زيادة مستوى ثراء الدولة الاقتصادي.
- الدفاع عن أيديولوجية النظام السياسي.
- صيانة الثقافة الوطنية وحمايتها من الأخطار الخارجية

واختلف المعنيون في تحديد مفهوم الأمن القومي ، ففي حين يؤكد ماكنمار على مفهوم التنمية والتي بدونها لا يمكن تحقيق الأمن والاستقرار، يرى البروفسور " فيري" أن التحرير من عدم الأمن ينصرف إلى الشعور بالخطر الناجم عن الإحساس بأن ترتيب الأشياء التي نعيش فيها غير مستقر، فالأمن طبقا لهذا المفهوم يشمل حالة من الهدوء وغياب عوامل الخوف والقلق عند قيام الدولة بتحقيق أهدافها القومية.

أما الدكتور حامد ربيع فيعتقد ان الأمن القومي " مجموعة معينة من المبادئ المرتبطة بحماية الكيان الذاتي، والتي تمثل الحد الأدنى لضمان الوجود القومي " ، والأمن القومي من وجهة نظر الدكتور علاء الدين هلال هو " تأمين كيان الدولة من الأخطار التي تتهددها داخليا و خارجيا ، وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق أهدافها وغاياتها القومية ".

أما مستويات الأمن القومي فهي:

أولا: المستوى الداخلي والخارجي، فالداخلي يشمل (الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية) والخارجي (حماية كيان الدولة، ومواجهة الأعداء) .

ثانيا: المستوى (الوظيفي) ويتضمن الأمن العسكري، والاقتصادي .

ثالثا : المستوى الدولي: ويشمل الأمن العسكري والاقتصادي يعتبر كفكرة مثالية. أما مفهوم الأمن القومي العربي فيعني تعاون وتآزر الأقطار العربية لدفع الأطماع الخارجية ومواجهة التكتلات الدولية وبالتالي أصبح أمن الدول العربية مجتمعة هو في حد ذاته الأمن لكل واحدة منها على حدة) .

أو هو " تأمين كيان الأمة العربية ضد الأخطار التي تهددها داخليا وخارجيا كما يعني أيضا صيانة مصالحها الحقيقية وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق غايتها القومية" .

أما تأثير وسائل الإعلام على الأمن القومي العربي فيختلف من وسيلة لأخرى ومن منطقة إلى أخرى بحسب طبيعة إدراك الحواس فهو يختلف بين الراديو والصحف والتلفزيون وتعتمد على الحاسة اللاقطة للرسالة وعلى نوعية تلك الرسالة ، كما يختلف بين الناس من حيث الاختيار والقنوات المسموعة والمرئية ، حيث نجد أن هناك شخصا يفضل القراءة وآخر يفضل الاستماع إلى الإذاعة أو مشاهدة التلفزيون ، **لذلك فإن تأثيروسائل الإعلام يتوقف على عدد من العقبات:**

- مدى الإدراك وتعليم الشخص.
- الرغبة.
- معدل دخل الفرد.
- القيم والتقاليد.

أما اختلافات تأثير الوسائل فيعتمد على طبيعة الوسائل ذاتها ، فالاتصال الشخصي مثلا هو أقوى تأثيرا ثم يليه التلفزيون والسينما ثم الإذاعة وبقية الوسائل المطبوعة وقوة تأثير الاتصال الشخصي كونه يتيح للمرسل أن يراقب المستقبل وردود أفعاله أي معرفة (التغذية العكسية).

كما لا يمكن إغفال دور التقدم التكنولوجي على وسائل الإعلام فكلما كانت الوسيلة حديثة متطورة يكون تأثيرها أكبر نسبيا. وعليه يأتي تأثير وسائل الإعلام الأمريكية من خلال الأفلام والرسائل السمعية عبر الإذاعات الموجهة التي تسمم الأذواق والسلوك من خلال التفوق العلمي والتقني في وسائل الاتصال والترويج لبعض المفاهيم مثل " الديمقراطية، والليبرالية " وترسيخها لدى أبناء الدول النامية إلى أطروحات الخطر " الأخضر " وهو الإسلام والخطر " الأصفر " الصين بعد أن زال " الخطر الأحمر " الشيوعية.

وقد استخدمت الولايات المتحدة أساليب عديدة والتي تكون أكثر فعالية وأقل كلفة وخطورة من استخدام القوات العسكرية أهمها الاختراق الإعلامي والغزو الثقافي والدعاية والحرب النفسية.

و يعد الأمن القومي أساس وجود الدولة وهدف من أهداف سياستها العليا التي تتمثل بالدفاع عن كيانها في المحيط الخارجي والداخلي لتأمين أيديولوجياتها وتعزيز استقلالها السياسي والانسجام الاجتماعي وضمان الوحدة الوطنية والقومية للدولة ضد الأخطاروأهم تلك الأخطار هو الاختراق الإعلامي وتأثيره على أمن تلك الدول.

وبما أن مفهوم الأمن القومي هو مفهوم شامل ويتضمن عددا من المستويات فإن مفهوم الأمن الاجتماعي والثقافي يعاني أيضا من جملة من التحديات والذي يتطلب ((الحفاظ على أصالة الهوية الثقافية القومية من خلال الحصانة العقائدية ضد كل ما يهدد هذه الأصالة في الداخل والخارج من أساليب ومظاهر وأهداف ظاهرة الاستعمار الثقافي الذي قد يتسبب في تغيير بعض معالم النمط الثقافي القومي الخاص ومقوماته أو زعزعتها)) .

ويكمن الخطر الإعلامي الغربي وهدفه في غمر الهويات الوطنية والقومية من خلال عمليات غزو الثقافات الغربية إلى بيئات شعوب العالم الثالث ومنهم الشعب العربي ورفض كل تجديد أو انفتاح على جوهر التقدم الذي يحصل في العالم وتعد هذه من أبرز الإشكاليات الثقافية سيما التي تواجهها الثقافة العربية بالذات كيفية التوفيق بين التراث والمعاصرة.

واهم أهداف الاختراق الإعلامي:

- تكييف المؤسسات الاجتماعية في العالم الثالث لتشجيع انتشار الأفكار والقيم السائدة في النظام الرأسمالي العالمي لتكون قوة ضاغطة ومؤثرة على القرار في بلدان العالم الثالث.
- التأثير على الرأي العام والترويج لمفهوم الديمقراطية لبسط نفوذها وسيطرتها والترويج للقوة المؤثرة " الولايات المتحدة " كقوة وحيدة خلال هذا القرن.
- إضعاف الوحدة الوطنية وخلق عامل الضعف واليأس لدى الإرادة الشعبية.
- تكريس الوضع بما يخدم مصالح معينة للكيان الصهيوني وأهدافه في تبعية الوطن العربي لإرادته، وتعد الحرب النفسية والدعائية من أهم وسائل الاختراق الإعلامي..

وتقترب الدعاية من حيث مضمونها من ناحية الوسائل التي تستخدمها في نشاطاتها المختلفة بمنظور العمليات الاتصالية بالجماهير بشكل عام وبتطور الوسائل المستخدمة في التحكم بالرأي العام وأنماط السلوك المختلفة للأفراد والجماعات وتختلف لغة الدعاية وأسلوبها وأنواعها حسب الهدف الذي تسعى إليه وحسب توجه القائم بالعملية الاتصالية الدعائية والغايات التي يستهدفها من الدعاية.

والدعاية عبارة عن عمليات اتصالية ترمي إلى التأثير على الأفراد والجماعات والسيطرة على سلوكهم الغريزي باتجاه يخدم أهداف مخططي العمل الدعائي.

ويلاحظ هنا ان أغلبية الأنظمة لا تستخدم مصطلح الدعاية وإنما "الإعلام" رغم أن ممارساتها دعائية تضليلية بعيدة عمّا يعنيه مصطلح الإعلام لأن تلك الأنظمة تعلم أن الدعاية صورة سيئة الصيت لإدارة المواقف الجماعية باستخدام رموز معينة.

ويلاحظ على الدعاية أنها تناشد العواطف لا العقل ، إضافة إلى اعتمادها على المبالغة واستخدام بعض الوسائل اللاعقلانية وغرس الكراهية في نفوس أبناء الشعب اتجاه الشعوب الأخرى بما يخدم مصالحها.

●●●

12

الفصل الثاني عشر

الصهيونية والحرب النفسية

الحرب النفسية
والطابور الخامس

كانت صورة اليهود أكثر قتامة قبل حرب ١٩٦٧ وأنها بالتأكيد أشد ظلامية في عيون غير اليهود. لذا كان من الطبيعي أن تتركز الحرب النفسية للحركة الصهيونية على ترميم هذه الصورة. وبمتابعة الجهود الصهيونية في هذا المجال نجد أنها اعتمدت على الشخصيات اليهودية أو ذات الأصول اليهودية. ولو كانوا يتنكرون ليهوديتهم.

لذا - وكما يقول الدكتور .محمد أحمد النابلسي - عمد هؤلاء إلى العديد من الإجراءات أهمها:

تخليص اليهودي من أسر الأساطير اليهودية عن طريق اعتماد العلمانية وتخليق أساطير جديدة مستوحاة من التراث اليهودي.

تجنب الصدام مع التراث الأوروبي المعادي للسامية. وانتهاز فرصة عداء النازي لها لتفجير هذا الصدام. ومن هنا التركيز على الهولوكوست.

التآمر على أعداء الفكر الصهيوني وتشويه صورتهم. وهؤلاء الأعداء هم:

- العرب بصفتهم أعداء دائمين ومشتركين وتاريخيين.

- اليهود الذين يربطون قيامة إسرائيل بظهور المشياح.

- اليهود المعادون مبدئيًّا للصهيونية.

- الأيديولوجيون المعادون للصهيونية.

أما عن السبل التي سلكتها الصهيونية لتحقيق هذه الأهداف فيمكن تلخيصها على النحو التالي:

- تأمين التمويل من أثرياء اليهود وتسخير نفوذهم لمصلحة الحركة.
- استغلال الانتشار اليهودي في العالم وتشجيعه لاعتناق الصهيونية عن طريق إقامة المؤسسات الصهيونية في بلدان الانتشار.
- تعميم الذعر في الهولوكوست على يهود العالم لدفعهم إلى اعتناق الصهيونية.
- استغلال الظروف الدولية لتشجيع الهجرة إلى فلسطين.

وهذا الاستغلال اتخذ أشكالاً مختلفة منها:

- الاتفاق مع النازية لتهجير اليهود تحت طائلة التهديد بالإبادة.
- الضغط على الدول الشيوعية للسماح بهجرة يهودها إلى فلسطين.
- عقد صفقات تهجير جماعية وصولاً إلى دفع بدل عن كل مهاجر.

الشائعات بديلة للأساطير

ولقد فضحها غارودي في كتابة «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل» حيث نقترح إبدال مصطلح «الأساطير» بمصطلح «الشائعات». فالأسطورة هي قناعة تاريخية لا يحتاج المؤمن بها لإثباتها. أما الشائعة فهي طرح راهن (أو حديث العهد) يمكن التحري للتحقق من صحته.

ومن أبرز الشائعات التي قامت عليها الحرب النفسية -الصهيونية نذكر:

- الهولوكوست:

ونحن بغنى عن ترداد الشكوك حول المبالغات الصهيونية بشأنه. وحسبنا التذكير بالاستغلال السيكولوجي له. إذ تعرض صوره في معارض سنوية حتى اليوم. ويستغل في تفجير مشاعر الذنب تجاه اليهود. كما يستغل في إحياء مشاعر الذعر والهلع عند يهود

العالم. بما يرسخ إسرائيل كملاذ آمن لهم ويجبرهم على دعمها. ولعل من أبرز أسباب رواج هذه الشائعة تناغمها والتصاقها مع أسطورة «السبي اليهودي». بحيث يمكن اعتبار هذه الشائعة من نوع الشائعات الغاطسة التي تظهر وتختفي ثم تعاود للظهور فتستقبل بالقبول والتصديق. وعلى هذا النوع من الشائعات تركزت الحرب النفسية - الصهيونية التي يمكن اختصارها بإعادة إحياء الأساطير على شكل شائعات غاطسة.

- معادلة بن غوريون:

أطلق بن غوريون هذه المعادلة عقب نكبة ١٩٤٨م عندما كان عدد سكان «إسرائيل» ٧٠٠,٠٠٠ وعدد السكان العرب ٢٨ مليونًا. فرأى أن الصهيونية انتصرت بنسبة يهودي واحد إلى أربعين عربيًا. وهذه المعادلة تتناغم مع أسطورة «الشعب المختار» وتفوق اليهود على الأغيار. بل إننا نلاحظ أن الشخصية اليهودية القائمة على أساطير قد حولت هذه المعادلة إلى أسطورة. لذلك راحت «إسرائيل» تبذل جهودًا مستميتة لتأمين هجرة يهودية (روسيا، الفالاشا وغيرهم) من أجل الحفاظ على هذه المعادلة. وهم يرون في اختلالها خطرًا على استمرارية «إسرائيل».

- شائعة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»:

وهي شائعة تلامس أسطورة «أرض الميعاد». لكن الوقائع التاريخية تبين أن اليهود كانوا يملكون نسبة ٣,٥٪ من الأرض عند صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م، و ٦,٥٪ منها عند صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧م، ثم أصبحوا يملكون ٩٣٪ من الأرض في عام ١٩٨٣م. وتفاوت هذه النسب يبين كذب هذه الشائعة كما يبين حجم الاحتيال الإسرائيلي في مصادرة الأراضي. ولقد نشر «إسرائيل شاحاك» قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية فلسطينية أُزيلت بالجرافات من أصل ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨م. وهذا يقدم الدليل القاطع على ممارسة إسرائيل للتطهير العرقي في محاولة لتحويل هذه الشائعة إلى واقع.

- شائعة «إسرائيل دولة عظمى»:

لقد عاد اليهود الذين أقاموا مستعمرة «بتاح تكفا» ومعهم الهجرات اللاحقة حتى عام ١٩٤٧م بناءً على وعد صهيوني بإقامة دولة يهودية بالتوافق مع الدول العربية المحيطة بها وبدون حروب. بل تضمن الوعد احتمال انضمام هذه الدولة إلى فيديرالية عربية. وذلك بحيث تستبدل أسطورة «إسرائيل الكبرى» بشائعة «إسرائيل العظمى» التي تستغل دول الجوار وتتحول بذلك إلى دولة صناعية عظمى.

ويتبدى تراجع الصهيونية عن هذه الشائعة عبر عصاباتها الإرهابية التي افتتحت إرهاب الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

وبالرغم من إقامة الدولة اليهودية على حكم زعماء العصابات والإرهاب فإن الصهيونية لم تتخل يومًا عن هذه الشائعة.

وهنا أتوقف للإشارة إلى أن الدعم العسكري المطلق الذي تلقاه إسرائيل يبرر تفوقها العسكري. لكن هذا التفوق لم يمكنها من تحقيق هذه الشائعة، وحسب الشعوب العربية أنها تصدت لهذا الحلم الإسرائيلي الذي نراه اليوم وهو يعاود الظهور تحت مسميات «الشرق أوسطية» و«تطبيع ما بعد السلام» وغيرها من المسميات.

تلميع صورة اليهودي

وهي المهمة الأصعب التي واجهت الصهيونية. فقد ترسخت عورات هذه الصورة عبر قرون وأصبحت جزءًا من التراث الإنساني. وقد بلغت هذه الصورة حدّاً من السوء جعل اليهود أنفسهم يرفضونها وينفرون منها. وحسبنا هنا التذكير بما يقوله مؤلف الموسوعة اليهودية الدكتور عبدالوهاب المسيري. إذ يؤكد أن الحضارة الغربية قد ذوبت اليهود فلم تبق منهم سوى أعداد ضئيلة وهم كانوا مرشحين لأن يحصوا بعشرات الملايين لولا تذويبهم في الحضارة الغربية. وبهذا يلتقي المسيري مع علماء المستقبليات الذين يؤكدون كون الحضارة الغربية حضارة مذوبة.

مهما يكن فإن المهمة كانت عسيرة وتطلبت جهودًا غير اعتيادية. وهي تضمنت الخطوات التالية:

- إبراز الشخصيات اليهودية:

انطلقت الصهيونية من منطلقات علمانية بما يعني أنها رافضة للصورة اليهودية التقليدية. وهذا الرفض ينسحب على الشخصيات اليهودية المعاصرة لنشوء الصهيونية. بل ربما أمكن القول إن هذا الرفض المشترك هو الذي أعطى للصهيونية إمكانات الانطلاق والتحرك.

وهكذا كانت الصهيونية في حلٍّ من اعتماد التصنيف الديني لليهود. فراحت تباهي وتبرز الشخصيات اليهودية حتى ولو كانت ملحدة ورافضة للدين اليهودي. فتمكنت عبر علمانيتها وعبر هذه الشخصيات من إظهار اليهودي بمظهر «العبقري المتفوق».

هذا النجاح كان أبرز انتصارات الحرب النفسية -الصهيونية. وهو أحد أخطر الشائعات الصهيونية. فهؤلاء العباقرة كانوا أبناء الحضارات التي عاشوا فيها والظروف الحضارية المتوافرة لهم. حتى إن غالبيتهم كانت رافضة لانتمائها اليهودي. وحسبنا هنا التذكير بما أورده فرويد (اليهودي) في كتابه المعنون «موسى والتوحيد» ومنه نقتطف:

«... كانت الشروط السياسية (أيام موسى) تتنافى مع تحول الإله اليهودي (وهو قومي محض) إلى إله كوني. فمن أين تأتى لهذا الشعب الصغير البائس والعاجز صلف الادعاء بأنه الابن الحبيب للرب...».

«... إنه لما يبعث على الدهشة أن يختار الإله لنفسه على حين بغتة شعبًا من الشعوب ليجعل منه شعبه المختار،... إن هذه الواقعة يتيمة في تاريخ الإنسانية فقد يحدث أن يختار شعب من الشعوب إلهًا جديدًا، ولكن لم يحدث قط أن اختار إله من الآلهة شعبًا جديدًا».

- التشبه بالمعتدي:

وهذا التشبه هو أحد آليات الدفاع النفسي. حيث يحاول المخطوف التقرب من خاطفه والتشبه به بهدف الدفاع عن نفسه وجلب الاطمئنان لها. وهذا تحديدًا ما فعلته الصهيونية منذ قيامها. حيث تشبهت بالمعتدي باعتناقها القيم العلمانية التي تتناقض مع الشخصية اليهودية وتلغيها. وعن طريق هذا التشبه تمكنت الصهيونية من طرح مفهوم «صورة اليهودي الجديد». وقد لاقى هذا الطرح نجاحًا فكان السبب في تشجيع الصهيونية على متابعة سلسلة من التشبيهات بالمعتدي، **ومنها نذكر:**

- التشبه بالمعتدي النازي: الذي تبدى في اتجاهين متعاكسين. أحدهما التعامل مع المخابرات النازية وخدمتها (كما فعل إسحق شامير مثلاً الذي اعتقل متلبسًا بالتعامل مع النازي في دمشق العام ١٩٤١م). وثانيهما بتأليف عصابات إرهابية تقلد المعتدي من حيث عدوانيته.

- التشبه بالمعتدي البراغماتي: كان الأميركيون منذ مطلع هذا القرن شديدي الحذر من الخطر اليهودي. حيث قادتهم براغماتيتهم إلى تفضيل عدم قبول اليهود على قبولهم وتذويبهم في مابعد (كما فعل الأوروبيون). لكن الصهيونية تشبهت بهذا العدو البراغماتي لدرجة إقامة دولة بدون تاريخ على غرار دولته (أي الولايات المتحدة). بل إن التشبه الصهيوني بالولايات المتحدة قد بلغ حدود اعتبار إسرائيل الولاية الثالثة والخمسين. بما يستتبعه ذلك من اعتبار أية إدانة لإسرائيل إدانة للولايات المتحدة نفسها. فاللاجئون الفلسطينيون يقابلهم الهنود الحمر. وملكية الأسلحة النووية تقابلها قنابل هيروشيما وناغازاكي. ونابالم بحر البقر يقابله نابالم فيتنام وقس عليه.

- الكيبوتزات: كانت هذه المستعمرات الزراعية الأداة الرئيسة لتسويق صورة لامعة لإسرائيل ولليهودي الجديد، حيث طرحت هذه الكيبوتزات رمزًا عالميًّا لتجمعات إنسانية متحضرة. فكانت إسرائيل تستضيف فيها عشرات الآلاف من الشبان من مختلف أنحاء العالم وتترك لسكان هذه المستعمرات مهمة إقناع هؤلاء بصورة «اليهودي الجديد».

بل إن الصهيونية استعادت عن طريق هذه المستعمرات آلاف الشبان من ذوي الأصول اليهودية.

الحرب النفسية ضد العرب

هنا نتساءل: «كيف تحول الجبان الذليل إلى معتد شرس؟» والإجابة الوحيدة عن هذا السؤال تقدمها لنا السيكولوجيا وهي الآلية الدفاعية، المذكورة سابقا، المسماة بالتشبه بالمعتدى. والوقائع التاريخية تثبت لنا استعداد الصهيونية لمناقشة مسألة إقامة وطنها القومي في مكان آخر غير فلسطين. وفي هذا مايثبت أن عداء الصهيونية للشعوب العربية هو عداء انتقائي واختياري. حيث انطلق هذا العداء من استعداء الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية ضد العرب.

وذلك بناء على إغراءات متعددة أهمها:

- تحول اليهود إلى إرهابيين وممارستهم للإرهاب على شعوب أوروبية. وبالتالي فإنه من الأفضل تقنين إرهابهم وتحويله نحو العرب.
- الخلاص من حثالات الغيتو المترسبة في دول متحضرة منذ قرون والعاجزة عن التكامل في مجتمعات تلك الدول.
- تقديم تعويض مادي لمذابح النازي التي أثارت رعب اليهود في شتى أنحاء العالم. حيث كان للحرب النفسية دورها في إذاعة هذا الرعب.
- الفوائد المادية على مختلف الصعد. حيث إقامة دولة تتطلب مستلزمات يقدمها أثرياء اليهود (في مقدمتها السلاح) وحيث توفير التعويضات وأيضًا الرشاوى الشخصية -الفردية المهمة حتى الآن.

على هذه الأسس تم اختيار الشعوب العربية لتكون كبش الفداء. وتمكنت الصهيونية من جر الجميع إلى التواطؤ وقبول هذا الاختيار. بعد أن أصبحت تهمة «معاداة اليهود» بمنزلة الفضيحة الأخلاقية الخاضعة لمحاكم نورمبرغ. وذلك دون تمييز بين عداء مبرر يأتي كردة فعل عدوان وبين عداء غير مبرر.

وهكذا بدأت الحرب النفسية ضد العرب باختيارهم بديلاً للنازي وبالتالي أعداء لجميع الدول المنتصرة.

وبعد اطمئنان الصهيونية لإقامة دولتها بدأت الحرب النفسية ضد العرب. وهي حرب غير مرشحة للانتهاء حتى في مجال حصول السلام المستحيل.

وتضمنت هذه الحرب الخطوط العريضة التالية:

- تشويه صورة الإنسان العربي.
- تعزيز تمثيل إسرائيل للحضارة الغربية بما من شأنه تحويل أي عداء عربي تجاهها إلى عداء لهذه الحضارة.
- الحرب النفسية المباشرة.

تشويه صورة العربي

ويعتمد هذا التشويه على أسس سيكولوجية محكمة تقوم على العناصر التالية:

- التصور الغربي للإنسان العربي:

وهي صورة بشعة رسمها الغرب من رؤية المستعمر. وبالتالي فإنها صورة تغلب عليها المواقف العدوانية. وهي تتلخص كالآتي: إن العربي هو إنسان منزو ومندفع وراء شهواته. وهو نزق لايقيم وزنًا إلا لعنجهية عظامية (بارانويا). وهو لايحترم أية مثل (بما فيها مثل مجتمعه) إلا بمقدار تدعيمها لعظمته. وهو متخلف وجاهل وعاجز عن استيعاب مبادئ المساواة لدرجة عجزه عن فهم مبدأ الطبقة الوسطى. وهو إما فقير معدم أو ثري فاحش الثراء وهو انفعالي يمكن أن يصل إلى حدود التطرف الهوسي. (لابد من الإشارة إلى أننا مدينون للاستشراق بهذه الصفات).

ومن الطبيعي أن تستغل الصهيونية هذه الصورة وأن توظف إمكاناتها الإعلامية (السينما خصوصًا) لترسيخ قباحتها.

- **التضليل الإعلامي:** وقد مارسته الصهيونية لحدود الاستنفاد. وأخطر صوره:

- **اليهودية هي قومية** (بدليل أن إسرائيل وطن قومي لليهود) أما العروبة فهي ديانة (بدليل أن ٨٠٪ من الأميركيين يعتقدون أن إيران وباكستان هي دول عربية)

- **إن إسرائيل تملك تاريخًا** وأنها أسبق من العرب في ملكيتها للأرض. (ولكن ماذا عن المخطوطات التاريخية التي تخفيها إسرائيل وتمنع المؤرخين من مجرد الاطلاع عليها؟).

- **إن إسرائيل تحمي مصالح الغرب في المنطقة** وهي بمنزلة الخادمة لمصالحه.

- **الإرهاب العربي:** يقاس نجاح إسرائيل في تسويق صورة العربي كإنسان عدواني إرهابي عبر وقائع عديدة منها أن الإعلام الأميركي ومعه الرأي العام الأمريكي وجها التهمة إلى العرب فور وقوع انفجار أوكلاهوما (الذي كان من صنع الميليشيات الأميركية البيضاء).

والخطير أن تهمة الإرهاب العربي تكرست بأبحاث أكاديمية تعتبر أن أصل الإرهاب يعود إلى جماعة «الحشاشين» العربية. وبأن هذه الجماعة هي التي اخترعت الإرهاب.

الحرب النفسية المباشرة

وهي عمومًا حرب شائعات لكن صورتها الأكثر بشاعة هي تلك التي تمارسها الصهيونية ضد اليهود العرب. فهؤلاء ينتمون انتروبولوجيًّا إلى الحضارة العربية وعرقيًّا إلى الشعوب العربية. لذلك تمارس عليهم الصهيونية تمييزًا عنصريًّا يبلغ خدود احتقار كرامتهم الإنسانية. وتكون نتيجة ذلك أنهم مقبولون كيهود ومرفوضون كمواطنين كاملي الحقوق. من هنا تحول هؤلاء اليهود العرب إلى الحركات الدينية المتطرفة. ورغبتهم في الانتقام من أصولهم العربية ومن العرب عمومًا.

أما عن الشائعات الصهيونية فحدث بلا حرج. ومنها نذكر:

- معادلة بن غوريون:

التي تدفع بالعربي للإحساس بضآلته وبعجزه أمام اليهودي -الصهيوني. وهذا مجرد شائعة لأن الصهيونية تسلمت الأرض على طبق من فضة بسبب الموافقة الدولية وليس بسبب انتصارها المدعوم خارجيًا أيضًا.

- شائعة اللجوء:

أطلقت إسرائيل شائعة لاتزال تتداولها حتى اليوم. قوام هذه الشائعة أن الفلسطينيين لم يهربوا من الإبادة في مذابح على غرار كفر قاسم ودير ياسين. بل إنهم تركوا أرضهم بناء على أوامر الجيوش العربية التي كانت تنوي إبادة اليهود بعد خروج العرب.

- شائعات الخيانة:

وهي شائعات جاهزة ضد أي زعيم أو مسؤول عربي يحرج إسرائيل. أما المتعاملون معها فإنهم يحظون بلقب «المتحضر الليبيرالي».

- شائعة التضامن اليهودي:

وشقها الآخر شائعة التشرذم العربي. فالتضامن بين سكان إسرائيل يستند فقط إلى وجود العدو العربي وإلى تغذية الصهيونية للرغبة اليهودية بالعدوان كسبيل وحيد للشعور بالأمان. ودون ذلك فإن يهود إسرائيل ليسوا سوى خليط من الأعراق والثقافات التي لايجمعها جامع. وهم متشرذمون شرذمة الشتات الذي أتوا منه.

أما عن التشرذم العربي فهو حاصل لو تم قياسه باللحظة السياسية- الاقتصادية الحالية. لكن هذه ليست سوى لحظة. فالشعوب العربية باقية في أرضها ومتمسكة بها بدخل فردي لايتجاوز ١٠٪ من مثيله في إسرائيل. لكن الفارق بين الاثنين هو الفارق بين الأسطورة وبين التاريخ.

●●●

13

الفصل الثالث عشر

الحرب النفسية.. والحرب الأمريكية على العراق

ربما سيتوقف التاريخ طويلاً أمام الإدارة الأمريكية وممارساتها للحرب النفسية في حملتها على العراق، وقد يكون من المفيد في هذا الصدد استحضار ما جاء في أحد الكتب التي ظهرت في أواخر عام ١٩٩٦م لمؤلفين أمريكيين يجمعان بين الصفتين الأكاديمية والعسكرية، ويعملان معا في معهد "راند" (Rand) للأبحاث الذي يقدم استشاراته لجهاز المخابرات الأمريكية وهما: "أولمان هارلانك"، و"جيمس وود"، أما عنوان الكتاب فهو: "الصدمة والرعب" (Shoch and Awe)، وفيه يذكر المؤلفان أن حروب المستقبل ستدار أساسا بالإعلام أكثر من أي سلاح آخر، وأن نشر الرسالة الإعلامية على أوسع نطاق سيربك العدو ويشتت قدراته، ويحقق النصر النهائي، فكيف تم تطبيق ما جاء بهذا الكتاب في الحملة على العراق؟

أما قبل الحرب فقد ركز الإعلام الأمريكي على التفوق العسكري غير المسبوق، وعلى الإمكانيات المرعبة لأسلحة أمريكية لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل، وكان لهذه الرسالة هدف مزدوج: إثارة الرعب في قلوب العراقيين وبث الطمأنينة في قلوب الأمريكيين، وتمثلت الرسالة الإعلامية الثانية في صياغة هدف يبدو مشروعا للقتال، وهو تخليص العالم من خطر امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، ومن ثم كفالة الأمن لجيران العراق والعالم، وأيضا تحرير العراق من الحكم الديكتاتوري، وفي المقابل كانت الرسالة العراقية قبل الحرب شديدة التركيز ومفادها: "أنه غزو استعماري خائب سوف نقاومه وندحره".

وما إن بدأت المعركة ضد العراق عسكرياً حتى بدأت ممارسات الآلة الإعلامية الأمريكية لما يسمى بالدعاية المعادية والخداع الإعلامي وهما عماد الحرب النفسية التي كان أولها إطلاق الشائعات عقب الضربة الأولى مباشرة، والمعروف أن الشائعات تستغل لإضعاف معنويات الأمم والإجهاز أو لاستدراج العدو للكلام في موضوع خاص لم يحن أوانه بعد، **وتركزت تلك الشائعات في عدة اتجاهات:**

١ - **شائعات تشكيكية:** مثل ما أعلنته جريدة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية في اليوم الأول للمعركة عن مقتل خمسة مسؤولين عراقيين أثناء الهجوم الأمريكي على بغداد، وما أعلنه البنتاجون عن حرق العراقيين لآبار البترول في البصرة.

٢ - **شائعات ردعية:** مثل ما أذاعته إحدى القنوات الفضائية عن انضمام رئيس الأركان العراقي السابق للقيادة الأمريكية في قطر، واستيلاء القوات الأمريكية على محطات الإذاعة العراقية.

٣ - **شائعات تعبوية:** مثل قيام الولايات المتحدة الأمريكية باختبار القنبلة E في العراق، واستسلام الفرقة ٥١ مشاة ميكانيكية ومقتل نائبي الرئيس العراقي، وهروب أعداد كبيرة من القادة والجنود العراقيين، بل هروب الرئيس العراقي نفسه وأسرته إلى فرنسا.

أما الأسلوب الثاني الذي مارسته الولايات المتحدة في حربها النفسية فكان إلقاء المنشورات، حيث ألقت قوات التحالف مليونا و٨٩٠ ألف منشور باللغة العربية على ٢٩ موقعا جنوب وشرق العراق، وكانت في أغلبها تحض العراقيين على الاستسلام وعدم المقاومة، وتشرح لهم الطريقة الآمنة للاستسلام برفع الرايه البيضاء، وأن يكون بين الفرد وسلاحه ما لا يقل عن متر وهو ملقى على الأرض أمام جنود قوى التحالف.

واعتمد الأسلوب الثالث على المشاهد التلفزيونية حيث تم بث مشهد لجمع من المواطنين يتدفقون لهدم تمثال للرئيس العراقي وانتزاعه من قاعدته بمساعدة دبابة أمريكية، وكذلك تم نقل مشاهد الجماهير العراقية وهي تمارس أعمال السلب والنهب

في شوارع بغداد، وإن كان الخبراء يرون أنه جرى تلاعب بهذه الصور، حيث لم تكن صورة المهللين لتحرير بغداد سوى لحفنة من المعارضين العراقيين العائدين من الخارج، أما ميدان الفردوس الذي شهد إسقاط تمثال صدام حسين فلم يكن مكتظا بالناس كما بدا في الصورة، وإنما كان خاويا تماما إلا من بضع عشرات ركزت عليه زاوية اللقطة.

وكان الأسلوب الرابع هو أسلوب الضغط النفسي من خلال التحكم في الاحتياجات الأساسية للشعب العراقي مثل قطع الكهرباء والمياه ومنع وصول المساعدات، وبث صور القتلى والجرحى العراقيين التي تشير بالعجز الكامل وقلة الحيلة وعدم القدرة على فعل شيء.

وركز الجانب العراقي في حربه النفسية على عدة أساليب كان أبرزها:

- **أسلوب إطلاق الشائعات** مثل: "انتحاريون عراقيون لتدمير السفن البريطانية"، "صدام يخطط لإلقاء قنابل كيميائية على القوات الأمريكية"، مما حدا بجنود التحالف لارتداء الأقنعة الواقية.

- **أما الأسلوب الثاني** فكان الحرص على إذاعة التكبيرات والقرآن الكريم من ميكروفونات المساجد أثناء الهجوم الجوي.

- **واعتمد الأسلوب الثالث** على ظهور المسؤولين العراقيين اليومي والفوري في مؤتمرات صحفية على شاشة التلفزيون، وإعطاء الجماهير أملا خادعاً وصورة وردية عن مقاومة صلبة ستدوم، وجحيم ينتظر الغزاة، والمسارعة بالتكذيب المباشر لحرق الآبار ومقتل المسؤولين، وظهور الرئيس العراقي وإلقائه لخطاب بالزي العسكري يدعو فيه الشعب للجهاد، علاوة على الظهور المتكرر لوزير الإعلام العراقي الذي قذف قوى التحالف بأحطّ النعوت وأثار المشاعر الوطنية والدينية لدى المواطنين.

ويمكن القول إن إعلام كل من الجانبين وأساليب الحرب النفسية التي مارساها عكست بصدق طبيعة الجمهور الذي ينتمي إليه ويخاطبه فكان المتحدثون الأمريكيون يؤكدون ثقتهم بانتصارهم في النهاية، وأنهم يخوضون معركة حيال عدو قوي لا يعرف

الرحمة، وسمعنا الكثير عن "النيران الصديقة" باعتبار أن من سقط من قواتهم إنما سقط بفعل أخطاء داخلية وليس بفعل نيران عراقية، وأنهم إذا ما اضطروا لإصابة مدنيين فإنما يرجع ذلك لاحتماء الجنود العراقيين بهم، ولهذا دعا الرئيس الأمريكي لإعادة تهيئة الشعب الأمريكي لحرب صعبة وطويلة ولن تكون بدون ألم، لقد كانت المشكلة التي واجهت الإدارة الأمريكية هي تخطيطها لحرب نفسية ضد العراق من وجهة نظر غربية وليست عربية في ظل دراسة معالم الأزمة المعروفة.

وعلى الجانب العراقي بدا المتحدثون العراقيون شديدي الثقة بأنفسهم، وكانوا يقدمون الإجابات الفورية ونادرا ما يؤجلون الإجابة لحين التيقن من الخبر!!

إنها حرب تضاربت فيها الأنباء وتاهت الحقيقة التي يبدو أنها كانت أول ضحايا الحرب، وسقطت العقول فريسة للتشويش!!

●●●

14

الفصل الرابع عشر

حرب إسرائيل النفسية ضد الفلسطينيين وحزب الله دراسة بقلم الباحث الصهيوني رون شليفر

هذه دراسة إسرائيلية مهمة خاصة أنها من إعداد رون شيلفر المحاضر في جامعة بارايلان في قسم العلوم السياسية و باحث في مركز " بيغن السادات " في مجال الحرب النفسية و حرب المعلومات و علاقاتها في الجيش و الإعلام وصدرت في عام ٢٠٠٣ .و تركز على الحرب النفسية بين إسرائيل و الفلسطينيين من جهة و إسرائيل و حزب الله من جهة أخرى .. و نقدمها هنا عملا بمبدأ " اعرف عدوك " .. وفيما يلي نص الدراسة.

يستعرض الباحث الصهيوني رون شليفر دور الإعلام (الحرب النفسية) في الصراعات بين الدول والمجتمعات. ونجد أن البحث يؤسس على وجود ثغرات وفجوات في الإعلام الصهيوني حالت دون توضيح وجهة النظر (الإسرائيلية) في الحرب الدائرة رحاها في الضفة الغربية وقطاع غزة ضد الفلسطينيين الأمر الذي أدى إلى شجب وإدانة واستنكار تعرضت لها (إسرائيل) في حين حصد الفلسطينيون، و"نتيجة لتفوقهم الإعلامي"، تضامن العالم وتعاطفه.

فهو يريد أن يظهر أن انحياز الرأي العام العالمي إلى الجانب الفلسطيني ناجم عن ضعف في الإعلام و(الحرب النفسية) في الكيان الصهيوني، أي أنه ليس ناتجاً عن العمليات الإرهابية والجرائم الوحشية التي تمارسها قوات الاحتلال ضد شعب أعزل.

هذا البحث لإلقاء نظرة على مفهوم وتطبيقات (الحرب النفسية) التي يمارسها الكيان الصهيوني، مع تحذيرنا بأن هذا البحث مليء بسموم (الحرب النفسية الصهيونية).

ونحن بدورنا كمؤسسة إعلامية نؤكد على أهمية دور الإعلام، كوسيلة لإقناع الرأي العام من خلال بث المعلومة الصحيحة والواضحة والموثقة وفق منظومة تتفق مع المنطق والحقيقية ولا تتناقض معه باختلاف الزمان والمكان، وصولاً إلى حشد المزيد من تضامن وتعاطف العالم مع قضية شعب شُرّد من أرضه ويمارس عليه حرب إبادة إرهابية بشكل يومي ومبرمج في الضفة الغربية وقطاع غزة.

الرسالة، وسيلة الإعلام، المتلقي.. ولأن الكيان الصهيوني عاجز عن محو الرسالة لوضوحها وضوح الشمس، ولأنه أيضاً عاجز عن قتل مئات ملايين المتلقين، فإن وسائل الإعلام هي الحلقة التي يمكن ضربها وصولاً إلى حجب الحقيقة وتبديد وهجها، وفي هذا السياق عمدت، وما زالت، الأجهزة الصهيونية إلى محاولة ضرب موقع "المركز الفلسطيني للإعلام" على الشبكة القارية.. تلك المحاولات التي بدد نجاحها مهندسو موقعنا الأكفاء.

ونشدد على أن "الحرب النفسية" ربما تساهم في حسم معركة، ولكن، من المستحيل أن تحسم الصراع، إلا لصالح الطرف صاحب الحق والحقيقة.

وفيما يلي نص الدراسة :

المقدمة

تعتبر التنظيمات الفلسطينية وتنظيم حزب الله تنظيمات قليلة العدد والعدة بالمقارنة مع (إسرائيل)، وقد توصلوا إلى إنجازات عسكرية وسياسية ملموسة؛ فقد

أدت عمليات حزب الله إلى إخراج (إسرائيل) من جنوب لبنان، وأدت الانتفاضة الأولى إلى إقامة دولة فلسطين الفعلية، ولا زالت الانتفاضة الثانية مستمرة وما زال من السابق لأوانه تقدير نتائجها.

لقد أدار الفلسطينيون وحزب الله الحرب ضد (إسرائيل) بوتيرة هادئة، وذلك من خلال استخدام وسائل نفسية كثيرة، وأدى نجاحهم المبهر إلى تدريس أساليبهم في الأكاديميات العسكرية في جميع أنحاء العالم. ومن الواضح أنه من غير المناسب تحليل المنجزات بالأدوات الدارجة للحرب التقليدية طالما أنها لم تحصل مثل هذه الحرب، وهذا الفصل ينطلق من زاوية الاعتقاد أن هذه المنجزات نبعت من تطبيق شريعة الحرب والتي تربط بين الحرب على وتيرة هادئة وسياسة مخططة ومنسقة من خلال بث المعلومات، وباختصار هي الحرب النفسية.

الفصل أ :

ماهي الحرب النفسية ؟

تحديد ومضمون.

إن التعابير اللغوية والأدبية تتخبط حول التعريف الدقيق للحرب النفسية، وبصورة عامة فالمقصود هنا هو استخدام وسائل ليست عنيفة (خلال الحرب) لتقريب أهدافها.

وحسب ما سنرى لاحقا فمن الممكن توسيع أو تقليص الفكرة، وتغيير هذا المصطلح حسب الضرورة. وإن مصدر الحرب النفسية التي تشكل قاعدة (حديدية) لا يمكن الخروج عنها، وهذه القاعدة بحاجة للتنسيق الوطيد بين المستوى العسكري والسياسي.

الحرب النفسية لا تحسم الحروب، ولكنها تكون أداة إضافية في جعبة القيادة العسكرية مثل: سلاح الجو، المدفعية أو المدرعات، فمثال ذلك حرب الخليج التي لم تُحسم عن طريق وحدات الحرب النفسية ولكن عن طريق الهجوم الأرضي؛ حيث أدى استسلام عشرات الآلاف من الجنود العراقيين في أعقاب رسائل الحرب النفسية إلى حقن دماء الكثير بالنسبة (لقوات التحالف)، إضافة إلى توفير وسائل قتالية كثيرة. و قد استسلم هؤلاء الجنود بسبب الرسائل التي بثت لهم والتي خففت عليهم مسألة الأسر وعددت لهم خيارات الاستسلام مما دفعهم إلى التغلب على شعورهم بحب الوطن وخوفهم على مصائر عائلاتهم.

وإن ثمن هذا الإنجاز بكل بساطة بيانات من الورق ونداءات عن طريق مكبرات الصوت، وقنابل تمثيلية(خداعية)، وأدت إلى تصاعد موجة الهروب من الجيش والاستسلام بشكل مضطرد كلما تزايدت الانتصارات في ساحة المعركة.

موضوع الحرب النفسية معقد بشكل كبير ومليء بالمشاعر، وفي (إسرائيل) فإن عبء الشعور بشفافية هذه المشاكل خلال هذه الحرب ذات تأثيرات كبيرة بشكل خاص و مختلف.

المسار الأخلاقي

للوعي علاقة بالحرب النفسية مثل الدعاية وغسل الدماغ وسياسة الإغراء (الغوغائية) وما شابه ذلك، وهذه الأفكار تقف بتعارض مع القيم العالمية في أعقاب الثورة الفرنسية، وبالأساس حقوق الفرد الديمقراطية وحرية التفكير وإقناع الجماهير لأهداف سياسية مثل وقت الانتخابات الذي يثير الهواجس و التغرير.

المسار المعنوي أو الدلالي

وقد جدت كلمة (بروبوجندا) أي الدعاية في القرن السابع عشر، وهي اختصار لاسم منظمة أنشئت من أجل مساعدة الكنيسة الكاثوليكية لضم المؤمنين لصالحها،

وعملت هذه المنظمة على مستوى العالم. وفي أمريكا الجنوبية كانت هذه المنظمة سببا في تنصير ملايين الهنود الحمر، وحتى هذا اليوم فإن تفسير الكلمة هو "الدعاية".

وفي إطار التحضيرات الحربية في بداية الحرب العالمية الأولى أنشأ الألمان جهازا إعلاميا لجموع الجماهير المختلفة.وعندما انخرط البريطانيون في الحرب أنشأوا جهازا معقدا وذا فاعلية كافية بعد صراعات بيروقراطية داخلية، وحينها كان من الممكن رؤية الفرق بين النظام الديمقراطي والنظام الدكتاتوري، وكانت أكثر الصحف شهرة تقف على رأس وزارتين مهمتين فصحيفة (لوراد بيبر بروك)كانت ناطقة باسم وزارة الحرب الإعلامية . وصحيفة (هولارد نورث كليف)ناطقة باسم دائرة الدعاية المعادية.

وبعد عقدين من الزمن وعلى إثر نشاطات الأجهزة النازية لـ(جوزيف جبلس) وقبول هذا المصطلح (بروبوجندا)كان لها مغزى سلبي واضح لم يتحرر منها حتى اليوم، ولقد فهم البريطانيون أهمية استخدام المعلومات بهدف النصر في الحرب، وقاموا بإنشاء جهاز لهذا الهدف، لكن هذا الاسم كوّن مشكلة بسبب استخدام الألمان مصطلح (البروبوجندا) ولذلك اختار البريطانيون مصطلح آخر هو (الحرب السياسية). وعندما دخل الأمريكيون للحرب انشأوا قيادة مشتركة مع البريطانيين وسمي هذا المصطلح الدعائي الجديد باسم (الحرب النفسية).

ووضعت الحرب الباردة أمام الولايات المتحدة مشكلة قديمة جديدة، فمن ناحية (البروبجندا) هي أداة لأنظمة دكتاتورية، ومن ناحية أخرى فإنه لا يمكن تجاهل فاعلية هذه الأداة: فكان الحل الدلالي للمشكلة يتمثل بتغيير المصطلح ليصبح (العلاقات العامة)، والحل المنظم جعل هذه الدعاية في الخفاء وعلى ذلك تم الاستناد إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ(CIA) والهيئة الجديدة باسم وكالة الإعلام الأمريكية وأنشئت من أجل نشر معلومات .

إن انتشار مصطلح (الحرب النفسية) قد تضاءل وتم الاحتفاظ به للنشاطات العسكرية التقليدية، ففي حرب فيتنام تم استعمال هذا المصطلح ضمن نشاطات المسار

النفسي وسميت (بالعمليات النفسية) أو باختصار (psyop) وربما بسبب اعتقادهم أن لكلمة (عمليات) دلالة لسلسلة عمليات دقيقة وقصيرة، وهذا المصطلح مستخدم حتى اليوم على الرغم من وجود جهود للبحث عن مصطلح جديد.

دولة إسرائيل

في السنوات الأولى لقيام دولة (إسرائيل) اضطر قادتها للتعامل مع مشكلة إيجاد مصطلح للدعاية وبث المعلومات والأفكار، وكان هناك تردد من استخدام مصطلح الدعاية بسبب استخدام هذا المصطلح من قبل النازيين، ورغم ذلك فمن الواضح أن لهذه المعلومات أهمية واضحة في الحرب، والحل الوسط لهذا الأمر تمثل في نقل موضوع الحرب النفسية في المجال العسكري لوحدة صغيرة من شعب الاستخبارات والقطاع المدني من الاستخبارات العامة ، وضمن الحياة المشتركة كانت مهمة تشكيل الرؤيا العالمية من قبل رجال الدولة وهم أول من فهم أهمية الدعاية والمهمة الموكلة لمن يعمل بها، ولذلك كانت هناك نزاعات غير متوقفة في موضوع السيطرة على بث ونشر المعلومات.

ومع بداية حرب الاستقلال بدأ الصراع على الهيكلية والصلاحيات، وفي هذا المجال تم أيضا الاتفاق على حل وسط هو أن يكون مكتب وزارة الخارجية هو المسؤول عن الدعاية الخارجية، والوكالة اليهودية مسؤولة عن الدعاية لجموع اليهود في جميع أنحاء العالم، وقسم جديد هو (مركز الاستعلامات) المسؤول عن الدعاية لسكان الدولة وفي هذا القسم كانت هناك نزاعات كبيرة.

إن الاسم الجديد لهذا القسم يعبر عن طريق مأساة استخدام المصطلح، ومنذ حرب الاستقلال مازالوا يستخدمون رسائل من الجيش (الإسرائيلي) ضمن مصطلح الدعاية مثل استخدامات "دعاية التجنيد" الخ.. ومع بداية عام ١٩٤٩ بدأ استخدام مصطلح "استعلامات"، وهذه الكلمة في لفظها الجديد لا مثيل لها في اللغات الأخرى ومغزاها هو الدعاية والتوضيح، لكن ولأسباب استعارية مجازية كان من غير الممكن

استخدام كلمة " الدعاية " من أجل توضيح التصور الذي يضع (إسرائيل) في حالة خاصة وذلك انطلاقا من الاعتقاد بأنه من حق (إسرائيل) الوجود بأمان وسط محيطها.

فرضت (إسرائيل) المصطلح على العالم اليهودي وعلى من كان معها في علاقات دبلوماسية، ووزارة الخارجية عملت في الإعلام الذي سمي باسم "قسم الاستعلامات" ولمدة عدة عقود وحتى الانتفاضة، وفي اتحاد نقابات العمال " الهستدروت" الصهيونية كان هناك قسم بهذا الاسم حتى تم إنهاؤه في نطاق عمليات تنظيمه من جديد في سنة ١٩٩٧.

ورغم ذلك فإن كلمة "الإعلام" هي جزء من المعجم الصهيوني العالمي إضافة إلى كلمات أخرى مثل "مبعوث" و "هجرة العودة لإسرائيل". و مما يزيد صعوبة استخدام المصطلح هو استخدام الاختصارات العسكرية مما يؤدي إلى إساءة فهم مهمة الدعاية في الحرب والاختصارات (الإسرائيلية) للكلمات في الحرب النفسية مثل استخدام (ح–ن– أسود) أي حرب نفسية سوداء و (ح–ن –أبيض) أي حرب نفسية بيضاء.. وهكذا فإن هذا المصطلح يساعد على بلبلة وتشويش الأفكار، علاوة على أن هذه التقنية متخصصة للتوقيع على الرسائل الموجهة، مثل (ح____ن____أبيض) وتعني بيان موزع في ساحة المعركة بختم قائد ميداني محلي يدعو فيه إلى الاستسلام، وأيضا فإن (ح–ن– أسود) بيان مختوم ختما مزورا.

وعلى النقيض يوجد في الجانب الآخر في المفردات العسكرية العربية عدة مصطلحات لها علاقة في الموضوع المعلوماتي "وزارة الإعلام " وتفسيرها " الوزارة الحكومية للإعلام "، وفي دول عربية كثيرة تكون جزءًا من الأجهزة الحكومية، وفي الستينيات تعلم الفلسطينيون كيفية بداية ونشأة حروب الاستقلال لدول مختلفة مثل الجزائر، وكوبا وفيتنام وقد استفادوا من دراسة هذه الحروب والصراعات، وأطلقوا مصطلح " حرب العصابات " و "حرب الأعصاب" لأبعاد نفسية للحرب، ومن هنا نستنتج أنه وفي المراحل الأولى من الصراع اختار الفلسطينيون إمكانيات مختلفة سرية للأبعاد النفسية للحرب.

وهكذا فمن الممكن القول إن "مصطلح الدعاية" يقع الآن في مراحل عدم الثبات في المفهوم، وإن هدفه بث المعلومات من أجل الحصول على أهداف سياسية، أي المصطلح الدلالي السلبي ولذلك يتم استخدامه بصورة قليلة، أما في (إسرائيل) فيستخدمون مصطلح الاستعلام ضمن مصطلح الحرب النفسية ويستخدمونه لتحديد النشاطات التي لها علاقة بتقريب المصالح ضمن المجالات العسكرية في زمن الحرب، لكن التصور الأمريكي حسب ما سيأتي فقد توسع بشكل كبير استخدام مصطلح الحرب النفسية والاستعلامات السياسية. وسيعرض هذا الفصل لاستخدام المعلومات من وجهة النظر العسكرية والسياسية.

fm 10-6 دليل الجيش الأمريكي لاستخدام المعلومات

من أجل المقارنة في تحليل المنهج الأمريكي لموضوع بث المعلومات في الحرب، تم في العقدين الأخيرين استثمار جهود منظمة لبحث علمي واسع نما وكبر ضمن شريعة الحرب، ومن الممكن تطويع هذه المعلومات كي توافق (إسرائيل)، وتكمن أهمية التصور الأمريكي بتوسيع الحرب النفسية الشاملة لكل معلومة من جميع المصادر التي من الممكن أن توصل إلى المصالح الأمريكية فيما بعد مدى هذا التصور، وطموحه في السعي لإنشاء جهاز متكامل لكل أجهزة الدولة التي لها علاقة بالمعلومات العسكرية والمدنية على حد سواء؛ وذلك من أجل أن يكون العمل متلائما وانطلاقا من أهداف محددة سابقا وبشكل يعود بالنفع على مصالح الدولة.

ومثال ذلك هناك أجهزة تعمل على نشر الثقافة الأمريكية في جميع أنحاء العالم وحسب المستويات المقصودة وذلك من قبل عمالقة الصحافة في البيت الأبيض والحكومة و"CIA" ووحدات الحرب النفسية وضباط العلاقات العامة في وحدات الجيش، وبذلك تم فهم موضوع الإعلام و نشر المعلومات على أنه وحدة كاملة أو مجموعة كاملة.

وتعتبر الوثيقة الأمريكية المركزية غير الواضحة بشكل جزئي المرشد العسكري الأمريكي لموضوع أهمية المعلومات الذي يتطرق إلى المعلومة على أنها ذات أهمية عليا في الحرب المستقبلية وتتعرض إلى أساسيات الأفكار لاستخدام المعلومة الاستراتيجية الأمريكية. ويتفرع استخدام المعلومة إلى عدد من المجالات هي: مجال الحرب النفسية الذي يتخصص بالسيطرة على المعلومة الموجهة لجماهير مختلفة وخاصة إلى عدو قائم وموجود أو احتمالية وجود هذا العدو، و مجال علاقات الجيش مع الإعلام الذي يتعامل أساسا مع الجماهير وهي الهدف المدني والعام للولايات المتحدة، ومجال ثالث هو حرب المعلومات والذي يعمل على إرسال المعلومات انطلاقا من وجهة نظر هذه القنوات، مثل الكمبيوتر وشبكات المعلومات بطرق مختلفة لاستغلال هذه الحرب مع العدو مثل إرسال الفيروس لأجهزة العدو والتشويش الإلكتروني والمغناطيسي وما شابه ذلك.

ويوجد كتاب توجيه وإرشاد لموضوع قانون الحرب لموضوع الحرب النفسية وهذه هي قوانين الحرب منذ القدم و قد وضعت النصوص الأولى في بداية الحرب الباردة، وتحتوي هذه الوثائق على تجديد للأفكار بعيدة المدى في عقيدة الحرب النفسية الموجودة منذ الحرب العالمية الأولى .

ليس هناك الكثير من التجديد لكن الجديد هو عموميات مواضيع مصنفة مثل علاقات الجيش والإعلام وارتباطه بالمجال التخريبي السري في الحرب النفسية. وأمر آخر وضع في كتاب الإرشاد المذكور سابقا وهو فتح وكشف عن المعلومات للحاجة لوجود مدخل معلوماتي حر.

والبرهان على ذلك هو أن جميع هذه الكراسات للإرشادات موجودة على الإنترنت وإن أي شخص يستطيع الحصول عليها، ويحتمل أنه مازال هناك مكان للمناورة بين تدفق المعلومات بصورة حرة وبين فاعلية هذه المعلومات بهدف تقريب المصالح العسكرية والسياسية، وإن السرية المخفية تكون قيودا حول الموضوع.

استخدام المعلومات الاستراتيجية – درجات متفاوتة

يوزع دليل الحرب النفسية (1-5-fm33) مهام الولايات المتحدة لمستويات متعددة، فالمستوى الاستراتيجي يقع على المقياس الشامل، من ضمن أجهزة الدولة وبإشراف من الرئيس ومندوبيه.

والمستوى الذي يليه هو المستوى العملي والفعال وهدفه تجهيز السكان في حالة العمليات الحربية، والهدف هنا تعريف مناسب لقوة عظمى والتي تضع على رأس أولوياتها مصالحها بصورة شاملة .

إن إرسال الجيش إلى مناطق متوترة يحتم علينا الاستفادة من الخبرات السابقة، لذلك علينا تجهيز السكان في المنطقة لمجيء الجيش كي لا يفسر وجوده لأمور قد تضر باحتمالية نجاح وجود هذا الجيش، وفي حالة مثل هذه فإن بث المعلومات في المنطقة في الأساس من مسؤولية الجيش وعلى مستوى عالي يتعاون مع المستوى السياسي.

وهناك المستوى التكتيكي ويتم التعامل من خلاله مع كل ما هو مقبول أو معروف في الحرب النفسية في ساحة المعركة وبشكل منظم حتى على مستوى الوحدات العسكرية الصغيرة.

وهدف المستوى الأخير هي مرحلة التأسيس (التعزيز والتقوية) تحضير الوضع العام للجماهير في تلك المنطقة المحتلة للواقع الجديد وذلك من أجل منع واقع سلبي مثلما حصل لـ (إسرائيل) في لبنان عندما لم تفلح في تطوير علاقاتها مع المدنيين والأحزاب المختلفة عندما كانت على الأرض اللبنانية.

وفي الجيش الأمريكي أُنشئ جهاز متطور من أجل فحص وتحليل وتشكيل المعلومات واستخلاص الرسائل ونشرها وذلك من أجل الأهداف المنشودة، وهذه الوحدة متحركة ومتنقلة وعلى استعداد للذهاب إلى أي مكان في العالم وفي أسرع وقت.

ويقع مركزها في قاعدة قيادة القوات الخاصة في (فورت براج) fort bragg في شمال كارولاينا وتقوم وحدة الحرب النفسية العسكرية بتشغيل مطابع متحركة

واستوديوهات ومحطات بث عن طريق الطائرات للراديو والتلفزيون، وهنا يكون الجنود مدربين على هذه المهام من تصوير و إعلام وبث ورسم، وطباعة.. الخ، ومهمة هذه الوحدة تزويد خدمات ومستلزمات حسب الطلب وقد عملت هذه الوحدة كثيرا في (بنما) و(هايتي) وفي حرب الخليج أيضا.

وفي حرب الخليج اصطدمت الوحدة بمعارضة من جانب عدد من القواد العسكريين بسبب تحريك الطائرات، وطلب القادة الفائدة من نشاطات الحرب النفسية وحقائق واضحة دون وجود أية عوائق لعدم إمكانية الفصل بين تركيبة الحرب النفسية خلال الحرب، ومثال ذلك السبب والعامل الذي يقف لهبوط معنويات جيش العدو في ساحة المعركة، فهل هي الرسائل أو القنابل أو القصف، إن هذا الوضع قد تغير بشكل كبير في حرب الخليج لأن (٨٨٠٠٠) جندي عراقي قد استسلموا لقوات التحالف وجزء من هؤلاء الجنود رفعوا بيانات كان قد وزعها التحالف وهي (طريق آمن) وفي هذه البيانات ضمانات بالحماية لكل جندي عراقي، على الرغم من أن احتفاظ الجندي بهذه البيانات يعرضه للعقاب الشديد.

ومنذ عام ١٩٩١ تطلع القادة العسكريون بصورة أوسع إلى فكرة إنشاء وحدات الحرب النفسية، وهناك جيوش معروفة ومتعددة لديها وحدات عسكرية كبيرة للحرب النفسية مثل الجيش البريطاني، والفرنسي، والألماني، والإيطالي.

لا خلاف أن في (إسرائيل) يعتبر موضوع المعلومات كأداة استراتيجية دخل عليه تحسن ملموس وفي الألفية الثالثة فإنه من الواجب على الأجهزة الأمنية والسياسية أن تدرس وتختار من جديد الجهود الفكرية الجماعية والمنظمة التي بذلت في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا ودراسة تطبيق عناصر جديدة من بينها العلاقة مع (إسرائيل)، ومن أجل تنسيق وتجهيز نفسها للتحديات الأمنية التي يضعها الفلسطينيون ودول المواجهة أو دول الطوق.

العناصر الأساسية للحرب النفسية

في الحرب النفسية يوجد ثلاثة عناصر أساسية وهي الجمهور المستهدف، الرسائل، وقنوات البث.

ومن الممكن تقسيم الجمهور المستهدف إلى ثلاثة أقسام:البيت (المواطنون)، العدو، الحياد، والجمهور الأكثر أهمية هم المواطنون فعندما تطلب الدولة تجنيد عناصر سكانها للحرب فهي مضطرة أن تقوم بعملية إقناع مواطنيها بالموافقة على التضحية خاصة في الحرب التقليدية، وفي أوقات الحرب الباردة فإن هناك تجنيدا جزئيا لكن الدولة مضطرة أن تتعامل وتتأقلم مع صعوبات أخرى مثل التذمر والتشكك على توزيع غير عادل لعبء المسؤولية ويجب إقناع المواطنين أنه عندما يكون الحديث عن خطر يهدد الوجود تتطلب الكثير من التضحيات، ويجب أن يتم إقناع الجنود الذين يتم تجنيدهم بضرورة تجسيد أهداف الحرب، وأن احتمالية النصر للدولة التي لا تنجح في اجتياز هذا الأمر ضعيفة. وتشكل حرب لبنان ١٩٨٢-٢٠٠٠ مثالا للفشل في الخطاب الموجه للشعب.

والجمهور الثاني هو العدو وهذه الجماعة تنقسم إلى قسمين وهم: الجيش والمدنيين، ويكمن هنا الهدف في إقناع العدو بأن ينزع منه الأمل في النصر وأن هذا هدف ضائع وكلما انتهت الحرب مبكرا أكثر كان ذلك من الأفضل، ومن أجل هذا يتم استعراض معطيات القوة والخبرة التاريخية وهكذا فإن الجانب الأضعف يعرض موارده البشرية واستعداد رجاله للتضحية كوسيلة مفضلة.

والجمهور الثالث هو الجمهور الحيادي والذي ليس له علاقة مباشرة في الصراع، والهدف هنا كسب رأيهم أو على الأقل منعهم من مساندة العدو.

والعنصر التالي هو الرسائل وعلى ضوء تحليل الرسائل في حروب القرن الماضي من الممكن أن نستخلص عددا من الرسائل القيمة الموجهة للجماهير وسكان المنطقة وللعدو تركز على قلة الأمل بالنصر وغرس الخوف في ذاته وبث الشعور بالذنب.

ويرمي استهداف مقاتلي العدو إلى التسبب لهم في الارتباك والتردد والرضوخ والاستسلام أو الهرب من المهمات وعلينا مواجهة جنود العدو من خلال احترامه وتقدير شجاعة قلبه وتضحياته، ويجب أن نراعي رغم ذلك ضعف الأمل على نفسيته ويجب أن تهتم هذه الرسائل بالإجابة على تخوف الجنود من مصير عائلاتهم بعد سقوطه في الأسر . وهذا النوع من الرسائل في الحرب مشهور وهو " أنه لا يوجد أي شيء ضدكم، ولكن ضد القيادة السيئة المسؤولة عنكم، ساعدونا على إسقاطهم وإن هذه الحرب اللعينة ستنتهي فورا " وهذه الرسائل لها أثر في حالة انحراف الناس وتكتلهم حول هذه القيادة الفاسدة في أوقات الحرب.

ولا زالت الرسائل الأكثر شيوعا بيان " المعبر الآمن" الذي وجد في الحرب العالمية الأولى ويركز على إقناع المقاتل في الاستسلام والأسر بصورة خاصة، وينتج هنا هاجس عدم الثقة عن مثل هذه الرسالة الذي يتطلب إسنادا وتوقيعا بالوثائق الرسمية الموقعة من قبل قائد كبير على هذه البيانات، وهذه البيانات تحرص على الاستسلام ومكتوبة بلغة أصحاب هذه المناطق وذلك من أجل توسيع دائرة الإيمان بهذه البيانات ومعدة ظاهريا للجنود اللذين لديهم القابلية للسقوط في الأسر، وفي حالة أن هذه البيانات لا تؤدي بصورة مباشرة للسقوط في الأسر فإنها تؤثر على معنويات الجيش حيث انتشارهم.

تركز الرسالة المركزية في الحرب النفسية على بشاعة هذه الحرب علاوة على أن هذه الحرب تعمل على حصد الأرواح البشرية، وعلى مر التاريخ الإنساني تم تطوير أساليب كثيرة تخصصت في التغلب على الخوف الطبيعي في الحرب، ولتخلق أناسا كانوا رسلا للسلام ومسخرين أقلامهم من أجله، قد حولتهم إلى قتله، يعملون من أجل زعيم أو فكرة، وإن إحدى الطرق للحصول على هذا الهدف هي جعل الجندي يعمل على الفطرة العسكرية.

ويكمن هدف الحرب النفسية في إخلال الوضع النفسي داخل صفوف العدو وحملهم للتفكير بالعموميات وبأفكار واقعية في كل فرد وفي بعض الأحيان جعله يشعر بالذنب، وهذا الأسلوب أثبت نجاعته أكثر من غيره وهكذا كان في فيتنام.

تشجيع التفكير الأخلاقي والشعور بالذنب أمور تؤثر على قدرة الجندي في أن يجرح أو أن يقتل، وعلى هذه الرسائل الموجهة أن تخترق حاجز آلية التفكير التي يمر بها العدو علاوة على أنه في الصدامات التقليدية يكون لهذه الرسائل أثر أكبر فيتأثر بها المتدينون، وأثر الدعاية في معاناة المدنيين موجودة منذ فجر التاريخ وهي جزء مهم من هذه الحرب.

وتدور الحرب التقليدية في عصر التطور التكنولوجي على الأغلب من مسافات بعيدة حيث لا يكون هناك أي مواجهات جسدية مع العدو، وفي الحرب الباردة تكون الصدامات عبارة عن أحداث عرضية قصيرة وزمن طويل وباتصال مباشر، وفي مثل هذه الظروف من الممكن تنشيط مبدأ الإنسانية والشفقة جراء معاناة الناس، ومن الأفضل مهاجمة مكان آخر وفي ساعة أخرى وهكذا.

وفي النهاية فإن قنوات البث هي الطرق المستخدمة في نقل الرسائل وطرق الاتصال الجماهيري، والتجمع السهل للوصول إليه هم السكان الأصليون وهؤلاء يتأثرون بواسطة الإعلام إضافة إلى المحاضرات والموسيقى والإعلانات..

وهناك عدد قليل من الجمهور من الصعب الوصول إليه وهم المحايدون ومن أجل الوصول إليهم يجب استخدام تقنية العلاقات العامة وإجراء استطلاعات لمواضيع خارجية عبر الإعلام المحلي وشراء مناطق الإعلام وقنوات وزارة الخارجية (الدبلوماسية والتجارة) واتصالات ثقافية وتعتبر الجماعة الأكثر تصلبا هي العدو، وليس فقط تحديد كل رسالة تصل على أنها معادية ومضرة بأهداف الحرب وهذا ما يدفع العدو على وقف قنوات البث المعادي إلى جيشه ومواطنيه.

الحل الذي وجد في الحرب العالمية الأولى للوصول للجمهور المعادي ومازال استخدامه قائما كما ذكر سابقا هو توزيع البيانات على جيوش العدو بأشكال متعددة (من الطائرات أو عن طريق قذائف مدفعية) وهنا لا يستطيع العدو منع هذا البث، بالإضافة إلى بذل جهود للتأثير على الإعلام العالمي، المنتشر بحياد وعلى مستوى عال

من الثقة وفي حال مشاهدة العدو أو السماع به مثل القنوات العالمية والإنترنت فإنها تعتبر وسائل بث مؤثرة على العدو، وهناك طريق آخر لنقل الرسائل للعدو هي عن طريق العملاء المعارضين للحكم أو من يطمحون في أن يكونوا البديل لهذا الحكم ومثال ذلك عمل قسم الاستخبارات البريطاني في الحرب العالمية الثانية بتنظيم بث إذاعي في ألمانيا عن طريق ضابط ألماني معارض لهتلر، وقام بالبث المتحرك من على ظهر شاحنة من شوارع ألمانيا وعلى أرض الواقع كان بثا صحافيا بريطانيا تم بثه من بريطانيا.

وهنا فإن (إسرائيل) متهمة من قبل الفلسطينيين بنشر بيانات في اللغة العربية يخيل أنها كتبت وطبعت على يد الفلسطينيين، وقد أثارت هذه البيانات نزاعات وخلافات بين الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى وهذه الخطوة سميت بدعاية سوداء black propaganda أما في اللغة العسكرية (الإسرائيلية) فسميت بالحرب النفسية السوداء.

خلال المائة سنة الماضية تراكمت خبرات كبيرة في نصوص مخاطبة العدو وإنتاج رسائل جذابة، وهكذا تم طباعة بيانات على الوجه الآخر للعملة والنقود حيث تم طباعة وجه العملة الأول بشكل أوراق نقدية والوجه الآخر صور إباحية، ومثل هذه البيانات فإنها تكون بمثابة بطاقة البراءة في حالة إلقاء القبض على هؤلاء الجنود، وفي بعض الدول فإن حكم من يحتفظ بمثل هذه الرسائل هو الموت.

أساليب العمل – اتجاهات فكرية أخرى

هناك أسلوبان إضافيان للعمل وهما ابتكار مبادرات الأحداث واستغلال هذه المبادرات والمناسبات، والهدف من هذه المبادرات هو خلق أحداث حقيقية مقنعة من بدايتها وحتى النهاية ومثال ذلك توقع حدوث المجازر أو الهجوم، والتفوق بهذا الأمر يكمن في أن العناصر الدعائية تقع ضمن السيطرة من المبادرة، ومثال ذلك الهجوم الذي كان على ألمانيا من قبل الجنود البولنديين حيث كانت ذريعة للألمان لغزو بولندا سنة ١٩٣٩. وخلال الانتفاضة الأولى بادر الفلسطينيون لإرسال سفينة وعلى ظهرها مئات اللاجئين المطرودين من فلسطين في أسلوب المغامرة في محاولة لدخولهم أرض

فلسطين، وهنا فإن ما كان ينقصهم هو استثمار الجهد الكبير الذي كان عليهم أن يستخدموه في إكمال تنظيم هذه المسيرة.

ومن السهل جدا الأخذ بهذه الأساليب وذلك من أجل استغلال الفرص في الحرب النفسية ومثال ذلك ما حدث عام ١٩١٥ حيث تم إصدار وسام خاص في ألمانيا على شرف سفينة لوزيتانيا الأمريكية التي أغرقها الألمان.و قد استغل البريطانيون هذه الحادثة وجعلوا من هذه الأوسمة أداة شيطانية كبيرة و قاموا باستنساخ مئات الآلاف من هذه الأوسمة إضافة إلى طباعتهم بيانات إعلامية تعرف الألمان على أنهم حيوانات مفترسة وهذا الأمر ساهم مساهمة كبيرة في دخول أمريكا للحرب، ومثال آخر هو استغلال (إسرائيل) لحادثة مقتل جنديين من الوحدات الخاصة الإسرائيلية (مستعربين) على يد الفلسطينيين المتظاهرين عندما كشف أمر الجنديين في رام الله وذلك من أجل إبراز وجه شيطاني لعامة الفلسطينيين.

فصل ب

تطبيق مبادئ الحرب النفسية من قبل الفلسطينيين وحزب الله.

لم يأت موضوع الحرب النفسية في الصراع (الإسرائيلي) على أيام حرب الخليج، ومن خلال استعراض سريع لاستخدام الحرب النفسية من أيام حرب الاستقلال نرى أن هناك مفاهيم تم استثمارها بأشكال معينة من كلا الطرفين.

فخلال الغزو المصري في مايو ١٩٤٨ وزع المصريون بيانات باللغة العبرية على المستعمرات التي تقع جنوب البلاد مستعمرة "يد مردخاي" ومستعمرة "نير-عم" ودعتهم فيها إلى الاستسلام، وهذه البيانات كانت نتيجة جهود عسكرية لأسلوب الحرب النفسية للجيش المصري لكنها دلت على الخطأ في فهم الأمور من قبل الجيش المصري، وفي البيان الذي ألقى على مستعمرة (نير-عم) كان يوجد خطأ أساسي ومهني في هذا البيان الذي كان وزع من قبل المسؤول عن إدارة الحرب النفسية فقد كان عليه أن يمتنع عنها، وهي تطرقه إلى موضوع ثقافة العدو وكان عليه أن يتطرق إلى ثقافته، حيث توجه

القائد المصري إلى المدافعين عن المستعمرات وطلب منهم من خلال هذه الرسائل أمورا استدل بها من القرآن أو حسب ما أوضح أنها من التوراة.

وهذا التوجه لم ينجح في التأثير على معنويات الجنود العالية المدافعين، وكان الخطأ الأكبر يكمن في أن هذه البيانات الموجهة كانت على أساس ديني وكان معظم سكان هذه المستعمرة من العلمانيين هذا بالإضافة إلى الأخطاء في الكتابة والنص التي جعلت من هذه البيانات أضحوكة.

أما حرب الأيام الستة فقد كانت قصيرة بحيث لم تسمح باستعمال أساليب الحرب النفسية بصورة مفيدة وفي مقابل ذلك وبعد انتهاء الحرب نفذت خطوات واسعة لما يسمى بالحرب النفسية في أوساط السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية و قطاع غزة حيث عملت هذه الحرب النفسية على التأكيد على قوة (إسرائيل)، وأنه من مصلحة الفلسطينيين الحفاظ على الهدوء والأمن.

تشهد حرب تشرين عام ١٩٧٣ أيضا على قصة انهيار أجهزة الجيش والإعلام الحيويتين في الحرب النفسية وخاصة التعامل مع الصحافة الأجنبية في (إسرائيل)، فخلال الحرب لم تؤد القيادة العامة أفضلية في بث المعلومات واستغلالها لأهداف استراتيجية، وفي معرض الحرب النفسية "التكتيكية" في ساحة المعركة فإن هناك احتمال وقوع أحداث عرضية محلية متفرقة، مثل الإعلان عن عمليات الإعدام لقائد سوري من أصل درزي، في حين أنه قتل في ساحة المعركة، وهنا كان الهدف هو عبارة عن دق إسفين بين النظام ومواطنيه الدروز.

مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري قال إن (إسرائيل) قامت بجهود كبيرة في مجال الحرب النفسية أثناء حرب لبنان حيث وزعت بيانات على مدينة صور تحث سكان مدينة صور أن يفسحوا المجال للجيش (الإسرائيلي) بالعبور شمالا، ووزعت أيضا بيانات لقادة الجيش السوري وذلك من أجل إقناعهم بالاستسلام، وبث صوت (إسرائيل) في اللغة العربية للمقاتلين الفلسطينيين رسائل من أجل تحطيم معنوياتهم وهكذا.

الفلسطينيون من جانبهم قطفوا ثمار العلاقة مع الصحافة الأجنبية التي دامت لسنين طويلة، الذين انتشروا في لبنان في هيئة معقدة حيث استخدم الفلسطينيون العصا والجزرة، وعلى سبيل المثال كانت الجزرة هنا هي السماح للصحفيين إجراء اللقاءات الصحفية مع كبار قادة منظمة التحرير والزيارات إلى قواعد المنظمة وكانت العصا عبارة عن عقوبات على الصحفيين تبدأ بالتهديد و تنتهي بالقتل.

الفلسطينيون والانتفاضة والرد الإسرائيلي

تعتبر الانتفاضة الأولى التي بدأت في كانون ثاني ١٩٨٧ قصة مثيرة للنجاح حيث فهم الفلسطينيون في المراحل الأولى من الصراع أن الخيار العسكري في حرب العصابات لن يأتي بالثمار المنشودة، لذلك استثمروا كثيرا في مجال الإقناع وكان العمل على مجموعة السكان المحليين الفلسطينيين سهلا حيث كان أسلوب العمل بالنسبة لمنظمة التحرير في الجبهة الداخلية أسهل من أي شيء آخر وتمحورت بالتغلب على الصعاب التي كانت في بث المعلومات، وكانت الجبهة الداخلية مستعدة لاستقبال المعلومات، وكانت العوائق الأساسية هي القيود التي وضعتها الرقابة (الإسرائيلية) وفقدان الإعلام المستقل، واستخدام الفلسطينيين الوسائل المضادة وهي المواجهة الدائمة مع الرقابة (الإسرائيلية) وتوسيع دائرة الإفصاح في التعبير عن الصراع الذي استمر لسنوات وذلك من خلال تجنيد منظمات دولية لحرية التعبير عن الرأي، وحول موضوع الإعلام استخدم الفلسطينيون خدمات الإعلام في الدول العربية مثل بث راديو منظمة التحرير من بغداد خلال الانتفاضة وراديو جبريل من دمشق إضافة إلى تطوير وسائل إعلامية كثيرة مثل بيانات مطبوعة وبث الإشاعات.

الأساس الذي تبنته المنظمات الفلسطينية هو جمع أكبر كم من المعلومات المقبولة والمضبوطة، ونشرت وكالات من داخل المجتمع الفلسطيني محسوبة على منظمة التحرير إضافة إلى وكالات مستقلة معلومات عن آخر الأحداث المتجددة، مكنت من التقديم لآراء متعددة إضافة إلى خدمات مثل الترجمة إلى المراسلين العالميين، وعملت منظمات معلوماتية صغيرة مثل Palestine press service pps – التابعة لإبراهيم قراعين و

ريموندا الطويل، اللذين عملا من خلال مكتب صغير ومن سنوات السبعينيات أنشأوا علاقات وطيدة مع مراسلين أجانب.

وقاموا بترجمة مواد تخص المجتمع الفلسطيني من اللغة العربية إلى الإنجليزية وربطوا بين مراسلين يتطلعون إلى المعلومات وبين قصص ذات قيمة إعلامية كبيرة.

وخلال الانتفاضة عرض فلسطينيون و(إسرائيليون) خدماتهم على شبكات التلفزة الأجنبية ولكل مكان في العالم يهتم بالصراع .

ويعتبر أن هؤلاء الأشخاص المحليين الذين يعملون لصالح منظمة إعلام خارجية خلية حيوية في الغلاقة بين المراسل الأجنبي والواقع المحلي، الفلسطينيون قاموا بهذه المهمة على خير وجه، و كان العمل مع وكالات الأنباء بموافقة سياسية من قبل فيصل الحسيني.

وجلب هذا الاستثمار نتائج إيجابية للفلسطينيين أمام الشاشة وكان التلفزيون الأردني الذي يتم استقبال بثه في (إسرائيل) مفيدا بالنسبة لهم وذلك من حيث نشرات الأخبار التي أصبحت مصدر أخبار مهما بالنسبة لفلسطينيي الـ٤٨ الذين بحثوا عن مشاهد في التلفزيون لأحداث الضفة الغربية وقطاع غزة لم تقم نشرات الأخبار (الإسرائيلية) ببثها وأصبحت هذه المواد مصدرا هاما للمعلومات المرئية.

وحول توجه الفلسطينيين إلى "المدنيين الأعداء: مواطني (إسرائيل)" فقد أجرى الفلسطينيون ذلك بواسطة الصحافة (الإسرائيلية) حيث أنشأوا علاقات عمل جريئة مع مراسلي الضفة الغربية ومع مراسلين آخرين في الصحافة المركزية (الإسرائيلية)،

وغير هذا التوجه صحافة المجلات الفلسطينية التي صدرت في اللغة العبرية مثل (الجسر) لكنها لم تنجح في التغلغل داخل قطاع قليل من الناس حتى اليسار في المجتمع (الإسرائيلي).

وكانت رسالة الانتفاضة المركزية تجاه العدو والمحايدين: هي أن الاحتلال (الإسرائيلي) غير شرعي وغير أخلاقي، ولذلك يجب الاستعجال في مسيرة السلام من أجل حقن الدماء وتوفير المعاناة، ونتج من خلال هذه الرسائل الموجهة رسالة أخرى أكثر أهمية ذكرت أنفا وهي الشعور بالذنب. بالإضافة إلى رسالة أن التخوف (الإسرائيلي) من قيام دولة فلسطينية، تم من خلال تحييد الفلسطينيين نتيجة القوة (الإسرائيلية) الهائلة وأدت الرسالة الأخيرة إلى أشياء متناقضة الأول: أبرزت الفجوة والفرق بين القوي أمام الضعيف، ومن ناحية أخرى قللت من التخوف لدى (الإسرائيليين).

ومثال على تنظيم مبادرة فلسطينية لمحاولة العودة والدخول إلى أرض فلسطين نظمت سفينة النقل المسماة (سول فرين) والتي سميت "بسفينة العودة" وكان من المقرر أن تبحر هذه السفينة من اليونان باتجاه شواطئ فلسطين وعلى متنها اللاجئون الفلسطينيون الذين تم طردهم من فلسطين ، وتم تشكيل جهاز إعلامي كبير حول هذا الأمر ووصل العشرات من المراسلين إلى أثينا لعدة أيام ، وفي النهاية أغرقت هذه السفينة في شاطئ قبرص نتيجة لوضع لغم في أرضية السفينة وألغي هذا الأمر وكان من الواضح بالنسبة للصحفيين حول الجهة التي وقفت وراء هذا العمل.

نشاطات أجهزة الإعلام في (إسرائيل)

على الجانب الآخر من النشاطات الفلسطينية في زمن الانتفاضة كانت أجهزة الإعلام (الإسرائيلية) متخلفة وسرعان ما انهارت في بضع ساعات، ولم تستطع إذاعة الجيش (الإسرائيلي) الوقوف أمام الضغوطات، حيث لم يتفهموا الحاجة للمعلومة الجاهزة للبث مسبقا، واستخدمت وحدة جهاز الناطق باسم الجيش (الإسرائيلي) فقط للردود حسب قواعد" اللعبة المناسبة" أو (fair play) الأمريكية، بسبب التأخير وعدم إمكانية الحصول على إجابة فورية تلخصت جميع الإجابات بالإيجاز، "الجيش يفحص أسباب الحادث" والإجابة الأكثر وضوحا جاءت بعد عدة أيام ولم تشمل أو تلخص الأحداث الشاذة، كان عمل الضباط المرافقين والذين من المفترض أن يشكلوا العامود الفقري للنشاطات الصحفية مع المراسلين أوقات الطوارئ حسب فهمهم فقط ولم يكن العمل مهنيا وحسب ما يتطلبه أسلوب الرسائل مع المراسلين.

وحسب الفلسطينيين استخدمت (إسرائيل) أسلوب الحرب النفسية (السوداء) عن طريق نشر بيانات مزيفة وإشاعات كانت السبب في النزاع داخل المجتمع الفلسطيني، واستخدم الفلسطينيون هذا الأسلوب في بث الراديو التابع لأحمد جبريل من دمشق واستخدم هذا البث أيضا في رفع معنويات الفلسطينيين وبث رسائل مشفرة حقيقية ووهمية، وحاولت (إسرائيل) التشويش على هذا البث ولكن ولسبب نقص بعض الأمور توقف التشويش.

الوحدات الخاصة (الإسرائيلية) التي عملت في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة مثل (شمشون، ودفدفان) عادت بالفائدة النفسية والعملية (من دون قصد)، ودفعت الشهرة التي ظهرت لهذه الوحدات والتي عرفت في أذهان الناس على أنها وحدات القتل والموت الكثير من المطلوبين الفلسطينيين إلى تسليم أنفسهم.

وفي النهاية فإن الهوة في مصادر الطرفين دفعت الفلسطينيين للقيام بمبادرة جديدة ومنظمة في مجال المعلومات، واستخدم (الإسرائيليون) في الأساس مصادر عسكرية فشلت أمام التحديات التي وضعها الفلسطينيون من خلال معلومات منظمة وجوهرية، ولا شك أن تسويق القضية الفلسطينية سهل جدا، ولكن هذه الأسباب السهلة لا تعطي توضيحا للفشل (الإسرائيلي)، وقد تغيرت الصورة في الجولة الثانية من الانتفاضة.

أحداث ٢٠٠٠-٢٠٠٢

شكلت الأحداث التي تلت شهر تشرين أول من عام ٢٠٠٠ مانعا إضافيا أمام استغلال نجاحات الحرب النفسية الفلسطينية، حيث يدور الحديث عن دولة فلسطينية فعلية، فمن جهة الحرب النفسية فإن هناك قيودا للفلسطينيين في استخدام الأسلحة التي تسبب بوقوع قتلى (إسرائيليين) كثر، وهذا الواقع الجديد أثر على الإنجازات الأساسية التي أنجزت خلال الانتفاضة الأولى.

إن أساس الحرب النفسية في الانتفاضة الثانية هو العمل في اتجاهين وهما ضربات (الإرهاب) من جانب و من جانب آخر وجود نموذج ضعيف "ضحية"، ويوجد للفلسطينيين وسائل إعلامية مستقلة سهل الوصول إليها مثل –راديو وتلفزيون– ولكن يحاول هؤلاء استغلال تجنيد السكان الأصليين على الرغم من العوائق من جانب السلطة وحقا فإن الفلسطينيين لم يفقدوا حاسية المبادرة واستغلال الفرص في النزاع، في حال أن (الإسرائيليين) مترددون و متخبطون بأخلاقيات الدعاية (باستثناء عملية خطف الجنود في رام الله حيث لم يشاهد هناك صور مفصلة ولكن دلالات، مثل الدم على كف الشاب الفلسطيني)، لا يوجد للفلسطينيين أي مانع لعرض أعضاء داخلية نتيجة إصابتهم برصاص الجيش (الإسرائيلي) حيث تم عرض صور تلفزيونية ونشر صور في الصحف.

واستغلال صور جمجمة الطفلة اليهودية المثقوبة بالرصاص التي قتلت في الخليل (شلهيفت بس) كانت مبادرة خاصة ولم تكن مبادرة من قبل الحكومة (الإسرائيلية) تمثلت الرسالة المركزية للفلسطينيين التي استخدموها في الانتفاضة الثانية في (ظلم الاحتلال)، وفي هذا الجانب فإن (إسرائيل) ما زالت متخبطة حول مسألة تشويه مكانة ياسر عرفات، أو اعتبار هذا الأمر كرسالة هادفة في الحرب النفسية، في حين أن الفلسطينيين يستخدمون موضوع (ظلم الاحتلال) والضرر الأخلاقي، وأن هذه الرسالة تؤدي إلى محايدة الضرر النابع من عمليات "الانتحاريين".

الصراع مع حزب الله

تنظيم حزب الله مثال للنجاح في مجال الحرب النفسية التي حدثت في لبنان على الرغم من أنه تنظيم صغير يضم عددا صغيرا من المقاتلين لا يتعدى المئات، حيث استطاع أن يفرض إرادته على دولة تعتبر الأقوى عسكريا في المنطقة، دون الاستناد إلى سلاح المشاة أو سلاح الجو أو وجود أسطول بحري، حيث كانت الفئة الأولى المستهدفة في الإعلام من قبلهم هم سكان جنوب لبنان، حيث أثبت حزب الله لهم أن بقاء (إسرائيل) في المنطقة هو قصير وأن حزب الله قائم ومستقر أكثر، وللتوجيه وجدت عدة أذرع،

فمن جهة كانت هناك سيطرة على السكان وحرب على مساندي الجيش (الإسرائيلي) (من جهة الناشطين المعروفين أو المجهولين) ومن جانب آخر أنشئت مؤسسة لرعاية الشؤون الاجتماعية والثقافية هدفها الوصول إلى أهداف سياسية ودعائية وهذه من مبادئ الحرب النفسية، التي كانت البديل للمؤسسة (الإسرائيلية). وموربست ضغوط كبيرة على سكان جنوب لبنان من كل الاتجاهات بما فيهم الحكومة اللبنانية من خلال الرسائل التي وجهت إليهم والتي أكدت على أن خيانتهم كانت خيانة للوطن الأم.

إن الوعي الثقافي لحزب الله من قبل رجاله في المنطقة ساعده كثيرا على نقل الرسالة بصورة إيجابية في الإعلام ومن خلال العلاقات الاجتماعية التي أنشأوها إضافة إلى وسائل الاتصال المتعددة. والجماعة الثانية في الاستهداف هي (الجيش) والتي شملت الجيش (الإسرائيلي) وجيش لبنان الجنوبي وتزامن مسار الحرب النفسية مع العمل العسكري، وعرف حزب الله نقطة الضعف العسكرية لجيش لبنان الجنوبي وشن عليهم حرب عصابات، وقام الجهاز الاستخباراتي التابع لحزب الله بتجنيد أفراد داخل جيش لبنان الجنوبي وأعطوا شعورا أن كل شيء مكشوف داخليا وساعد على انهيار معنوياتهم. وعندما بدأت أصوات الانسحاب تتعالى في (إسرائيل) من جنوب لبنان، ضاعف حزب الله من رسائله وبثه في أوساط سكان جنوب لبنان، وعرضوا مقاطع من مقابلات أجريت مع سياسيين مساندين للانسحاب.

أما الرسائل الموجهة إلى (إسرائيل) فتعلقت بالتصميم على مواصلة الكفاح والاستعداد اللانهائي للتضحية بالنفس والممتلكات ومثال ذلك خطاب نصر الله والذي سقط ابنه في الحرب ضد (إسرائيل) وتحدثت هذه الرسائل التي بثت عن " المستنقع اللبناني " وهو تعبير مجازي سيطر على الأذهان ومعناه اخرجوا من لبنان، ولماذا إطالة عمر المأساة دون فائدة، واستغل موضوع المستنقع اللبناني كرسالة تاريخية ويقصد بذلك أن كل غاز (معتدي) للبنان قد انهزم، إضافة إلى أن حزب الله عمل كثيرا على توثيق المعاناة لغير المقاتلين.

إن استراتيجية حزب الله هي ممارسة الضغوطات على أصحاب القرار من جانب المواطنين في (إسرائيل) ووقف عملية "عناقيد الغضب" قبل موعدها هو مثال للعمل العسكري الذي توقف نتيجة بث صور التعرض للمواطنين المدنيين، والتي نشرت في جميع أنحاء العالم وإن هذا الأسلوب الحديث في إدارة المعركة أعطى حزب الله أداة قوية للمواجهة بأشكالها.

وكانت الفئة المستهدفة من حزب الله في الجانب (الإسرائيلي) تجمع السكان في منتصف (إسرائيل)، و تركزت العمليات العسكرية في الفترة الأخيرة ضد جيش لبنان الجنوبي (لحد) والجيش (الإسرائيلي)، وتوقفت العمليات الهجومية لما بعد الحدود في السنوات الأخيرة وذلك من أجل تدعيم الهدف الأساسي لتنظيم حزب الله وهو أن الحرب هدفها تحرير أرض لبنان من الاحتلال وأوقف الإعلان عن احتلال القدس مؤقتا.

أثمرت المعرفة بالثقافة (الإسرائيلية) بعدة أشكال حول تنويع المعلومات، فقضية (رون أراد) والمفقودون بعد الانسحاب (الإسرائيلي) من الجنوب اللبناني كانت مرحلة صعبة على (إسرائيل) فموضوع تحرير الأسرى يضرب عميقا في الثقافة اليهودية وقد أحسن حزب الله استغلال ذلك.

لقد بذلت (إسرائيل) جهودا كبيرة من أجل خطف زعماء حزب الله اللبناني (عبيد والديراني) ولكن لم تكن هناك أية جهود من قبل (إسرائيل) لاستغلال وجودهم للمجال النفسي ما عدا عدة مقابلات مع (عبيد).

إن بث الرسائل للجماعات المستهدفة والمختلفة قد تعاظمت وتطورت، فأنشأ حزب الله محطة راديو وتلفزيون "المنار" وهو أمر لا يتطلب الاستثمار الكثير، لكن نقطة الضعف في هذه الوسائل هو أنه من غير الممكن إجبار السكان خاصة المستهدفين من الأعداء على استقبال هذا البث. ولكي يتغلب حزب الله على هذه الحواجز عمل على ما تم استخدامه بداية في الحرب العالمية الأولى، وهو بث مواد يتطلع إليها العدو باهتمام، حيث غرس حزب الله معلومات مست خلال هذه الحرب أوساطا كثيرة نالت

اهتمام الجميع في (إسرائيل) و أثارت مواضيع كثيرة، قيادة الجيش (الإسرائيلي) كانت على رأس أهداف هذه الرسائل التي قام حزب الله ببثها، وبعدهم جاء رجال الصحافة المراسلون وخاصة مراسلي الشؤون العربية ومراسلي الضفة الغربية وقطاع غزة والمراسلين العسكريين ولم تكن هناك مشكلة في الرقابة، وذلك لأن هذه الأمور تم نشرها في الصحافة الخارجية.

إن الأداة الأكثر نجاعة لدى حزب الله كانت من خلال المادة المشاهدة، وهنا أثبت تنظيم حزب الله أنه من الأجدى استخلاص المكاسب الكبيرة بواسطة استغلال الخيال الخصب وإبداع وسائل إضافية بسيطة، إضافة إلى تطوير التنظيم لأسلوب قوانين المعركة للمادة المشاهدة وهي وجهة النظر القائلة "إن لم تصور –لم تقاتل" إن كاميرا تصوير الفيديو البيتية كونت الأداة المركزية، وتم عرض المواد التي تم جلبها من ساحة المعركة عبر محطات التلفزيون بأسلوب خطابي رفيع المستوى، وتم البث مع تعليق أو بث موسيقى النصر، وفي واقع الحال فإن كاميرا الفيديو تعطي كما هو معروف وصفا انتقائيا للواقع، وهكذا أصبحت العمليات شعارا مهما بالنسبة إلى حزب الله، وفي عملية (دلعال) فإن صور العلم (علم حزب الله) وهي ترفرف ولو لوقت قصير، يعتبر شيئا مهما بالنسبة لحزب الله على الرغم من قناعته أنه سينسحب من هذا الموقع بعد قليل.

وبعثت المادة المرئية في (إسرائيل) معضلة أمريكية بدايتها كانت في حرب فيتنام وأخرها في حرب الخليج. وإن صور حزب الله التي بثت في التلفزيون (الإسرائيلي) وعلى الرغم من أنها كانت بجودة بسيطة، لكنها أثارت أمرا كبيرا للتوثيق الخاص (المكشوف) للمنشورات.

(الإسرائيليون) شاهدوا هذه الصور باندماج بين التخوف والانهيار: وحدات عسكرية تقع في كمين أو مركبات أصيبت نتيجة انفجار عبوة ناسفة جانبية، خلقت انطباعا نفسيا تراكميا من النجاح العسكري لحزب الله.

مصدر آخر لبث الرسائل والمعلومات كان من خلال الإنترنت فنموذج حزب الله باعتباره مجموعة من القرى الشيعية المترابطة والبدائية قد انتشرت من خلال المواقع النشطة التي قام الحزب بتشغيلها ودخل على هذه المواقع (إسرائيليون) وشاهدوا صورا مفزعة مفصلة، مجموعة من الأصوات خاصة مجموعة أصوات لعمليات مختلفة، وفشلت المحاولات (الإسرائيلية) لإغلاق هذه المواقع من خلال أساليب المعلومات عندما انضم العرب في عملية إيقاف المواقع (الإسرائيلية) وهاجموا مواقع الخدمات (الإسرائيلية)، مما دفع السياسيين (الإسرائيليين) للإسراع في طلب وقف عمليات الحرب الإعلامية عبر مواقع الإنترنت.

وفي أعقاب الانسحاب من الجنوب اللبناني خرجت أصوات في (إسرائيل) تنادي بالعمل ضد الحرب النفسية لحزب الله، ولكن على أرض الواقع لم يتحقق شيء.

الفصل ج

الفشل (الإسرائيلي)

مفهوم الإعلام... تحليل تنظيمي وتصوري

من خلال الفصول السابقة تم استعراض أساسيات مبادئ الحرب النفسية وتطبيقاتها في النزاع (الإسرائيلي) العربي، وعلينا أن نشير إلى عناصر الفشل المختلفة في تطبيق الحرب النفسية في (إسرائيل) قبل عرض اقتراحات الارتقاء إلى الأفضل.

وإن كان هناك في (إسرائيل) إجماع عام يوحد الشعب بجميع أطيافه من اليمين وحتى اليسار فهو مجمع على قول (أنه لا يوجد لدينا إعلام ناجع) وفي هذا الفصل نناقش جذور الفشل (الإسرائيلي) من الناحية (التصورية، والتنظيمية) في استخدام المعلومات بهدف الوصول إلى أهداف سياسية.

شعب منعزل

عناصر متعددة كانت وراء فشل الحرب النفسية في (إسرائيل)، وكان الفشل الأول في المسار الفلسفي، وفي الفصل الأول أشير إلى أن العبء السلبي فيما يتعلق باستخدام الدعاية في (إسرائيل) بعد الكارثة (الهولوكوست).

ويشكل مفهوم الإعلام وجهة النظر للنفسية (الإسرائيلية)، فينطوي بداخله على مآزق لم يحل حتى اليوم.وفي رغبة (إسرائيل) غير المتوقفة في حبها بالاعتراف الدولي، وإن هذه الرغبة كانت أساس الجهود نحو التطور في العالم الثالث في الزراعة و أمور أخرى. وأظهرت الجهود التي تحطمت في سنة ١٩٧٣ خلال ساعات تحت الضغوطات العربية واللجنة الدولية المناهضة للعنصرية في (ديربن) الموضوع مرة أخرى و طرحت المسألة على بساط البحث وأدرك هذه الصاعقة الشباب (الإسرائيلي) - المراسلون - أعضاء الكنيست والطلبة - من اكتشافهم لللاسامية ظهرت في أروقة الاجتماع أو في شوارع المدينة.

وفي الماضي ظهرت من بين السطور اتهامات مفصلة للصحافة الخارجية باللاسامية وعلى سبيل المثال موضوع (حادث الاستطلاع لحادثة خطف الجنود في رام الله) كمثال ودافع رئيس لاستعراض النزاع (الإسرائيلي) العربي.وعندما كان المراسلون أو المحررون أو مسئولوهم من اليهود أوجد للمواطن (الإسرائيلي) توضيحا للأمور التي تدور في أساسها حول إجبار شخص في الاندماج داخل مجتمع جديد.

ومن دون تحديد فيما إذا كان هذا التصور صحيحا أم لا فهي لا تساعد حسب رأي قليل من الناس لموضوع الدعاية وتطبيقاتها العسكرية (الحرب النفسية) أنتجت الاتهامات اللاسامية نتائج السلبية وقلة الرغبة في الاستثمار.

الفشل الآخر هو التصور اليهودي للنظرة التفاؤلية حول ما يتعلق بنهاية الزمان، وأن نهاية الصدق هو النصر التي نسمع بها في فكر المسيح، علاوة على أن الصدق سينتصر في المستقبل فمن الواقع إنه لا ندري أننا سننتصر خلال الجدال هنا والآن، و يربط هذا التصور إلى حد معين تصور اللاسامية وكلاهما يساند من يعملون في مهنة الإعلام.

التطرق لاستخدام الدعاية

إلى جانب هذه التصورات فإن هناك حزنا غير مألوف حول كل ما يتعلق بالدعاية (من الناحية السلبية، مثل الدعاية المفزعة) لأنها لا تشير إلى الشرح والتوضيح حول ما يتعلق بذكرى الكارثة (الهولوكوست) على يد النازيين، والمقصود هناك كره ومقت لنمط الديمقراطية في أوساط الجماهير في (إسرائيل)، ولم يكن هناك استخدام للدعاية على الأقل في وقت الحرب بسبب هذا النمط من الكراهية الموجود في الدول المتقدمة في الغرب.

يظهر استخدام الإعلام العاطفي من جديد في كل موجة (إرهاب) فلسطينية ومثال ذلك الانتفاضة الأولى التي انحدرت إلى "قتل داخلي بين الفلسطينيين على مستوى كبير"، وقتل خلالها عناصر قضائية لها علاقة بالمستوى الشعبي الأمني والشرطة قامت بتنفيذ عمليات اعتقال، وفي عملية التحقيق عن هذه الأمور تم تنفيذ حكم الإعدام لعدد كبير منهم حيث تم اعتبارهم متعاونين مع الاحتلال، كانت صورة منحرفة ومخيفة وكانت هناك إمكانية نشرها لأهداف الإعلام لكن هذه الفكرة تم الاحتفاظ بها.

وهنا نشير إلى أن محصلة هذا الأمر كانت صحيحة، علاوة على أننا ملزمون في البحث عن نقطة توازن في رسائل مفزعة وذلك من أجل تنفير المشاهد، ويوجد أساليب كتابية مختلفة وجدت من أجل التستر على المواد المشاهدة في التلفزيون لم ولن يريدوا نشر مثل هذه المواد لكن هذا الأمر يعد واحدا من أمور كثيرة من أساليب استخدام وسائل مثيرة للعواطف atrocity propaganda.

في العقود الأخيرة وخاصة بعد اتفاق السلام مع مصر، ظهر في (إسرائيل) اتجاه لفهم العالم العربي بأسلوب خيالي مثالي، ومحاولة تغيير أسلوب التعرض للعرب بشكل سخيف، وهناك عدد من العناصر القليلة خاصة في أوساط اليمين يعاندون عرض صور كاريكاتير لا سامية في العالم العربي، وهنا لا يبدو أن تأثيرهم كبير، وإن مثل هذا الوضع يصعب من إيجاد رسائل عاطفية أوقات الحرب مثل بشاعة العدو، لكن

استخدام الفلسطينيين للسلاح و(الإرهاب) و(الانتحاريين) اعتبارا من شهر أكتوبر (٢٠٠٠) أدى إلى هزة في رأي الجماهير داخل (إسرائيل) لصورة العرب ولكن وكما ذكر سابقا فإن قضية "خطف الجنود" في رام الله فهو حادث شاذ لاستخدام أسلوب ظاهرة العدو.

(الإسرائيليون) والمادة المشاهدة

بصورة عامة نرى أن لرهبة (الإسرائيلي) من المادة المشاهدة جذورا يهودية عميقة، فإنه يوجد لليهود حاجز نفسي عميق من المشاهدة والتي تعتبر استثناء. كما هو الراسخ بالنسبة للأمريكان من الطبقة السفلى في المجتمع و النظرة بين المجتمعين الأمريكي و(الإسرائيلي) هي نظرة تكافئية ثنائية.

وعلى النقيض تقف حقيقة المشاهدة والتي تصور اليوم مركز الصراع الفلسطيني، ويتقدم الإقناع ونقل المعلومات أكثر فأكثر في تصميم المشاهدة، وأصبح التلفزيون قبل عقدين أداة إخبارية من الدرجة الأولى وسحبت إليها الصحافة المطبوعة وأيضا الانترنت، وفي نطاق الأدب الكتابي فإن هناك بابا لحوادث تم الاهتمام بها CIA عند CNN حول إمكانية إنتاج تقارير استخباراتية داخلية بتصميم الفيديو بما أن المسؤولين لا يقرؤون التقارير.

إن الرسم الكاريكاتوري في الصحافة المطبوعة فيه نوع من التعبير عن الرأي من خلال وسيلة الإعلام المشاهدة الموجودة في الصحافة. وأمام هذا الهدف فإن (إسرائيل) ترد إلى حد معين بصورة كلامية وحقيقية منمقة ومفصلة. وعلاوة على الأسباب التي ذكرت سابقا فإن لهذا الأمر جذورا حضارية متجذرة وأظهرت دراسة في موضوع الإعلام والحضارة العلاقة بين التصور التاريخي لحضارة وبين الاتجاه إلى خلفية مفصلة مثل اللقاءات العملية. العالم العملي الأمريكي "وبه الخلفية المتجردة والتقدم يشكل فصلا قصيرا" يتصادم مع هذه الخلفية للتصور الأوروبي، وعلى ضوء

التاريخ الطويل للشعب اليهودي، لا عجب في أننا نتوجه لإعطاء استعجال وشرح أساسي في حينه وكما هو معروف أنها غير شعبية اليوم.

قلة نشاط وفاعلية

فشل آخر نابع من حقيقة الصراع بين الدولة بمؤسساتها وبين منظمة سياسية وعسكرية، فمجال الدعاية والحرب النفسية يفرض علينا الفاعلية والنشاط والإبداع متعدد الجوانب ولذلك فإن هذا الأمر هو من اختصاص الشباب والمهنيين أرباب الخبرة الطويلة فمن السهل أن يتبنى أي تنظيم سياسي استراتيجية دعائية لتغيير التوجيه حسب ما هو مطلوب، فالدولة المستقرة تعمل بهدوء وتروٍّ والأهمية السياسية موجهة نحو النواة الشخصية كعامل أولي و فقط بعد ذلك لصالح الموضوع وجد نظام لدراسة شاملة يضع الدولة في مكانة مستقرة أمام منظمة ناشطة وفعالة، وعلى سبيل المثال أنشأ الفلسطينيون خلال الانتفاضة شبكة معلومات منتشرة في أنحاء البلاد وشملت أصحاب الأكشاك، وسائقي السيارات العامة ومتطوعين ساهموا في نشر الأخبار خلال دقائق.

في حين أن إذاعة الجيش (الإسرائيلي) عملت من أجل بث معلومات بعد تمريرها على جميع المسؤولين في ألوية الجيش وقيادة الأركان وبعد الانتهاء من تمرير هذه المعلومات تصل إلى وكالات الأنباء متأخرة، و قد حدد البروفيسور (يحيزقيل درور) الجمود كسبب مركزي في تحليله للفشل في أجهزة الإعلام (الإسرائيلية) .

داوود وجالوت الفلسطيني

سبب آخر للفشل (الإسرائيلي) نابع من المصادر الأساسية للحرب النفسية، وهو استغلال التضامن الإنساني مع الضعيف، التجمعات اليهودية بجميع توجهاتها المختلفة تعلمت بشكل أساسي استخدام هذا المبدأ خاصة في فترة الصراع ضد الإمبراطورية البريطانية ولكن عندما نالت (إسرائيل) استقلالها ترك هذا المبدأ تدريجيا(دولة صغيرة محاطة بالأعداء) حتى حرب الأيام الستة وعندها ترك نهائيا.

الهدف الاستراتيجي هو أن تعرض نفسك على أنك الضعيف كما يعبر عنه اصطلاح شائع اليوم ونجحت (إسرائيل) في الحفاظ على هذا النموذج حتى حرب الأيام الستة أو حرب عام ١٩٦٧، الفلسطينيون طبقوا مبدأ الضعيف بصورة كاملة خلال الانتفاضة الأولى، لكن هذا الهدف غير الممكن بالنسبة لـ (إسرائيل) في أعقاب الأمر المشهور لـ (اشكول) على (شمشون الجبار – المسكين) وحسب هذه المقولة علينا أن نعرض أنفسنا في جانب الضعيف أمام العالم العربي، وفي هذا الموقف يكمن التناقض الكبير.

من جانب آخر ف (إسرائيل) مضطرة أن تحتفظ لنفسها على قوة الردع وأن تعلن عن عظم قوتها ومن جهة أخرى، وفي مجال المعلومات فإن (إسرائيل) عليها أن تخفي قوتها وتظهر قوة أعدائها وهذه مشكلة صعبة يتطلب حلها إبداعا خاصا.

مشكلة أخرى تعاني منها (إسرائيل) تعود جذورها إلى التخبط في الهوية (الإسرائيلية) ومحاولة التغلب على الحواجز النفسية (الإسرائيلية) الصهيونية التي تتعرض إلى التصور من زمن الشتات.

فصل (د)

خطوات عملية

وقد أدت الأسباب السابقة إلى وضع تكون فيه الدعاية تدار بشكل عام بمبادرات شخصية (لإسرائيليين) أو يهود غيورين من خارج البلاد عن طريق إعلانات تأييد ذات قيمة ولها احترامها في الصحف العالمية النوعية، أو بمبادرات حكومية أو عسكرية لهذا الغرض بالذات، النشاطات الرسمية على أحسن الأحوال تعتمد على إعداد المعلومة، أو كراسة أو شريط لأحد عناصر الدعاية.

وسنعرض نموذجا لإعادة تنظيم و معالجة موضوع الإعلام.إذا ما نجحت أحداث مؤتمر (ديربن) وعملية (الدرع الواقي) وهي (حملة ضد الفلسطينيين) بان تهز قليلا

معتقدات (الإسرائيليين)، من الممكن أن نداء لإقامة جسم أو هيئة تعالج المعلومة بصورة أكثر نجاحا ستكون ذات ناتج طيب، و النموذج المعروض من الممكن أن يكون نموذجا لخطوات يجب الأخذ بها.

قبل مناقشة إعادة التنظيم من جديد من المهم الإشارة لعدد من الأساسيات المهمة التي ستطبق في إطار هيئات ستكون جزءا من التنظيم الشامل.

مفاهيم الحرب النفسية وجمع المعلومات.

في البداية علينا التغلب على الصعاب الداخلية مع نقص المفاهيم في موضوع الحرب النفسية، وعلينا التنازل مرة وللأبد عن هذا المصطلح (المسبب للشلل) وهو الدعاية التي تبين وتظهر الضعف العميق حسب ما أشرنا إليه في الافتتاحية، علينا أن نسوق الحاجة الماسة للتعبير مثل " معلومة استراتيجية أو إعلام استراتيجي (كاسم مؤقت بديل عن الدعاية) في داخل المؤسسة الأمنية والسياسية في (إسرائيل). والمسكنة والضعف التي تتظاهر به (إسرائيل) منذ بداية الصراع وحتى الاستقلال ليس في مكانه، وحسب ما عرض في الفصول السابقة، ينتصر (الإسرائيليون) اليوم في المعارك ليس بأقل من مساعدة العلم والمعلومة من طريق فوهة المدافع.

وفي سياق الحديث سنأتي بنقاش مفصل عن الهيئات الحكومية وجهاز الأمن، وفي هاتين الهيئتين (الحكومية والأمنية) ملزمون بإقامة استكمالات في جميع المستويات، من أجل إعدادهم وتأهيلهم حول طابع أعمال الدعاية القائمة في الهيئات المختلفة ويجب تحرير الرسائل بأسلوب دعائي حتى نفهم كيف أن الفلسطينيين والدول المعادية يستخدمون المعلومة من أجل الوصول إلى أهدافهم، وبعد هذا يجب تأهيل طواقم قيادة مهمتها توجيه كل الهيئات المذكورة سابقا بما يتعلق بفن الدعاية والترويج في خطواتهم وأعمالهم.

طريق ممتازة لاستيعاب التغيير هي بواسطة إقامة حلقات نقاش يناقش المشتركون بها الحاجة للمعلومة الاستراتيجية وبإمكانيات التطبيق في تنظيمهم. وهكذا ستستخدم

النقاشات والاجتماعات التي تناقش وتبادل الآراء ومردودها سيكون كبيرا وحيويا، وباستثمار ليس كبيرا وممكن إعداد لعبة حرب مع التأكيد على عنصر الحرب النفسية.

تحديد رسائل أساسية

المرحلة التالية هي إعداد رسائل استراتيجية فنحن معنيون بسنها بين التجمعات المختلفة.ويجب إقامة هيئة تحاول الوصول إلى إجماع حول رسائل (إسرائيل) الدعائية، فرسالة اليوم مشوشة وغير واضحة: خاصة التركيز على رغبة (إسرائيل) بالسلام والاستقرار ونحتاج بين الحين والآخر قبس وومضات بإثارة الشك والاستياء وتوقع هجوم عدو عربي، بصورة عامة بعد حادث عنيف. نحن نحتاج إلى رسالة عليا، تشكل هدفا شريفا نتطلع إليه، لكنه خال من المعنى والمغزى ولا تأثير له على صعيد الإقناع، لذلك يجب صياغة أهداف (إسرائيل) وفي كل المجالات حتى يتم فهم كل الجهات المستهدفة.

تجهيز الرسائل ليست بالمهمة السهلة قطعا، كنتيجة التجزئة الأيدلوجية للمجتمع في (إسرائيل)، و الصعوبة تنبع من أن مهمة كهذه تمس بجذور الهوية (الإسرائيلية) والجمهور (الإسرائيلي)، كما ذكر سابقا فلم يتبلور أي موقف حول ماهية العلاقة بين (الإسرائيليين) والعالم غير اليهودي، وحول هوية اليهودي (الإسرائيلي).

الجهة التي تحسم اليوم في اختيار الرسائل هذه هي وزارة الخارجية، وهي منذ القدم مهمة مركبة بقدر ما من التماسك الأيدلوجي لـ (إسرائيل) ليبرالية علمانية منفتحة ومتقدمة، ومتقلبة تقلب حقيقي لأنها تعاني من اللاسامية أفرادا أو مؤسسات، صعب جدا صياغة عدد من الرسائل القليلة بمستوى استراتيجي، مع هذا الوضع من الممكن صياغة عدة رسائل بمستوى عال وعلى المستوى المحلي (مستوى المنطقة) وبشكل تكتيكي، مثل الحق بالعيش (ضد الإرهاب) العلاقة التاريخية، البحث عن شريك للسلام، على سبيل المثال في أعقاب الرسائل العالمية وداخل (خلال) استشارات على رجال الجمهور من الممكن الوصول إلى اتفاق حول الطرق لتسويقهم.

الانتقال للمرئيات

ويجب أن يكون الخط المركزي لعمليات الإقناع بالانتقال للمادة المرئية ولا يوجد جديدّ بالقول أنه لا يوجد (لإسرائيل) صور كافية لكننا ملزمون بأن ننقل للجهاز الأمني الرسالة بشأن أهميتها العليا للإقناع المرئي، والمقولة المعروفة " لم تنشر لم تفعل " يجب أن تكون مترجمة في الجهاز الأمني إلى " لم تصور لم تنفذ" هذا هو انقلاب مفسر، ولكن واجب بأن ينفذ إذا ما كان بنية (إسرائيل) أن تدخل لعصر الحرب في الألفية الثالثة.لهذا تلزم المرئيات لأن تكون أساسا عمليا مركزيا موجها في طريق العمل بحسب ما يتطلبه. المرئيات يجب أن تدخل إلى اعتبارات إدارة المعركة. هذه المقولة بالتأكيد ستثير الكثيرين لكن لا مهرب من هذا.

والقائد في الألف الثالثة في كل الدرجات يجب أن يدخل عنصر المرئيات إلى داخل جهاز الاعتبارات وإدارة المعركة، هذا الشيء بدا ينفذ إلى مبادئ إدارة المعركة في الحرب الأقل حدة (قوة) في (إسرائيل) من الأفضل أن لا ينفذ إلى الحرب التقليدية، الظلم (القسوة) الإضافي الذي سيقع على الضباط والجنود سيكون ثقيلا، لأنه يمنع أن يتكون له تأثير أيا كان على الهدف الأول وهو تنفيذ الأوامر والمهام وثم النصر، الادعاء هو أنه إذا لم تكن هناك تغطية تصويرية نوعية للعملية العسكرية حينها فإن العملية السياسية المضادة التي ستأتي في أعقاب ذلك من جانب العدو ربما تقلب الانتصار العسكري إلى (انتصار ينتزع بثمن باهظ جدا).

تطبيق هذا الأساس ممكن أن ينفذ بعدة أساليب، و يجب تقليد حزب الله الذي يزود المعركة بالوثائق وينشر الصور بسرعة وخصوصا في حالات الانتصار، حتى وإن كانت محدودة بهذا يعظم الانتصار، يجب أن ندخل للكادر المعركي مصور فيديو ومصور فوتوغرافي يبدأ من مستوى القسم، كل جندي وقائد بالمعركة عليهم أن يتطوروا فيما يتعلق بتصوير الفيديو، حتى يفهم الجدوى التي ممكن أن تتحقق بمساعدة هذه التصاوير، مثل زوايا مختلفة وإعداد الصور والمصور، بالإضافة إلى مهامه العسكرية عليه أن يصف المعركة بكاميراته.

من الممكن تنفيذ تغييرات على هذه الفكرة، و إحدى الامكانات هي تعيَين رجل إعلام خاص، عنده خلفية أو لمحة عسكرية رجل كهذا يكون جزءا من القوة وبمفهوم العبارة أن يكون يعرف في تشغيل قطع السلاح وأجهزة الاتصال ويعرف أن يضمد الجرحى، لكن غير مقاتل بشكل إداري، عليه أن يتلقى تاهيلا عميقا بموضوع الصحافة، التصوير الصحفي، بث الراديو، تصوير الفيديو، عدته يجب أن تكون هاتفا نقالا، كاميرا فيديو عالية الجودة وكاميرا رقمية عالية الجودة، مسجلا رقميا، كمبيوتر محمولا، مهمته العسكرية ستكون في وصف المعركة بالوثائق، و المعلومات التي ستنقل بسرعة، سيعمل عليها ضباط اتصال الذين سيسوقونها للحاجات المختلفة حسب الحاجة والواقعة.

إمكانية أخرى هي استخدام جندي معركي (حربي) وإعطاؤه عدة إضافية لا تزعجه ولا تؤثر على مشاركته في المعركة كباقي الجنود، بمفرده سيكون له مهمة إضافية لرجل الاتصال بالوحدة.وعلى الضباط و أصحاب الاختصاص المساهمة في تهيئة هذه المعدات (وهي بالأساس موجودة) لحاجات الجيش، كاميرا فيديو موصولة بالحزام أو على الخوذة القابلة للتشغيل والسيطرة عن طريق ريموت موجود على عقب البندقية.

من المناسب والمعقول أن تكون هذه عملية طويلة من التجربة للتغلب على المحافظين، لن تكون مشكلة في إقناع الجنود للذهاب في هذا الاتجاه الذي يعد بإمكانية فتح مجال العمل في المستقبل وجندي الاتصال ممكن أن يكون جنديا نظاميا و ثابتا وليس في صفوف الاحتياط بعد أن أصبح صاحب تجربة في مجاله، وهناك صعوبة متوقعة وهي ارتفاع مكانة الجنود في عين القيادة مع اختراق مؤسسة العلاقات العامة للجمهور والجيش، الذي كان بالأمس من نصيب الضباط الكبار نزل الآن إلى مستوى الكتائب والأقسام وهناك حاجة لإبداء الرأي بشان هذه المشكلة.

ينقل الجنود المعلومات التي جمعوها لمركز المعلومات، التي من الأفضل أن يكون بدرجة هيئة أركان عام. والطريق الوحيدة لتطبيق التغييرات التي اتخذت كما ذكر سابقا في مجال العلم والمعلومة على يد الجيش عن طريق إنتاج فريق مهني حيث يجب أن نستثمر بالأيدي العاملة ذات الجودة والنوعية والعمل على تقديم أوسمة للناجحين.

بالإضافة للتصوير هناك أيضا تعابير مرئية أخرى: الكاريكاتير على سبيل المثال مقنع، هو أحد الطرق الفعالة جدا إذا لم تكن الأصعب على الهضم.والكاريكاتير هو الوسيط الذي يستطيع نقل رسالة لاذعة أو سامية بصورة مقنعة، وهذا فن بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

رسام الكاريكاتير هو صحفي يعبر عن رأي بشكل مرسوم ومن الصعب جدا أن تعبر عن فكرة بإضاءات بالكلمات لأنه يتطلب موهبة كبيرة، وتأثير رسام الكاريكاتير عظيم، لأن العين تستوعب العنصر المرئي بشكل أسرع من كلمات مكتوبة تتطلب جهدا فكريا وعقليا.

(لإسرائيل) مصلحة في أن تطور هذا الوسيلة الإعلامية من أجل التقدم بأهدافها، و لا بد من تطوير أفكار ومبادئ القتال ونقل الرسائل التي صيغت مسبقا بشكل مرئي بوسيط كاريكاتوري وتنشر بأشكال مختلفة، و يجب أن تمر رسائل مختلفة مرحلة إعداد و دراسة حسب السيناريو الثابت أو المتغير فيما يتوافق مع الاحتياجات السياسية، وأن ينشر بشكل مبدع و ملفت للنظر. يستطيع هؤلاء أن يزينوا مواقع (إسرائيلية) رسمية أو مواقع غير (إسرائيلية) وأن تكون منشورة على ظهر البيانات.و يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الثقافات المختلفة لكل مجموعات كاريكاتورية، وخصوصا الرسائل الموجهة للعالم العربي، يمكن نقل رسالة مقنعة على شكل كاريكاتير لقوات عسكرية الموجودة في الانتظار في ساحة المعركة مثلما عمل الأمريكان في حرب الخليج.

كشف معلومات وجمعها:

المعلومة المستخدمة في الحرب (القديمة) تجمع بكميات كبيرة وتهدف في الأساس لأهداف استخبارية، مقابل هذا في الحرب الجديدة ملزمون بإخراج المعلومة من عالم السر إلى العالم المفتوح. والعلاقات المتبادلة بين الشعب والحكام المنتخبين ووسائل الاتصال التي تنقل المعلومة تقريبا في وقت حدوثها وهذا شيء لم يحدث من قبل في تاريخ الحكم والسلطة.

في إدارة المعارك اليوم من المهم معرفة كيف تؤخذ الحرب وهذا ليس بأقل أهمية من إدارة المعركة نفسها، ولهذه الخطوة إيجابيات وسلبيات: الأفضلية هو أن المعلومة موجودة في متناول اليد، تجلب الانتباه (جذابة) بحاجة إلى تنسيق بسيط من أجل أن تصبح معلومة إخبارية. والجانب السلبي هو الانقلاب النفسي المطلوب من جهاز المخابرات والتي كانت مسؤولة حتى الآن عن جمع المواد لنشرها للجمهور، هذا انقلاب نوعا ما عظيم خصوصا في دولة أحد الثوابت فيها هو (السر).

يجب التأكيد بأن المعلومة المرئية هي علم قائم بذاته، وهو منجز عن طريق كاميرا الطائرات والعموديات وطائرات بدون طيار ومطلوب تغييرات فنية بحاجة إلى اختيار زوايا للبث بالإضافة لزوايا الهجوم والغارات.

نموذج جيد للنشر الناجح للمادة من هذا النوع كان التصوير من طائرات عمودية مهاجمة لمحاولة الاعتداء على شخص كبير من حزب الله في سيارته، المحاولة فشلت والنتائج السياسية كانت سلبية في نهاية الأمر، لكن التكنولوجيا كانت صحيحة، طائرة عمودية تخرج لسيارة تسير في أحد شوارع قرية..تتهيأ..ترسل صاروخا.. السائق يقفز للخارج ويهرب حيث توجد هنا كل مزايا فيلم عنف أو لعبة كمبيوتر. لكن هذا جزء لا يتجزأ من الحرب النفسية ومهم ولا يقل أهمية عن المجابهة نفسها، و تعلم حزب الله هذا منذ مدة، لذلك علينا أن نعمل جهدا لنجعل طائرات بدون طيار تقوم بأعمال البث، والحصول على معلومات من الأقمار الاصطناعية والغواصات والدبابات.

إضافة إلى تجنيد المعلومة العسكرية ونشرها، علينا إقامة مشروع (تنظيم) لجمع المعلومات النفسية الثقافية، حسب ما ذكر في فصل (ا) حيث لا يمكن نقل رسالة مقنعة للعدو بدون معرفة عميقة بثقافته، وخلال العقود الثلاثة من قيام الدولة كان (لإسرائيل) تفوق واضح في هذا المجال في أعقاب هجرة اليهود من البلاد العربية حيث كان باستطاعة المهاجرين الذين خدموا في المخابرات إعطاء معرفة عميقة عن الثقافات العربية المختلفة في آسيا وإفريقيا، وهذه المعلومة لم تستغل في معظمها لأهداف استخباراتية ثقافية.و لكن كان استغلالها لأهداف استخباراتية تقليدية، الوضع اليوم

هو أسوأ. أقلية تتعلم العربية بشكل جيد ومن يتعلم يتم خطفهم في جهاز الاستخبارات التقليدي من أجل التصنت أو قراءة الصحف، والمتفوقون بينهم لا يستطيعون الوصول لدرجة معينة يفهمون من خلالها الثقافة العربية بشكل عميق وخصوصا أنها منقسمة إلى عشرات الثقافات بسبب اختلافها من دولة لأخرى ومن منطقة إلى منطقة.

لهذا علينا إقامة مشروع يحاول أن يكمل النقص وهذه عملية طويلة المدى ولكنها حيوية لاحتياجات الاستخبارات في المنطقة. والعلاقات السياسية واحتياجات السلام، فخريجي المشروع يجب إلحاقهم بصورة طبيعية لوزارات الدولة أو الصناعة أو في كل جهة عامة لها تعمل بالعلاقات الخارجية. وهؤلاء سيساهمون في إيجابية هذه العلاقة على المدى القصير و على المدى الطويل سيساهمون في ربط (إسرائيل) في المنطقة .

وهنا نؤكد اليوم أنه لا تنفذ أعمال استخبارية من هذا النوع، والمعلومات العسكرية الواسعة التي تشرى من مخازن المعرفة والتجربة للمخابرات يعملون فقط تقريبا بالاستخبارات التقليدية، واستخبارات ثقافية يوجد في إطار بين كلية الجيش والمجتمع، الدولة الأولى التي عملت مشروعا كهذا هي ألمانيا النازية حيث إن الألمان أقاموا كلية خاصة ساعدت كثيرا في نجاح الدبلوماسية الألمانية عشية الحرب العالمية الثانية، حسب ما ذكر سابقا يقيم الجيش الأمريكي إطارا كهذا يعمل رسائل تلائم الأمم المختلفة.

تنسيق وربط

ستقوم الهيئات التي يجب إقامتها على العمل في ظروف تشبه عمل هيئة تحرير جريدة أو محطة بث ولهذا يجب التزود بوسائل تكنولوجية مناسبة، وتعمل على الربط بين الجيش والشاباك والموساد ووزارات الحكومة ويجب إنجاز المعلومة بسرعة لم نعدها سابقا، ولذلك يجب سد النقص وإكمال الدراسة بعمق للعمل المكتبي وللضباط المتوسطين فما فوق.

للإجمال، فإن هذه الخطوات هي بعيدة المدى وخصوصا في المجال النظري و تبدأ عمليا من لحظة الاعتراف بأهمية موضوع المعلومة في الحرب.و بالتالي سيكون من الممكن أن نوجه جهدا لصياغة رسائل مرئية والحصول على معلومة مناسبة في وقت حقيقي من ساحة المعركة، و لتحقيق ذلك فيجب بذل جهد كبير لتغيير ما يمكن تسميته بالسر الأمني و انسجام المعلومة مع الحرب في زمن المعلومة.

بعد أن عرضنا الأساسيات المركزية من الممكن أن ننتقل إلى نماذج العمل الذي يجب أن يقسم بين المستوى الحكومي والعسكري حيث إن لكل واحد منهما اتجاهات عمل مختلفة، وسنعرض هنا خيارين:

الخيار الأول خطة استراتيجية إذا لم تتبن من الممكن أن تشير إلى اتجاه عام مرضي ومرغوب فيه، والثاني أن التدرج المصغر لا يحتاج إلى تغيير تنظيمي انقلابي.

توصي الخطة الاستراتيجية بإقامة مجلس معلوماتي استراتيجي يكون هيئة عليا تركز على المعالجة في الموضوع ويقارن وينسق بين كل الجهات العاملة به، و الهدف النهائي هو إعطاء خدمات للحكومة ولهيئات أخرى فيما يتعلق بالمعلومة الاستراتيجية.

الخيار الثاني هي لجنة متابعة تتكون من ٣-٤ أشخاص أصحاب صلاحيات واسعة تستجيب مباشرة إلى رئيس الحكومة وللجنة رؤساء الخدمات. أدناه تفضيل الخطوات الفعالة حسب الخيار الأول.

لجنة رسائل

وفي إطار المجلس تشكل لجنة رسائل مهمتها صياغة الرسائل المركزية وهي أن (إسرائيل) تريد أن تنقل للجماهير (الشعوب) المختلفة. وفي المرحلة الأولى ملزمون بأن ندمج وزارة الخارجية والأمن ومكتب رئيس الوزراء في إطار واحد خاصة وأنهم أصحاب التأثير الأكبر في دائرة الرسائل الأولى، و ليكون اختيار الرسائل وصياغتها

أمرا بسيطا، والمعارضة لإبداء التعاون بين وزارات الحكومة والهيئات المختلفة في اللجنة ستكون كبيرة.

ويجب متابعة الدراسة مع المستوى العالي لكل المتحدثين (الناطقين) والمدراء العامين لوزارات الحكومة ومحاولة البحث عن الخطوط المشتركة. و سيقوم الخوف العالمي من الإرهاب بأنواعه في أعقاب الهجوم على برجي التجارة العالمي والإرهاب البيولوجي بإيجاد فرصة مناسبة لجبهة مشتركة ضد (إرهاب) (المنتحرين) في كل مكان في العالم الغربي.

جمع معلومات نفسية

يجب أن تتضمن نشاطات المجلس إقامة وحدة بحث تجمع -بادئ ذي بدء- معلومات ثقافية ومعلومات عن الإنسان من حيث معتقداته وعاداته وأعراقه ومعلومات تاريخية ونفسية ومن هذا يتم تركيب مظاهر أو لمحات مختلفة لضباط أو جنود، و تنتقل هذه المظاهر اللمحات إلى لجنة الرسائل وستساعدها في أعمالها.

سترتبط هذه الاستخبارات المدنية في جوهرها، بالاستخبارات العسكرية النفسية وهي تختلف عن الاستخبارات التقليدية لأن هدف هذه المعلومات من نوع آخر تبحث عن الدوافع التي تحرك شعبا أو أمة. بإمكان مجموعة أو شخص رسائل أن تتغلغل عبر الأطر الاجتماعية والعسكرية و اختراق الحاجز الواقي لهذه الثقافات. وذلك أن الاستخبارات التقليدية أسهل للتنفيذ نتيجة للاستخدام في أنظمة الاستخبارات القائمة، والذي سيضمن قوة عاملة وإجراءات قائمة، و يجب أن نغير بهم فقط توجيهات جمع المعلومات و تظهر التجربة من حروب القرن العشرين بأن المصادر الممتازة للمعلومات في هذه المواضيع هي من أسرى الحرب، لكن يجب التأكد بأنهم لا يعطون المعلومة فقط لإرضاء المحققين.

الأجهزة الاستخباراتية الشاباك والموساد

يجب أن يعمل المجلس بتنسيق كامل مع جميع أقسام الاستخبارات العسكرية والأمنية ويجب تقسيم مجالات الصلاحية في مجال الاستخبارات النفسية والثقافية مثلما عمل في مجال الاستخبارات التقليدية.ومعنى هذا أن المعلومات يجب أن تذهب في اتجاهين بين المجلس وهذه الهيئات وبين هذه الهيئات نفسها.

انعكاسات دعائية

ستكون إحدى مهام المجلس هي تنسيق استشارات على المستويات العليا لصانعي القرارات في ساعات الحرب التقليدية أو في أي شكل نزاع آخر، ظروف الانعكاسات الدعائية الموجودة للخطط الموجودة للخطوات العسكرية والسياسية المختلفة، يجب أن يكون الخبراء على مستوى مهني عالٍ مثل العاملين مع رئيس الوزراء والضباط الكبار في الجيش والشرطة من أجل أن يستطيعوا إيصال رسالتهم، و هكذا سيمنع أي فشل متوقع مثل إرجاع (٤٠٠) عنصر من حماس الذين أبعدوا ١٩٩٢ أو شكل انسحاب الجيش من جنوب لبنان سنة ٢٠٠٠، فهؤلاء الخبراء ممكن أن يمنعوا أو يغيروا صورة الخطوات المأخوذة بعد التفكير بالخطوات الدعائية المضادة التي سيأخذها الجانب الثاني، كما أنه من الممكن الحصول على المساعدة من تكنولوجيا الدعاية المضادة والتي ستخرج الشوكة من الرسائل التي يتطلع العدو لاستنتاجها.

تنسيق وربط مع يهود الشتات

يجب إجراء تغيير جذري ومنظم نحو العلاقات مع يهود العالم، فاليوم تعتبر العلاقة متخلفة جدا وهناك جهتان رئيسيتان تقوم على هذا الأمر وهما: الوكالة اليهودية ووزارة الخارجية (الإسرائيلية)، وهاتان الهيئتان تعانيان من أزمة ثقة في علاقاتهما مع

الجمهور نتيجة سلسلة من التعيينات السياسية، ونقص فهم وحساسية وتعالٍ وتعجرف تراكم مع مرور السنين. وتستطيع (إسرائيل) على مستوى العالم أن تقلد الفلسطينيين الذين يستخدمون بشكل كامل شعبهم في الشتات فهم يستغلون القرابة الثقافية لأبناء المنطقة وعلاقاتهم الثقافية والاجتماعية من أجل إحضار الرسالة الفلسطينية للمجتمع المحلي، و(إسرائيل) لا تستغل حتى ولا جزءًا صغيرا من الخيارات التي يعرضها يهود العالم، ويجب أن يكون هناك قسم خاص لموضوع استغلال يهود الشتات من أجل نقل المعلومات لجماعات مختلفة خارج حدود (إسرائيل) ويجب أن يكون هذا الأمر جزءًا من تنظيم العمل.

هناك استعداد كبير لدى الطوائف اليهودية للعمل من أجل (إسرائيل) في مجال الإعلام وهناك حاجة إلى تنظيم جديد بميزانية قليلة جدا من أجل ربط الشعب اليهودي مرة أخرى ببعضه. ومن الممكن استغلال الميل الإيجابي وسط الطلاب في الجامعات وداخل أوساط الجماعات، واستخدام أسلوب التأثير السياسي في الولايات المتحدة بواسطة تجنيد مواطنين من الهامش لأعمال سياسية لأجل تحقيق فكرة. وهذا الأسلوب استغل بنجاح كبير في الماضي مثل استغلاله في مساواة الحقوق للسود في سنوات الستينيات ونشاطات كهذه لا تحتاج إلى ميزانيات كبيرة. وحتى اتفاقات أوسلو كانت نشاطات يهودية كهذه لكنها أوقفت لأسباب مختلفة وتفرق العاملون فيها والآن نحن ملزمون بتجديدها وإعادتها وأخذ المعلومات من التقارير والمرشدين التي كتبت في تلك الفترة.

يجب أن نشير إلى تطور كبير عند الشعب الأمريكي وهو جاهزية هذا الشعب وتجنيد نفسه دينيا لأجل (إسرائيل)، ويوجد بهذا الجمهور طاقة كبيرة تبحث عن مصدر للعمل، ولا تعرف المؤسسة القائمة الجماهير هذه، و بالتأكيد لا توجد قيمة لتجنيدهم، فالجمهور المتدين يتدخل في السياسة المدنية في عدد من المدن الكبيرة في أمريكا وأوروبا وتقيم علاقات مع عدد من التنظيمات العالمية، وتكون التركيبة اللاصهيونية أقلية في الجماهير هذه مع ذلك من الضروري في تجنيد التنظيمات المتدينة التجديد من جانب

المؤسسة الأمنية (الإسرائيلية) والمجلس الجديد، حتى نستعمل الجهد المدفون في الهيئات وهذه الأجسام.

وإذا كان كذلك يجب علينا رسم هيكل تنظيمي لكل الهيئات الحكومية والجماهيرية في إسرائيل، خاصة صاحبة النشاط والعلاقات العالمية في إطار علاقات عمل أو تجارة أو علاقات أخرى، ويجب إكمال الدراسة من أجل صياغة رسائل هذه الهيئات، والتفكير بدافع مناسب مع هذه الهيئات لتأكيد الصمود تحت ضغط وزارة الخارجية، بالإضافة إلى إمكانية إقامة حلقات دراسية في البلاد وخارجها على أيدي رجال مهنيين في مجال علاقات الجماهير على المستوى العالمي.

إعادة تنظيم للهيئات القائمة

على الصعيد المدني: مكتب الصحافة الحكومي.

إحدى مهام المجلس هي العمل على إعادة تنظيم مكتب الصحافة الحكومي لتجعلها تتلاءم مع الألفية الثالثة. وهذه الهيئة أسست من أجل أن تُكون علاقة مع وسائل الإعلام الأجنبية، لكن مع مرور الزمن أصبحت أعماله هامشية، لا يمكن التغاضي عن المشاكل حيث إن منزله هذا التنظيم كهيئة حكومية دعائية، لكن ممكن التعاطي معها، قسم التصوير الغني بالوثائق خاصة الذي يحتوي على أرشفة تصوير يناسب لكتابات استردادية، و يجب أن ينتقل التنظيم ليصبح مبادرا أن يُشغل مصوري الفيديو والفوتوغراف الذين تلقوا امتيازات من جانب النظام الحكومي بالتقديم لقصص بها خدمة للمصالح (الإسرائيلية)، وعليه إعطاء خدمات على مستوى تنظيم إعلامي يعمل على مدار الساعة و هكذا يستطيع أن يندمج في إطار رسائل سيقرر عليها مسبقا وهكذا سيمده بمواد مرئية أو مكتوبة بصورة تخدم المصالح (الإسرائيلية).

على الصعيد الأمني:

استخبارات وحرب نفسية

ومن الصحافة (الإسرائيلية) يظهر أنه يوجد عند الجيش (الإسرائيلي) وحدة صغيرة جدا مع صلاحيات محدودة مسؤولة عن الحرب النفسية في الجيش لذلك يبدو أن هذه الوحدة ليس لها وضع محترم في الجيش، علينا عمل إصلاحات على هذه الوحدة وأن نمكنها من أن تستوعب أسلوب الحرب النفسية على أساس المعلومة التي جمعت خلال السنين ما زالت محفوظة على المستوى التنفيذي في الجيش.

الشاباك والموساد:

بالنسبة لهيئات الاستخبارات الأخرى في (إسرائيل)، نرى أن المعلومة الوحيد الموجودة حول الحرب (النفسية) ملقاة على الموساد، المهزوز بكل تأكيد، لكن حسب الجهد الذي عمل لإسكاته يمكن أن ننسب إليه ثقة معينة، المصدر هو كتاب فكتور اواستروفسكي عن الموساد به مكتوب عن وحدة في الموساد مهمتها تحتوي على بناء القصص الكاذبة في وسائل الإعلام العالمية من أجل التغطية على فشل وأخطاء (إسرائيل)، على سبيل المثال يأتي الكتاب بفشل الموساد في موضوع منع محاولة الاعتداء على غولدا مئير في إيطاليا سنة ١٩٧٣، لا يمكن الأخذ بأقوال الكاتب على بساطتها لكن هذه تقريبا الشهادة الوحيدة لوجود هذه الوحدة في الموساد، الذي بدأ بخطوات صغيرة للتعبير حيث تعد محاولات أولية لتجنيد أناس عن طريق الصحافة وعلاقات مع وسائل الإعلام بصورة غير رسمية وغير مؤسسة مع صحيفتين منفردين مثل يوسي زلمان من هآرتس، وفي الشاباك أيضا هناك نقاشات مستمرة مكثفة بما يتعلق بتشغيل ناطق مهني.

المطلوب أن تتغلب كل هذه الهيئات على التقاليد حتى تجهز نفسها لعصر المعلومة، ويجب تقرير مفهوم " السر " وإسهامه في الأمن للدولة من جديد، و على الشاباك أن يأخذ في الحسبان النتائج النفسية لأعماله التي من الممكن أن تملي طابع الأهداف أو

أن تشكل الأعمال حتى تخفف من تأثيرها، والتفكير بنتائج الحرب النفسية من الممكن أن تساعد أيضا بالتقديرات نحو الهجوم الإعلامي المضاد المتوقع من العدو، حتى يلغي تأثيره. وعلى الموساد إعداد تفكير استراتيجي شامل حتى يتعاطى مع ميراث السرية وتنسيقها وملاءمتها لعصر القمر الصناعي والكمبيوتر المحمول، وكل هؤلاء بحاجة إلى وسائل كبيرة ولكن بالأساس أهميته كبيرة.

الناطق باسم الجيش:

يجب أن تمر وحدة الناطق باسم الجيش بتغيير، ذلك أن حالة الوحدة بعد حرب لبنان والانتفاضتين هو سيء، خاصة أن حجم الوحدة و تطلعاتها تعكس أسلوب عملها السيء على المستوى العسكري، ففي الماضي كان الناطق كأنه ناطق باسم رئيس الأركان وهم من تلقوا جحيم نار الانتقاد حيث عملوا في معظم الأحيان كوحدة رد وإجابة.

كلمة الوصل وهي مدى ترابط المعلومة، فالمعلومة يجب أن تصل خلال دقائق لغرفة الأحداث حيث تحدد الشكل الصحفي والإعلامي لها (إعلان للصحافة مجموعة فيديو، راديو..) ومن هناك ينقل للصحافيين حسب تقدير مهني. على رجال الوحدة يجب أن يكون بحوزتهم الوسائل التكتيكية المناسبة من أجل نقل المعلومة ، على سبيل المثال كمبيوتر يدوي أو مجموعة فيديو أو كمبيوتر محمول و يجب إكمال الدراسات بين الأذرع بشان عمل نظام المعلومة، ومن الممكن ربط الاتصال غير المبرمج بين الوحدات وفي القيادات المختلفة بين خلاف الصلاحيات والخوف من فقدان السيطرة ، رجال الوحدة يجب أن يعبروا إلى مرحلة تأهيل صحافة طويلة في إطار تهيئة أكاديمية أو أن يأتوا من بين خريجي إذاعة الجيش .

ويجب أن نشير أنه حسب التعاطي مع الحرب في الألفية الثالثة فإنه من المهم تخيل الصورة وسط الجماهير المستهدفة ولا تقل أهميته عن الإنجازات على أرض الواقع في الساحة خصوصا خلال الحرب على وتيرة هادئة لذلك لا حاجة لتعيين ضابط لوحدات

مختارة قبل دخولهم مرحلة تأهيلية مهنية في مجال صناعة وإدارة الاتصالات ووسائل الإعلام بدءا من الجندي ونهاية بضابط الوحدة، اليوم وباستثناء الحالات المنفردة، لرجال الإعلام الذين خدموا في وحدة برتبة قيادية، جميع الضباط يأخذون تأهيلا في إطار العمل، الوحدة يتم تعزيزها برجال احتياط كثيرين الذين يعملون كضباط مرافقين، كثيرا من المراسلين الأجانب الذين خدموا في (إسرائيل) موجودون تحت انطباع بأن الكاريكاتير للخدمة في الوحدة هو ليس بتأهيل لغوي أو مهني، بل هو أمر علاقات لذلك يجب تكبير معمل الأيدي العاملة بها، ونشرها بكل الجيش وإعداد أعضائها بحيث يستطيعون إعطاء جواب في كل أنحاء البلاد خلال دقائق. و يجب إعطاؤهم وإسنادهم في الصراع ضد الضباط المحافظين على سرية السر الذي يسبب ضررا أكبر من نفعه. و يجب أن يتأهل رجال الوحدة بصورة مكثفة ويساعدوا الضباط على الأرض وإعطاءهم نصائح عن كيفية عمل لقاءات صحافية (اختيار خلفية، اختيار جمل افتتاحية، الصوت تدريب قبل المقابلة مساعدة بالإنجليزية..) أيضا هنا يمكن تشغيل ضباط ليسوا من مواليد دولة (إسرائيل) سواء أكانوا في الاحتياط أو في الجيش النظامي، وحدة الناطق باسم الجيش يجب أن تعد لإعادة نشر من جديد في كل أنحاء دولة (إسرائيل) خصوصا أيضا في الضفة وغزة، ورجالها يجب أن يكونوا أصحاب صلاحية مشابهة لرجال أمن يتمتعون بقبول مباشر وتعاون في كل مكان بغض النظر عن درجتهم.

شريعة الحرب (الإسرائيلية)

نرى اليوم أن الوضع في المجال النظري شائك جدا. فالتعريف القديم في الجيش (الإسرائيلي) للحرب النفسية تتحدث عن كونها "مجالا ثانويا لحرب الاستخبارات" وهدفها العمل لتغيير مواقف في وسط آخذي القرار أو جنود في ساحة المعركة.ويجب أن نشير إلى أن المصطلح غير الواضح (الحرب الاستخباراتية) مأخوذ من تركة الجيش البريطاني، وعلى كل حال فإن التعريف يحتوي على أساس إذا ما فسرناه تفسيرا واسعا، فهو جديد بأن الحرب النفسية موجهة أيضا ضد الوسط السياسي.

التعريف الجديد للجيش (الإسرائيلي) يعرف الحرب النفسية كحرب تستخدم بها الدعاية من أجل التأثير على مجموعة أشخاص وسط العدو.

وهنا من الممكن تفسير هذا التعبير " وسط العدو" بمغزى واسع ويحتوي الجانب السياسي والتعريف مفيد لأنه يفند التأثير إلى تفاصيل مثل زعزعة الإيمان بالنصر أو زعزعة الأمن الذاتي، عائقها المركزي هو الاستخدام لمصطلح ضبابي مثل " دعاية " من أجل توضيح فكرة معقدة مثل حرب نفسية، التعريف هذا يذكرنا بمحاولة (ديغرتي) في سنوات الخمسين بإعطاء تقدير مناسب، التعريف في هذا الشأن مهم جدا خاصة وأنها تدخل مجال العمل في استخدام رسائل في أرض المعركة، اليوم المجال العسكري والمدني لنقل الرسائل موجود في أيدي عدة عناصر و يفتقر إلى التعاون بينهم.

لذلك يجب كتابة نصوص شريعة الحرب بشكل مفصل حسب ما هو قائم عند سلاح المدرعات أو سلاح الجو من أجل وهج الحرب النفسية في كل أذرع القتال.الآن هناك تحسينات أولية ، بداية يجب كتابة نصوص شريعة الحرب للجيش (الإسرائيلي) وبعد ذلك تكون الكتابة بمشاركة كل الأذرع، التنسيق المطلوب مثل عدة النشر الموجودة بأيدي نفس الذراع (ستوديو طائر أو بحري) القوى البشرية التي يشغلها العدو (جنود أو طيارين) والرسائل المقررة من هذا و النتيجة التنظيمية التي تقرر من هذه الخطوة يتطلب أن تتعاطى بداية في السؤال هل يجب إقامة هيئة عليا لتركيز نشاطات كل سلاح (قوة) أو وحدات منفردة لكل ذراع يأخذون المساندة من سلاحهم، لكل صورة تنظيمية فوائد ونواقص.

كتابة شريعة الحرب ستأتي بربح إضافي، والعمل بمبدأ شريعة الحرب سيلزم بتوجيه أسئلة صعبة لعناصر كثيرة في الجيش وفي الأجهزة الأمنية، هذا الشيء من الممكن أن يكون باعثا يشجع التفكير وإعادة التنظيم من جديد في جهاز الأمن.

إن وزارات الإعلام تحاول مواجهة التحديات نتيجة التزود في الأفكار الخلاقة والمدهشة بدون توقف، حيث تم تطوير أساليب مختلفة للطموح، بتشغيل أناس عباقرة

خاصة في مجال إجراءات اللقاءات الصحافية، والجيش وأجهزة الأمن بحاجة لإنشاء أجهزة لمهمات متشابهة وسيكون تأهيلهم أعقد بكثير لأنهم بحاجة إلى تدريبهم على جميع فروع وفصول الحرب النفسية في السياسة الشرق أوسطية وستكون مهمة هؤلاء تزويد هذه الأجهزة في الأفكار بدون تردد أو توقف وذلك من أجل تحقيق الأهداف المركزية لِلحرب النفسية والقصد من ذلك أن نجعل العدو في وضع الدفاع وليس المبادرة في الهجوم.

وهذه هي الاستراتيجية التي يتبعها الفلسطينيون مثل إعلانهم عن أسماء ضباط كبار في الأجهزة الأمنية بأنهم مجرمو حرب، وكانت النتيجة غير المباشرة والمفيدة وهي في خارج البلاد حيث أشغلت الأجهزة القضائية في الجيش (الإسرائيلي) ووزارة الخارجية.وهذه الطواقم تستخدم في التكهن لسيناريو الحروب النفسية المختلفة، فهم مستخدمون كمندوبي الشيطان ويتنبأون بأوضاع لاستغلالها في الحرب النفسية.

مشكلة عملية متوقعة تكون بعد فترة عمل معينة حيث يبدأ الضابط حديث العهد في الدخول إلى المرحلة البرجوازية " قبل تعرض عملية الإبداع لديه بالتعرض للنقص " لذلك يجب تخصيص فترة مناسبة يكون بعدها الصحفي ترك وظيفته ومن المعلوم أنه من الممكن أن يتم وضعه في مهمة أخرى من وحدات الحرب النفسية.

إن المهمة الصعبة والمركزية هي في استخلاص وبث الرسائل في زمن قصير من لحظة الحصول عليها من ساحة المعركة حيث الحاجة والفرصة لإرسال رسالة مهمة إلى العدو، وعلى الأرض فإن الرسائل (خاصة البيانات) تلقى على العدو بحالة يتم التخطيط لها مسبقا، وإن تجهيز البيان يتطلب وقتا طويلا، ففي البداية يجب تحديد الحاجة على الأرض (الأمر الأكثر بساطة هو الدعوة للاستسلام) ويجب التجهيز والربط بين الفكرة المرسلة حسب القواعد العامة والتي تحترم شجاعة العدو حيث يتم إشغاله في التفكير في نجاته والإجابة حول الخشية من السقوط في الفخ.

وبعد ذلك يجب بث معلومات معروفة لنا عن العدو مثل أسماء قواد هامشيين متوسطي الرتب وأسماء قتلى وعن أهداف العدو، وذلك من أجل مفاجأته بمعرفتها، ومن أجل ذلك يتطلب الأمر الاتصال بأذرع المخابرات، وإن كان توجها شخصيا فإنه يتطلب توقيعا من الضابط الكبير في المنطقة وحينها من الممكن طباعة هذا البيان على الورق، ويمكن بث هذا البيان عن طريق الطائرات المروحية ويجب الاتفاق والتنسيق مع سلاح الجو حول الوقت ومكان التوزيع، وهذا تحدي لوجستي وعقلي ليس بالبسيط.

من جانب آخر فإن المكاسب المتوقعة من هذا البيان تكمن في إضعاف معنويات العدو والرضوخ والاستسلام والهروب من الجيش ونتائج أخرى تؤدي إلى حقن أرواح البشر.

ولذلك يجب دراسة الترتيب المقترح للنهوض بحالة ضابط العمل في الحرب النفسية لوحدات المشاة وإنشاء وحدة عسكرية تقدم خدمات لكل الوحدات في المنطقة ويعتبر استخلاص الرسائل في المجال التكتيكي رسائل عن طريق مكبرات الصوت أو عن طريق رسائل مكتوبة، رسائل البث عن طريق مكبرات الصوت هي الأسهل في الاستخلاص والحصول عليها، لذلك يجب وضع نصوص الهدف حسب القواعد العامة والمقبولة وحسب الوضع القائم في المنطقة ويجب بثها بصوت ونطق ولهجة صحيحة، أما البث فيمكن أن يقوم به جنود من الصفوف، وأن الرسائل المكتوبة يمكن نقلها للوحدات من خلال البريد الالكتروني ويتم طباعته أو تصويره ويتم إلقائه من الطائرات أو عن طريق قذائف الهاون.

تكنولوجية – النشر والتأهيل

إضافة إلى الأساليب القديمة من نشر الرسائل التي كانت بدايتها الحرب العالمية الأولى يكمن الهدف في التطور التكنولوجي لإيجاد وسائل جديدة في إرسال وبث المعلومات وليس هناك أدنى شك أن الحروب المستقبلية وخاصة (الإسرائيلية) سيكون فيها الجنود مرتبطون بمواقع الإنترنت، ومراكز المعلومات وذلك من أجل جمع المعلومات

في الوقت المناسب وسيستغل الجانب الآخر التطور التكنولوجي من أجل تمرير معلومات تضر بالمعنويات أو رسائل مضللة، ولذلك يجب الانتباه لهذا الأمر وقبل أي شيء يجب الاهتمام بمركز المعلومات حيث يستطيع الجنود وأبناء عائلاتهم وبقية المواطنين الحصول على معلومات واقعية وصادقة، وفي حالة تطور الدول العربية من الناحية التكنولوجية المدنية، ستكون الحاجة لتقديم مواد معلوماتية تخدم أهداف خاصة في أوساط جنود ومواطني العدو.

وإن كان هناك مواطنون هم معنا على دعوات اتصال وتواصل فمن الإمكان إيجاد طريقة لنقل هذه الرسائل لهؤلاء وننظر إلى خارطة الإنترنت في جميع الدول العربية التي لها صلة مباشرة في الموضوع وتمرير الرسائل لهم.

إضافة إلى الدول العربية يجب أن نتوجه إلى الدول المختلفة ونقوم بتجهيز قوائم البريد الإلكتروني في هذه الدول خاصة حول الرأي العام من أجل إرسال رسائل حول الرأي العام تكون مجهزة سابقا و SMS بواسطة الهاتف الخليوي هي أداة أخرى، فمن الممكن الوصول إلى هذه القوائم بطرق بسيطة . كذلك واسطة تكنولوجية أخرى هي إنتاج أشرطة (كمبيوتر"إسطوانات") برسائل مختلفة، على اعتبار أنه في ساحة المعركة المستقبلية سيكون للجنود العرب أجهزة كمبيوتر محمولة كما هو لقادة الجيش (الإسرائيلي)، وإن بث الرسائل تكون عن طريق شاشات كبيرة أو عن طريق الليزر، وإن مثل هذه الأجهزة موجود في استعمال العوام خاصة في قاعات الأفراح والنوادي الليلية.

نقل الرسائل –بواسطة الإعلام المدني

الراديو والتلفزيون

ويعتبر الراديو وسيلة إعلام ناجعة في نقل الرسائل ووضع تحت الخدمة السياسية في الثلاثينيات من القرن الماضي باعتباره وسيلة رخيصة التكاليف وسريعة البث والإنتاج ويمكن من خلاله بث رسائل مسجلة مسبقا ومن أجل ذلك علينا تحديد الترددات

والإعلان عنها. وبإمكان محطة الراديو البث لأغراض معينة عن طريق المحطات (الإسرائيلية) الحكومية الرسمية، ومن الممكن إنشاء محطة إضافية معلوماتية للدول العربية في زمن الحرب وفي زمن السلام.

أساس العمل مهم جدا في الحفاظ على الأمانة. فيمنع بأي شكل من الأشكال بث معلومات غير صحيحة، وينطبق هذا المبدأ على التلفزيون، فليس من السهل على (إسرائيل) أن تحافظ على الصدق والأمانة حول ما يتعلق بالدول المعادية، لأن بث هذه المحطات سيتم مهاجمتها باعتبارها محطات لبث الدعاية المعادية، وأن الهدف الذي تسعى إليه هو أن يتعلق المشاهد العربي بهذه المحطة، وليقل بقلبه إنه يعرف أن هذا البث هو للدعاية الإسرائيلية البغيضة لكنه مهتم أن يتطلع إلى هذا البث وأن يحتفظ بها لنفسه، وأن يقتنع بهذا ولذلك يجب بث برامج على مستوى عال.

وحول ما يتعلق بالبرامج فإن الانحراف من جانب أناس غير مهنيين لإنتاج برامج "استعلامية " (إسرائيلية) مضرة لذلك علينا أن نمتنع عن هذا الأمر، ويجب أن تكون الرسائل بصورة غير مباشرة والمقصود هنا أن لا نقوم بإنتاج أفلام عن الديمقراطية في (إسرائيل)، ولكن دراما تشمل تصويرا للمظاهرات الكبيرة، وان لا نتكلم بالتفصيل عن مستوى الحياة العالي في (إسرائيل) لكن يتم عرض مشاهد من المطبخ عندما تكون خلفية الصورة للرفوف في المطبخ مليئة بالأشكال والألوان المتعددة وإن الوضع البائس اليوم يكمن في أن جميع المحطات التي لا تبث بالعبرية تصارع بصورة أو بأخرى من أجل البقاء، إن محطة الراديو "صوت (إسرائيل) بالعربية " تتعرض لصعوبات مالية وأزمة موظفين على الرغم من الاستماع الواسع في العالم العربي لهذه الإذاعة، ويضطرنا وضعا كهذا على التغيير الجذري، وتبين بعد إنشاء محطة فضائية عربية تدار من قبل (إسرائيل) أنها قد أثارت القلق لدى الفلسطينيين.

شبكة الإنترنت

ليس سرا أن الفلسطينيين وحزب الله تفوقوا علينا في مجال الإنترنت، إن المواقع (الإسرائيلية) غير مجهزة و غير ثابتة ومتميزة بالاهتزاز، في حين أن المواقع الفلسطينية ومواقع حزب الله متميزة بالصور والأفلام.

من الأكيد أن الصور المرئية نابعة من قراءة صحيحة للواقع، والزائرون لمواقع الإنترنت لا يبحثون عن المقالات المفصلة لكنهم يبحثون عن حاجات فورية، فمن خلال استثمار بسيط تستطيع (إسرائيل) أن تتطور في حضورها على شبكة الإنترنت من خلال بناء مواقع ومن خلال إقامة جهاز مساندة لإقامة مواقع للتعاطف والتزود المستمر للمواد المرئية.

ويدخل إلى هذه المواقع (الإسرائيلية) طلاب من العالم العربي، كما يدخل إلى المواقع العربية نظراؤهم (الإسرائيليون) انطلاقا من هذا التصور وليس فقط من باب الالتزام الأكاديمي.واليوم فإن هناك قوة بشرية مدربة على مستوى عالمي تبحث عن عمل بأي ثمن، فيجب استغلال هذا الخيار لتطوير الحضور (الإسرائيلي) في الإنترنت والإجابة والمبادرة في بث الرسائل التي تسبب القلق الكبير في صفوف العدو.

وفي الختام فإنه من المعلوم أن النشاطات الإعلامية التي ذكرت أنفا تتمحور حول التأهيل العام والواسع للطاقة البشرية في مجالات الإعلام المتعددة، و على الرغم من الاعتراف بأهمية ذلك و معرفة مدى تأثير هذه الوسائل خاصة التلفزيون، فلم يبذل أي جهد حقيقي ومركز لتأهيل مندوبين إيجابيين.

إن أول من فهم أهمية التأهيل المهني لوسائل الإعلام التلفزيوني كان (بينيامين نتنياهو) ولحق به آخرون ، ويبدو أن معظم الشخصيات العامة وضباط الجيش الكبار يتطورون في أوساط السكان (الإسرائيليين).و يوجد القليل من بينهم يستطيع إجراء لقاء صحفي لجهة أجنبية وليس فقط بسبب مشكلة امتلاك لغة أجنبية لأن الظهور في التلفزيون يتطلب ملاءمة للتصوير وقدرة على الحديث باختصار ولغة تصويرية وهدوء أعصاب كل هذه الأمور ماعدا (فن التصوير) يتطلب تدريبا طويلا.

لذلك يوجد ضرورة ملحة للدولة أن تستثمر في مجال استغلال تأهيل أناس في تعلم لغات متعددة أجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية والعربية لا تقل عنها بالأهمية، فهذه نقطة حساسة تمس كبرياء الجماهير، لكن ليس هناك مهرب من المواجهة التلفزيونية، الفلسطينيون يعرضون ناطقين سلسين مثل (حنان عشراوي) في حين أن عددا كبيرا من أصدقاء (إسرائيل) في خارج البلاد تحمر وجوههم وتكفهر عندما يتم إجراء مقابلة صحفية مع (إسرائيلي) رفيع المستوى في التلفزيون المحلي.

تعتبر المواجهة التلفزيونية وسيلة إعلام مشهورة ومنتشرة مفيدة تتطلب تدريبا مركزا والنجاح في هذا الصراع هو في حكم الواقع حلم بعيد المنال.

الخلاصة

وهكذا تم استعراض المشاكل الهيكلية للحرب النفسية في (إسرائيل) وطرق وإمكانية حلها، ويكمن مصدر المشكلة في الفهم والوعي، ومصدره الابتعاد والنفور اليهودي والديمقراطي من موضوع الدعاية، وإن صفة التصور الأمريكي في الوقت الأخير للمعلومات، في المجال الدبلوماسي وفي ساحة المعركة يعتبر على درجة عالية من الأهمية وعلى جميع الأجهزة أن تعمل في تنسيق كامل، وتم الإفصاح عن عدة وسائل وأحداث مختلفة لاستخدام المعلومات حول الحاجة في التأثير على الجماهير، وفي نطاق النزاع (الإسرائيلي) العربي استخدم الفلسطينيون وحزب الله هذه الأساليب وحصدوا نجاحات متعددة، فهم من دمجوا بين التصميم والحزم والاستعداد والاعتراف الحضاري، فمن مبادرات جذابة وبواسطة وسائل بسيطة نقل ومرر الفلسطينيون رسائلهم (لإسرائيل) والعالم.

إن السنوات المتتالية من الإهمال ونقص الوعي والإدراك (الإسرائيلي) ساهمت في عدم قدرة الأجهزة في القيام بأي إبداع مناسب.

وإن البحث يقترح إطارين تنظيميين وتفصيل المهمات المراد معالجتها مثل الدراسة الثقافية، وعلى التعاون الاستخباراتي وتأهيل الطاقة البشرية المناسبة، أن يمر من خلال تغيير جذري للتصوير والإدراك، ومن زمن حرب الخليج تغير أسلوب الحرب، في حين أنه من الناحية التكنولوجية فيوجد في (إسرائيل) تفاهم حول ضرورة التجهيز في المعدات، قانون الحرب والطاقة البشرية، ومن الواضح أنه في مجال استغلال الحرب النفسية لأهداف حربية فإنه يوجد انتكاس متواصل.

جيوش كثيرة على مستوى العالم تستثمر جهودا لتطوير ودمج قانون الحرب النفسية بعد فوات الأوان، تحقن الدماء ونعتبر أخلاقيا أكثر، فمن الأفضل استخدام عملية الإقناع، وهذا مجال يتطلب تدريبا وإبداعا، لكن المصادر المالية تعتبر قليلة نسبيا، إن التجاهل والحداد يعبران عن الرفاهية والرخاء و(إسرائيل) لا تستطيع أن تسمح لنفسها به، فيجب العودة لمصادر الاستخدام حيث ساعد حتى الآن نحو الاستقلال، فيجب المواكبة وتنسيق العمل في هذا المجال، فالمصادر مكشوفة والمواد موجودة وسهل الوصول إليها، فهي موجودة في الأرشيف في المكاتب وعند المتقاعدين من الأجهزة المختلفة في البلاد وخارج البلاد.

فعلينا النهوض والخروج من التصور "السر" المحيط والمكتنف حول موضوع كالحرب النفسية والأجهزة الأمنية ولنبدأ بالتعرف على حقيقة القوة وتأثيرها النفسي في النصر.

الفلسطينيون الذين لا يملكون الوسائل العسكرية والتكنولوجية المتطورة فهموا من خلال خبرتهم السابقة ومن خلال تجربة الآخرين واستغلالها جيدا لصالحهم.

لم يبق لدينا إلا أن نعترف بالحقيقة وهي أن نتعلم من الفلسطينيين، وأن نعيد النظر سريعا والعودة إلى حرب محتملة.

●●●

وأخيرا ما الذى يجب أن يفعله العرب فى هذا المقام:-

مقاومة الحرب النفسية

ويمكن تلخيص أساليب مقاومة الحرب النفسية فيما يلي:-

١ - عدم إذاعة الأخبار والمعلومات عن الظروف العسكرية والاقتصادية والاجتماعية للوطن وذلك لأن العدو يحاول جمعها والاستفادة منها كما يجب الاحتفاظ بوجه خاص بأسرار الوطن حتى لا يلتقطها الأعداء.

٢ - القيام بعمل إيجابي فعال في ميدان التوعية القومية وتنفيد الإشاعات المسموعة بالاستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية والحقائق الملموسة الواقعية التي تحض الشعب ضد سموم الإشاعات المغرضة التي يروجها الأعداء وذلك بعقد الندوات والقاء المحاضرات في التوعية والإرشاد القومي.

٣ - العمل على تنمية الشعور بالثقة بالنفس وكذلك الإيمان بالله وبالوطن فإن الثقة بالنفس أساس كل نجاح كما إنها الدعامة القوية التي يقوم عليها صمود الشعب واستمرار نضاله وغرس القيم الدينية والخلقية حتى لا ندع الفرصة لتسرب المبادئ الانهزامية.

٤ - الدعوة لمواصلة الكفاح والصمود وعدم اليأس وحث الناس على المساهمة الإيجابية في المعركة كل في موقعه، فالعامل والموظف والفلاح كل يستطيع أن يضرب بمعوله في الإنتاج الذي يرتد أثره ولا شك على الجندي الرابض على خط النار، فان الجهاد في الإنتاج لا يقل أهمية ولا شرفا عن الجهاد في ساحة القتال.

٥ - الاهتمام بالتدريب العسكري وكذا على أساليب الدفاع المدني، لأن التدريب من شأنه أن يبعث على الثقة بالنفس والاعتزاز بها كما يقوي

الإحساس بالقدرة على مواجهة الخطر وعلى تزكية روح المبادرة في مهاجمة وإلحاق الهزيمة بالعدو.

٦ - التوعية المستمرة لأفراد الجيش بنوايا العدو وأهمية الدفاع عن الوطن ويلاحظ أن أي نقص في الإعلام لجنودنا ما هو إلا مدخل للدعاية التخريبية للعدو.

٧ - تنمية العلاقات الودية والصريحة بين القادة والمقاتلين حتى تسهل مكافحة الدعاية التخريبية للعدو، واستغلال جماعات الإعلام في الوحدات لمعاونة القائد في تنفيذ مهام توعية الأفراد وهم أفراد منتقون من بين المقاتلين على درجة عالية من الكفاءة والذكاء والشجاعة ويحظون بإعجاب زملائهم.

٨ - بث الروح الهجومية لدى المقاتلين أثناء التدريب وكذا الانضباط العسكري وروح الفريق وهي عوامل فعالة لمكافحة الدعاية التخريبية للعدو.

●●●

15

الفصل الخامس عشر

الحــرب النفسيــة الصادقة والكاذبة!!

في خطابه الذى اختتم به احتفالات الانتصار على العدوان الاسرائيلى على لبنان صيف عام ٢٠٠٦ شن الأمين العام لحزب الله حربا نفسية "صادقة"-حسب وصفه- على الجيش والمجتمع الاسرائيلى، معلنا أن الحرب إذا اندلعت من جديد (وهو لا يريدها ولا يتمناها -حسب قوله أيضا) فإنه سيكون هناك مفاجأة ستغير وجه الصراع والأوضاع الاستراتيجية في المنطقة.

وإذا كان نصر الله قد أعلن أنه لن يعلن عن مفاجأته --وإلا لما أصبحت مفاجأة، حسب قوله -وكذا إذا كان من غير الجائز المساهمة في التحليل والبحث فيما هى تلك المفاجأة (ذلك أمر يهتم به الجيش والمجتمع الإسرائيلى) فإن الأهم هو ما الذى مكن نصر الله من أن يتحدث بهذه الثقة، ومن أن يحدث إعلانه دويا في المنطقة وفي داخل إسرائيل إلى درجة أن الخيال الشعبى فعل فعله حتى وصل ببعض البسطاء إلى حد الجنوح إذ تصور بعضهم أن نصر الله أصبح يمتلك أسلحة دمار شامل.

وفي إعلان نصر الله عن المفاجأة وحديثه عن الحرب النفسية الصادقة، فنحن أمام أمرين، الأول، هو تلك الإمكانيات العسكرية التى تتيح لأمين حزب الله أن يتحدث عن مفاجآت عسكرية في مواجهة أشد الدول امتلاكا للتكنولوجيا العسكرية في منطقة الشرق الأوسط، إذ الرجل لا يتحدث عن مفاجآت نفسية ولا عن مفاجآت في قدرات جيش دولة يحارب بالدبابات والطائرات، وإنما هو يتحدث عن مفاجآت "مقاومة"

يمثل امتلاكها لعنصر المفاجأة التكنولوجية واحدة من أهم دلالات التحول والتغير في الصراع الدولى وفي المواجهة مع إسرائيل في المرحلة الراهنة.

القضية هنا ليست فقط امتلاك حزب الله في حد ذاته لتلك التكنولوجيا، وإنما في مصدر تلك التكنولوجيا التى تمكنه من أن يتحدث عن مفاجآت في مواجهة أشد الدول قدرة على صعيد القدرات التكنولوجية ذات الوزن الإستراتيجى.

الدلالات الأهم هنا في الحسابات الإستراتيجية، هى أننا أمام عودة جديدة إلى سباق تكنولوجيا التسلح بين مصدرى السلاح في العالم بما يعنى أننا بتنا نشهد انفتاح المواجهات الدولية عبر أطر محلية أو إقليمية، بما يذكر بالصراع بين التكنولوجيا الروسية ونظيرتها الأمريكية خلال مرحلة الحرب الباردة، حين كانت الدولتان في صراع على صعيد مستوى التطوير التكنولوجى في المجالات العسكرية. ووقتها وضع الإنتاج السوفييتي (الروسى) في اعتباره طبيعة محددة للمشترين وهم المقاومة والدول الضعيفة في العالم، بما جعل الإنتاج يأتى مناسبا لاستخداماته عند مستخدميه، ولذلك أنتج الكاتيوشا وصواريخ سام ٧ التى يتعامل بها الفرد مع طائرات الهليكوبتر. وفي المقابل كان الإنتاج العسكرى الأمريكى مركزا على الأسلحة الأشد تقدما تكنولوجيّاً وفي الهجوم خاصة.

ومن ثم فنحن أمام مفاجآة جديدة للأسلحة "الشرقية" تأتى استكمالا لتلك المفاجآت التى أنتجتها وظهرت قدراتها في المواجهة الأخيرة بين حزب الله وإسرائيل على مستوى القدرات الصاروخية ارض -أرض، وعلى مستوى القدرات الصاروخية "أرض -بحر" التى مكنت مجموعة صغيرة من المقاومة من أن تصيب بارجة حربية في عرض البحر وهى الأشد تقدما وتطورا.

والأمر الثانى، هو أن الأمين العام لحزب الله، لم يكن له أن يستخدم تلك اللغة، وأن تحقق كلماته تاثيرا حقيقيا، لولا اعتماده أسلوب "الحرب النفسية الصادقة" خلال العدوان الإسرائيلى الأخير على لبنان. من يراجع خطابات نصر الله والإعلام

الحربى لحزب الله عموما خلال تلك الحرب، يلحظ بوضوح أنه لم يذكر الإعلان عن اصابات لم تقع في صفوف الجيش والمجتمع الإسرائيلى، كما هو لم يلعب لعبة التهوين من قدرات خصمه أو التهويل من قدرة المقاومة. اعتمد نصر الله على فكرة الحرب النفسية الصادقة طوال المعركة وبعد المعركة، وكان مؤشرها الأهم هو لحظة الإعلان عن قصف المدمرة الاسرائيلية ساعر ٣، التى جرى الربط الزمنى فيها بين الإصابة والإعلان عنها على لسان الأمين العام، لأجل تأكيد صدقية ما يقول دوما وبالدليل، كما ضمن الحرب النفسية الصادقة أشاد نصر الله "بالدولة الصهيونية" حين أجرت تحقيقاتها حول أسباب الهزيمة التى جرت لها في المواجهة مع حزب الله، إذ كان القصد من الإشادة استمرار جذب المتابع الإسرائيلى لكلماته وإظهار أنه رجل يقول الصدق حتى ولو عن عدوه.

وفي كلا الأمرين، فنحن أمام تجربة جادة لاشك في ذلك، تطرح نمطا متميزا من المقاومة التى تخطط وتمارس فعلها وفق أسس وخطط علمية ومدروسة، كما نحن أمام مفارقة استراتيجية مهمة، إذ إيران في ذلك قد قدمت لحزب الله كل الإمكانيات حيث لا ينبغى إغفال الجهد والدور الايرانى في تلك القدرات والإمكانيات.التى امتلكها حزب الله -دون إنكار أن الأساس في النصر هو في لبنان حيث المقاومات لا تصنع أبدا ولو سخرت لاجل هذا كنوز الدنيا -والأصل في عدم الإنكار هو رؤية فعل الآخرين لا نقد الفاعل الإيجابى!

لا حرب عسكرية دون حرب نفسية مرافقة، بل إن الحروب النفسية هى حروب تقع قبل الفعل العسكرى وتستمر بعد انتهاء المعارك العسكرية ذاتها.

ومنذ عرفت البشرية فكرة العنف والقتل الجماعى لتحقيق أهداف معينة، جرى استخدام الوسائل النفسية في التأثير على المقاتلين الخصوم لإخافتهم وزرع الرعب في قلوبهم وافقادهم الإرادة على القتال سواء عبر استخدام الأصوات المخيفة أو من خلال استخدام حيوانات قوية مخيفة وغير معروفة للمقاتلين الخصوم، خلال القتال.. الخ.

كما كان الجواسيس أو الطابور الخامس هم الأشد خطرا على الجيوش والمجتمعات إذ هم من كانوا يشيعون الرعب في النفوس قبل بدء المعارك. ومن بعد استخدمت الدول في الحروب النفسية كل المنجزات البشرية في مختلف العلوم الإنسانية (علم الاجتماع وعلم النفس.. الخ) في تلك الحروب، بما جعل الحروب النفسية تتوسع في وسائلها وأنماطها وفي تأثيراتها، وفي ذلك باتت الوسائل التكنولوجية في مجالات علوم الاتصال والإعلام هى الأشد تاثيرا وقدرة في مجالات تلك الحرب.

وأهمية الحرب النفسية تأتى من أنها واحدة من أهم وسائل تحقيق النصر في الحرب، حيث الحروب هدفها النهائى ليس قضاءأحد الجيشين المتقاتلين على الآخر وابادته، وإنما الاساس هو افقاده الإرادة على القتال ووصول المجتمع والدولة والجيش المعادي إلى تصور بعدم القدرة على مواجهة الآخر، وبأن الآخر حتما سينتصر، بما يجعلهم يفقدون القدرة على المقاومة ويقررون الاستسلام.

وتعتمد الحرب النفسية في فكرتها المبسطة على تحويل الخوف الإنسانى الطبيعى (الذى هو جزء من مكون النفس البشرية) إلى حالة جماعية، وجعل الخوف هو المسيطر على القرار في مجتمع بأكمله وعلى جيش وقادته، من خلال تعميق الشعور لدى المجتمع والدولة والجيش بضخامة قدرات الخصم وبأن لا سبيل إلا الانكسار أمامه لإنقاذ الحياة.

وتتحقق الظروف النموذجية لنجاح الحرب النفسية من قبل المعتدين والمحتلين، حين يكون الجيش الغازى أو المعتدى، قد حقق انتصارات سابقة حاسمة في أوقات قصيرة، كما النماذج الأشد تأثيرا هى تلك التى يجرى فيها الجمع بين الانتصارات والمذابح التى تستهدف المدنيين لإحداث الذعر في المجتمع ولإضعاف الجبهة الداخلية خلف الجنود، بما يؤثر عليهم في جبهات القتال، سواء من زاوية القلق النفسى على أسرهم وممتلكاتهم أو من زاوية الشعور بقدرة العدو على الوصول إلى داخل الوطن، بما يفقد الثقة في قيادة الدولة والجيش.

وفي نماذج الحرب النفسية وتاثيراتها، فقد قامت الدعاية النازية على فكرة ومنظومة من الكذب المتراكم وفق نظرية اكذب اكذب حتى يصدقك الناس. والقصد هنا هو فكرتان، الأولى، هى استخدام الكذب وسيلة في الخداع والتأثير على نفسية الشعوب والمحاربين، والثانية هى أن تكرار الفكرة أو المعلومة الكاذبة واستمرار ترديدها بوسائل متعددة ومن مصادر مختلفة، يحولها إلى حقيقة في أذهان المتابعين أو المتلقين لها.

كما من نماذجها وكما ذكرنا، ما جرى بعد حرب عام ٦٧ ضد الشعوب والدول العربية، حين جرى استغلال نتائج الحرب في تصوير الجيش الإسرائيلى بأنه الجيش الذى لا يقهر -مع التركيز على أن الأمر لا يعود إلى طبيعة السلاح الذى يمتلكه ولا بسبب أخطاء القيادات العربية-وهو ما تطلب قبل حرب أكتوبر مواجهة نفسية عميقة لإنهاء تلك الاسطورة، سواء من خلال التشديد على أهمية ضرب المدمرة الإسرائيلية إيلات باعتبارها كاشفا للقدرة على توجيه ضربات ناجحة أو من خلال التركيز في متابعة الأعمال المقاومة -تلك التى كانت تجرى من منظمة سيناء العربية في الأراضى المصرية المحتلة -على أن كل قتال جرى وجها لوجه مع الجندى الصهيونى كان يهرب فيه أو يقتل وأنه فقط قوى بما يمتلكه من وسائل التكنولوجيا.

وكان أوضح نماذج الحرب النفسية حدة في المرحلة الأخيرة، هو ما جرى منذ بداية التحضير للعدوان الأمريكى على العراق وحتى الآن. في تلك الحرب، استخدمت الدعاية السوداء (حرب الشائعات) على أوسع نطاق، كما استخدمت حالة القدرة الأمريكية التكنولوجية في تحقيق أهداف الخوف للمواطن والجندى العراقى، وكذا استخدمت أشد أنواع التخويف "دهاء". في استخدام الدعاية السوداء فقد كانت شائعة هروب الرئيس العراقى صدام حسين في بداية الحرب واحدة من نماذجها لهز الثقة بين الجيش والشعب وقيادة الحرب. وفي استخدام القدرة التكنولوجية لإحداث الخوف والهلع الإنسانى، كان اختيار مصطلح الصدمة والترويع جزءا من تلك الحرب النفسية المعتمدة على التهويل في القدرات التكنولوجية (ولذلك قدم أسامة بن لادن تجربة تورا بورا لتأكيد فشل التكنولوجيا وإمكانية التغلب عليها).

كما كانت "عملية" الكشف عما جرى في سجن (أبو غريب) أحد أبرز وسائل الدهاء في الحرب النفسية، إذ استهدفت العملية إرهاب المواطنين العراقيين نفسيا وردعهم عن الانخراط في المقاومة، مع أقل الضرر للسمعة الأمريكية، إذ جرى تخطيط العملية لكى تظهر مدى بشاعة التعذيب من ناحية ولتؤكد كيف ألن الصحف الأمريكية تتمتع بحرية في كشف ممارسات الجيش الخاطئة، ولتؤكد في النهاية أن الجيش الأمريكى، لا يسمح بوقوع تلك الجرائم، وأنه فورا يحقق فيها ويحاسب مرتكبيها. (تحقيقات وهمية بقصد التحقيق في حد ذاته).

لا شك أننا هنا أمام فارق حضارى مهم في تصور الحروب النفسية، كما نحن أمام نمط من أنماط الحرب النفسية التى تنطلق من ضعف مطلقها وحاجته أن يكون صادقا ليُصَدَّق.

فى الجانب الأول، يبدو أن الفهم والرؤية الحضارية، هى أحد عوامل أخذ حزب الله بفكرة الحرب النفسية الصادقة، وهى معالجة لا شك أفضل أخلاقيا وأكثر حضارية وأشد ارتباطا بمفاهيم الحضارة الإسلامية، من تلك القائمة على الكذب أو على استخدام المذابح للآمنين في ترويع الآخرين.. الخ.

وفي الجانب الثانى، فان الضعيف اذا كذب، فهو لن يُصَدَّق، كما أن النتائج ستكون كارثية. فإذا تصورنا أن حزب الله فعل نفس ما جرى خلال عدوان عام ٦٧، من إعلانات مفبركة عن خسائر إسرائيل في الطيران (مثلا) وفي عدد القتلى من الجنود الإسرائيليين، فإن ذلك لن يصدق على المدى القصير أو الطويل، كما أن نتائجه ستكون وخيمة على الحزب في داخل لبنان وفي المنطقة العربية التى راهن على دعمها الحزب خلال الحرب.

استهدف الصدق في الحرب النفسية التى اعتمدها حزب الله، أن يصل المواطن الإسرائيلى إلى تصديق عدوه بأكثر مما يصدق قيادته السياسية والعسكرية ووسائل إعلامه وأن يتوجه إلى خطابات نصر الله ليعرف الحقائق.

كما استهدف حزب الله من الصدق في معلومات الحرب النفسية، أن يجدد الشعب اللبنانى ثقته في حزب الله وزعيمه حسن نصر الله -بأن إنجاز إجلاء القوات الإسرائيلية لم يكن آخر الطريق، ليصل به إلى حالة التصديق الشامل على حساب الحكومة اللبنانية والفرقاء الآخرين.

كما استهدف صدق حزب الله في الحرب النفسية، أن تعود الثقة للإنسان العربى الذى لحق به أشد الأذى "نفسيا" في علاقته بالبيانات التى تصدر خلال الحروب أو عنها، وبعد أن صدم أشد صدمة حين جرى احتلال بغداد في عام ٢٠٠٣، وقد كان يأمل في معركة طويلة حولها على الأقل. وربما استهدف حزب الله من خلال الصدق أن يقدم البديل أمام كل الفئات والطوائف.

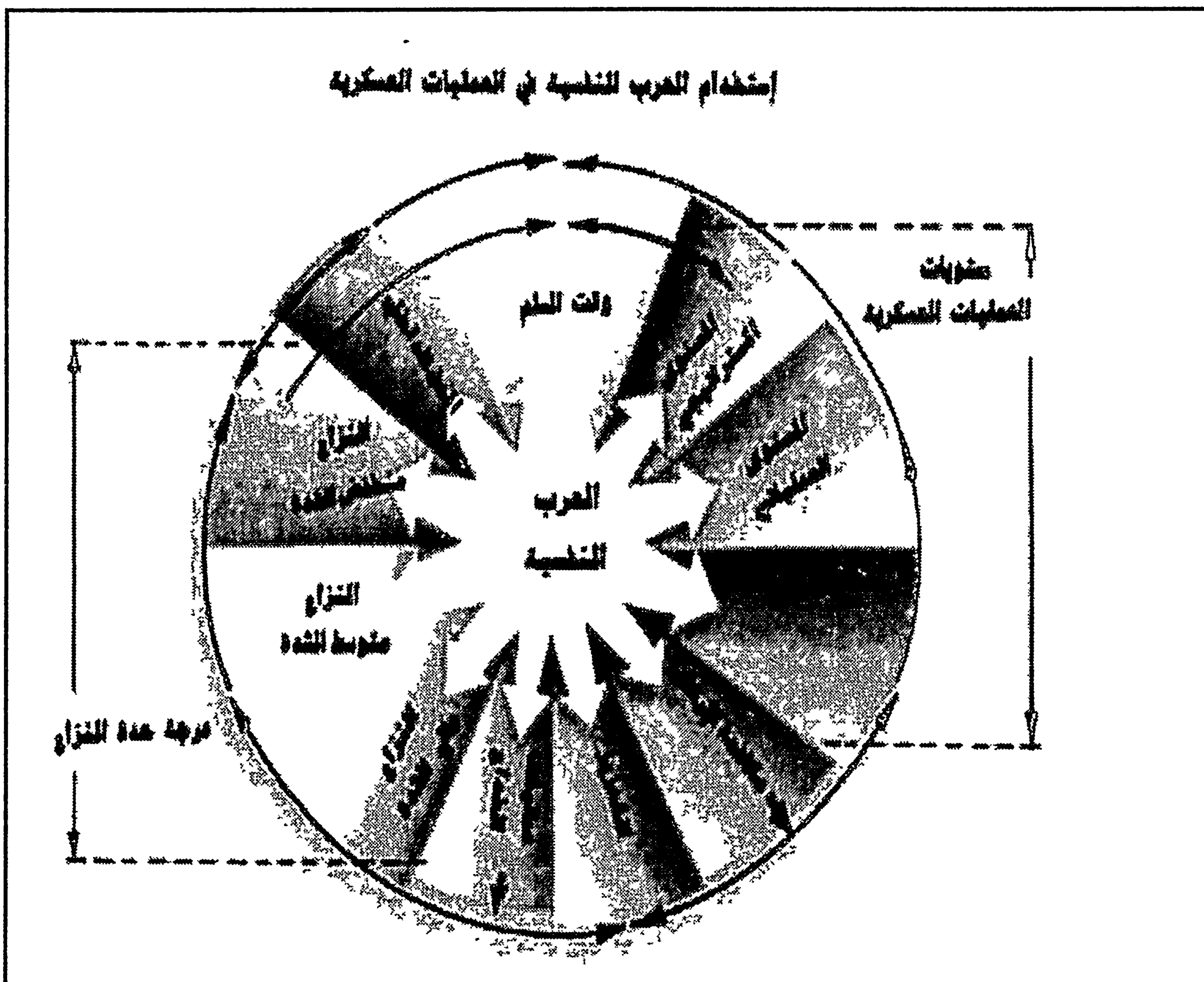
على الطرف الآخر فإن المتابع للقدرات الإسرائيلية - لا الصورة الإسرائيلية فقط - يجد أنها بدت في أضعف حالاتها في مواجهة الحرب النفسية الصادقة. ربما ذلك يعود إلى أن إسرائيل بكل مكوناتها باتت في حالة تراجع في قدراتها الحضارية الشاملة وهو ما يؤكده ما جرى في جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ حين جرت عملية الانسحاب من الجنوب وفق أشد الانماط اضطرابا. وربما يعود لأن الوهم والأسطورة التى جرى ترويجها من قبل حول القدرات الأسطورية للجيش الإسرائيلى كانت قد ارْتَدَتْ تصديقا للنفس في إسرائيل، فجرى ابتلاع نفس الطعم الذى قدم للآخرين.

لقد شاهدنا إسرائيل خلال تلك الحرب في أسوأ انواع ممارستها للحرب النفسية إلى درجة أن فرضت حالة من الرقابة على أجهزة إعلامها وجميع أجهزة الإعلام الخارجى في داخلها، بما كان له أشد الأثر في ضعف وصول رسالتها أو رسالة حربها النفسية إلى الآخرين.

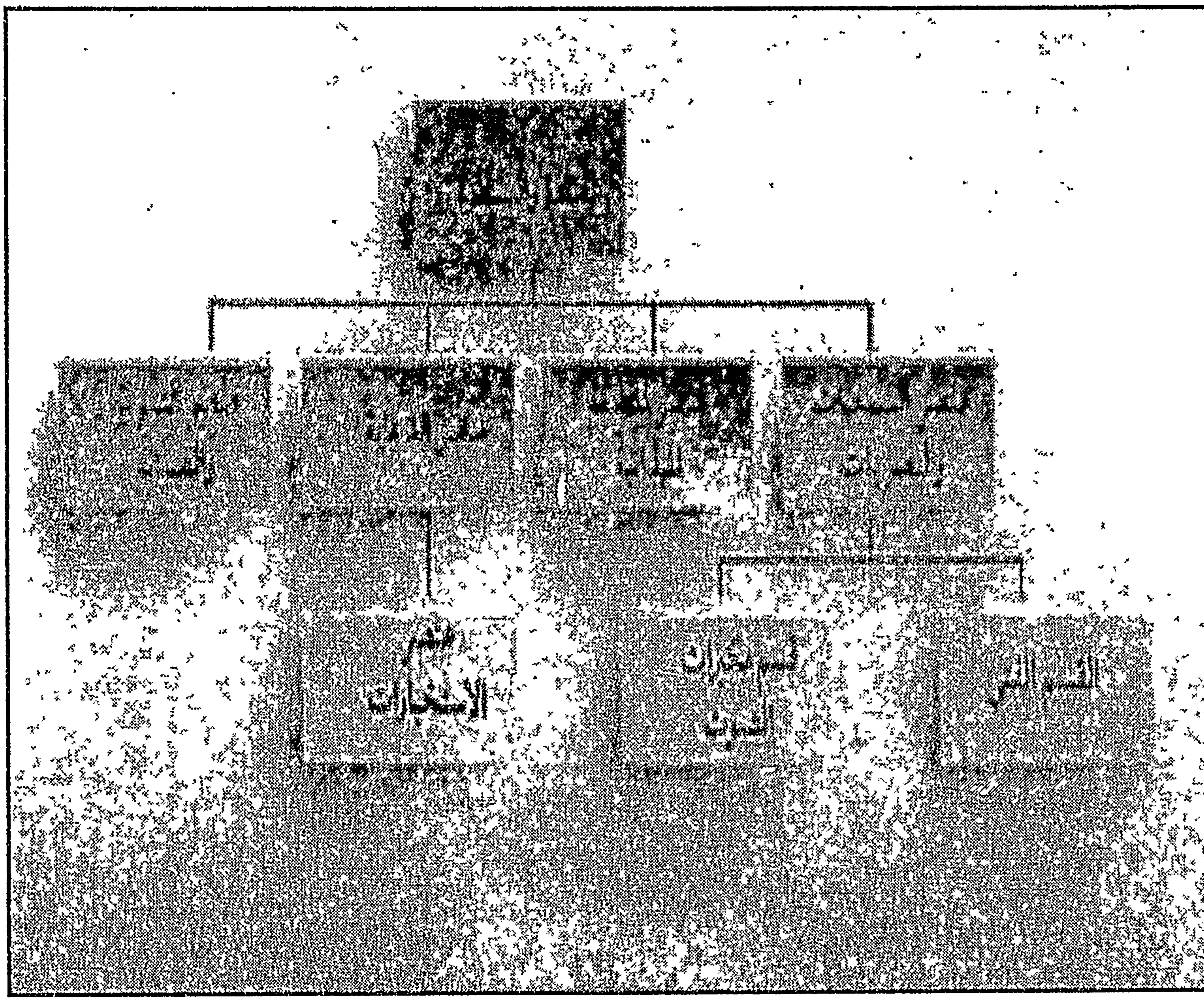
●●●

ملف وثائقى

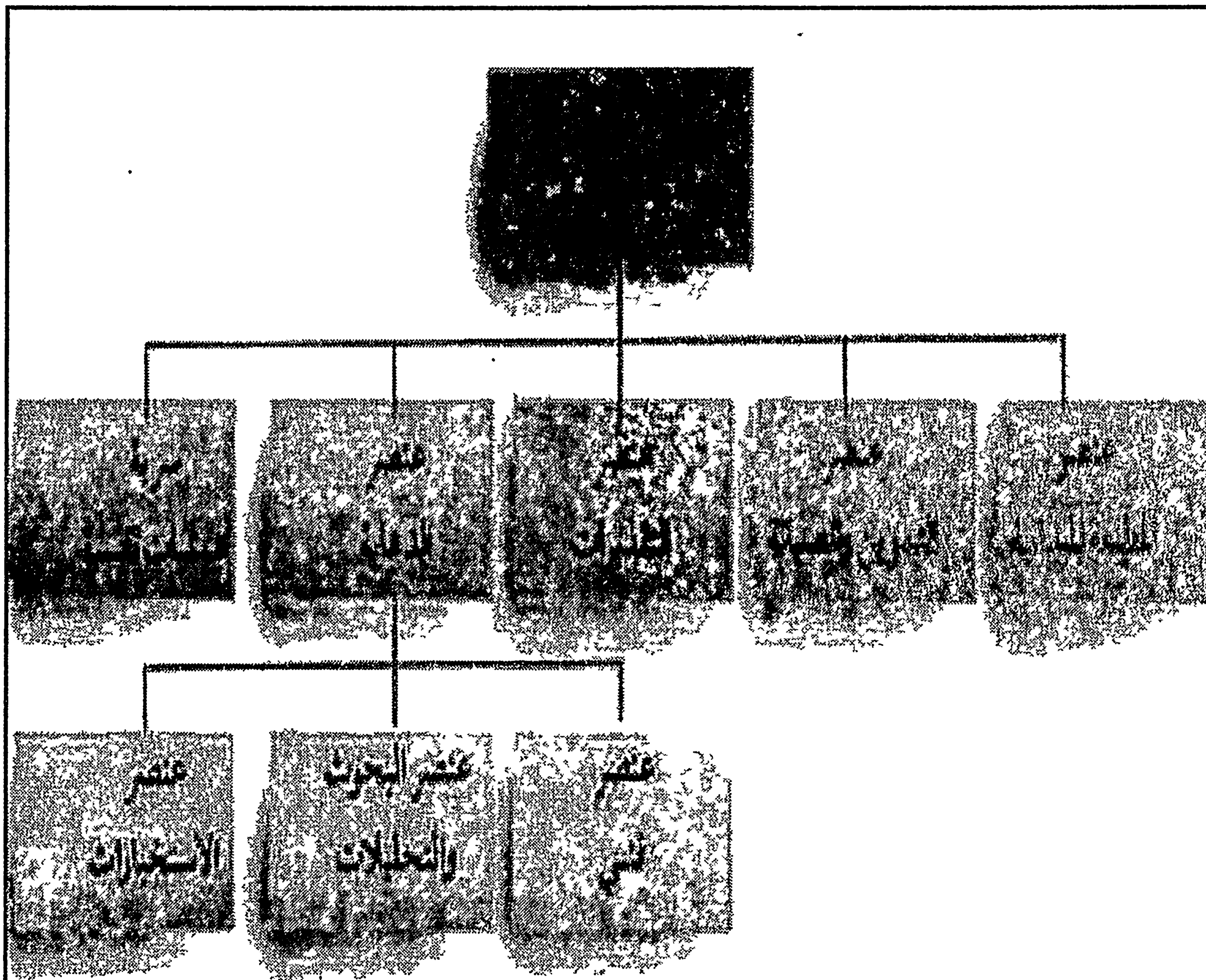
الحرب النفسية
والطابور الخامس



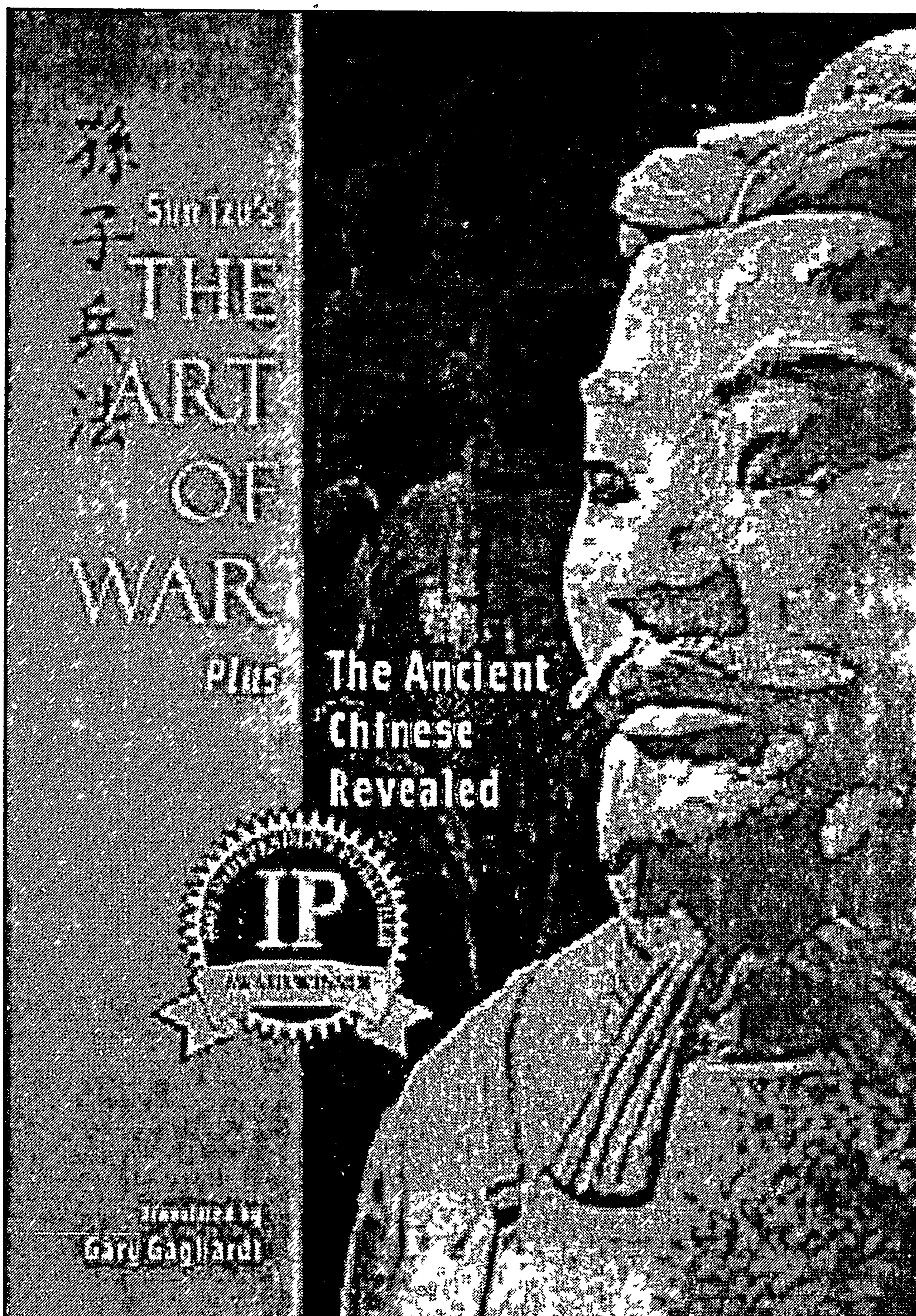
رسم يوضح استخدام الحرب النفسية في العمليات العسكرية



رسم يوضح تنظيم عملية حرب نفسية .



رسم يوضح تنظيم كتيبة حرب نفسية .



الخبير العسكري الصيني القديم " سون أتزو " الذي كان أول من نادى في كتابه الأشهر " فن الحرب قائلا : إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال " !!



القائد الألماني الأشهر روميل الذي قال في إشارة إلى أهمية الحرب النفسية : " إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل مبادأتهم " !!



هتلر الذي استخدم شكلا من أشكال الحرب النفسية سنة (١٩٣٦) ليجعل تشيكوسلوفاكيا تنسحب من منطقة " السويدات " الاستراتيجية دون أن تطلق رصاصة واحدة ، ونجح في احتلال مناطق واسعة جدا من فرنسا خلال ست ساعات فقط !!



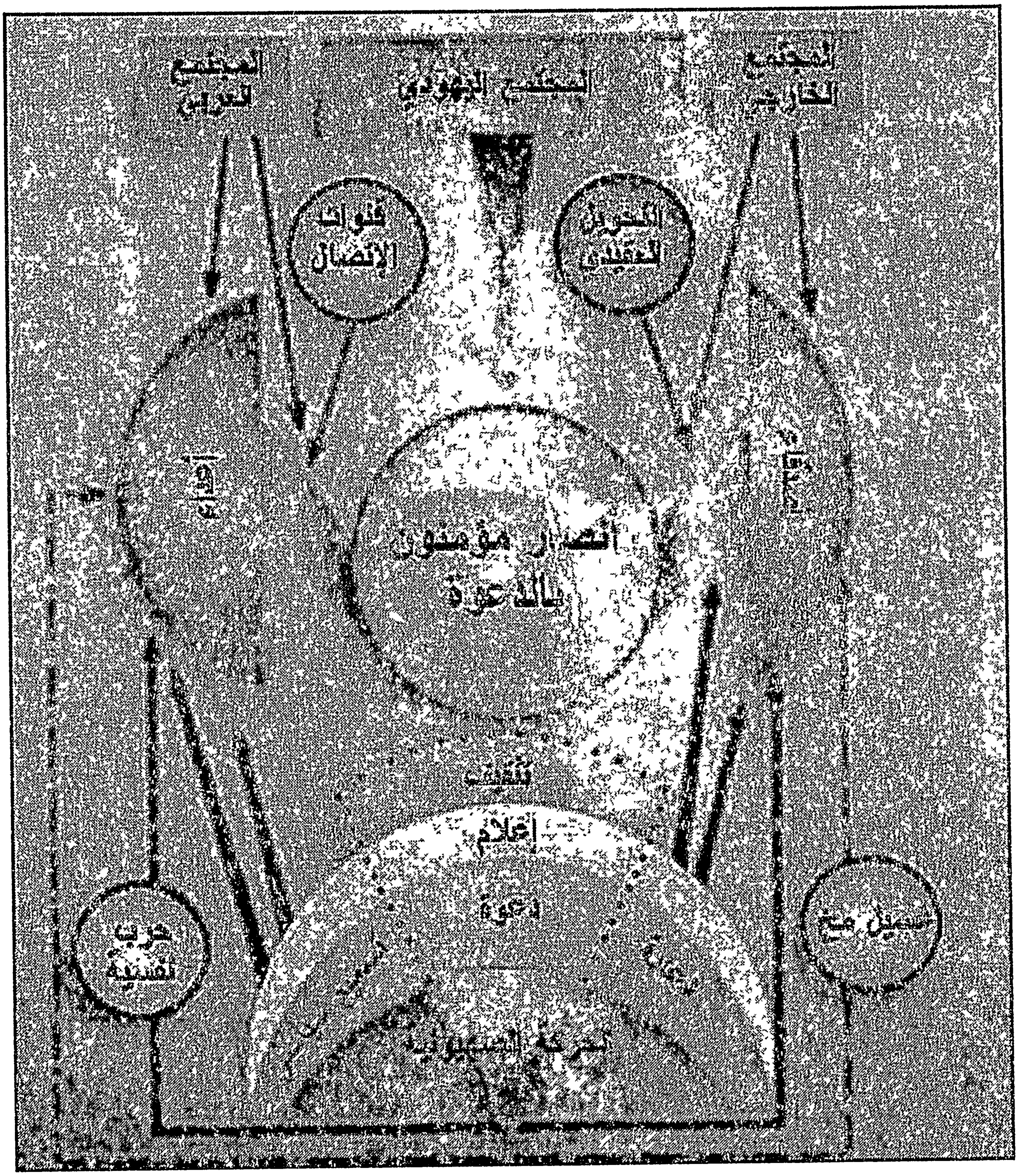
جوبلز وزير الدعاية في نظام هتلر و أحد أعلام الحرب النفسية في التاريخ .



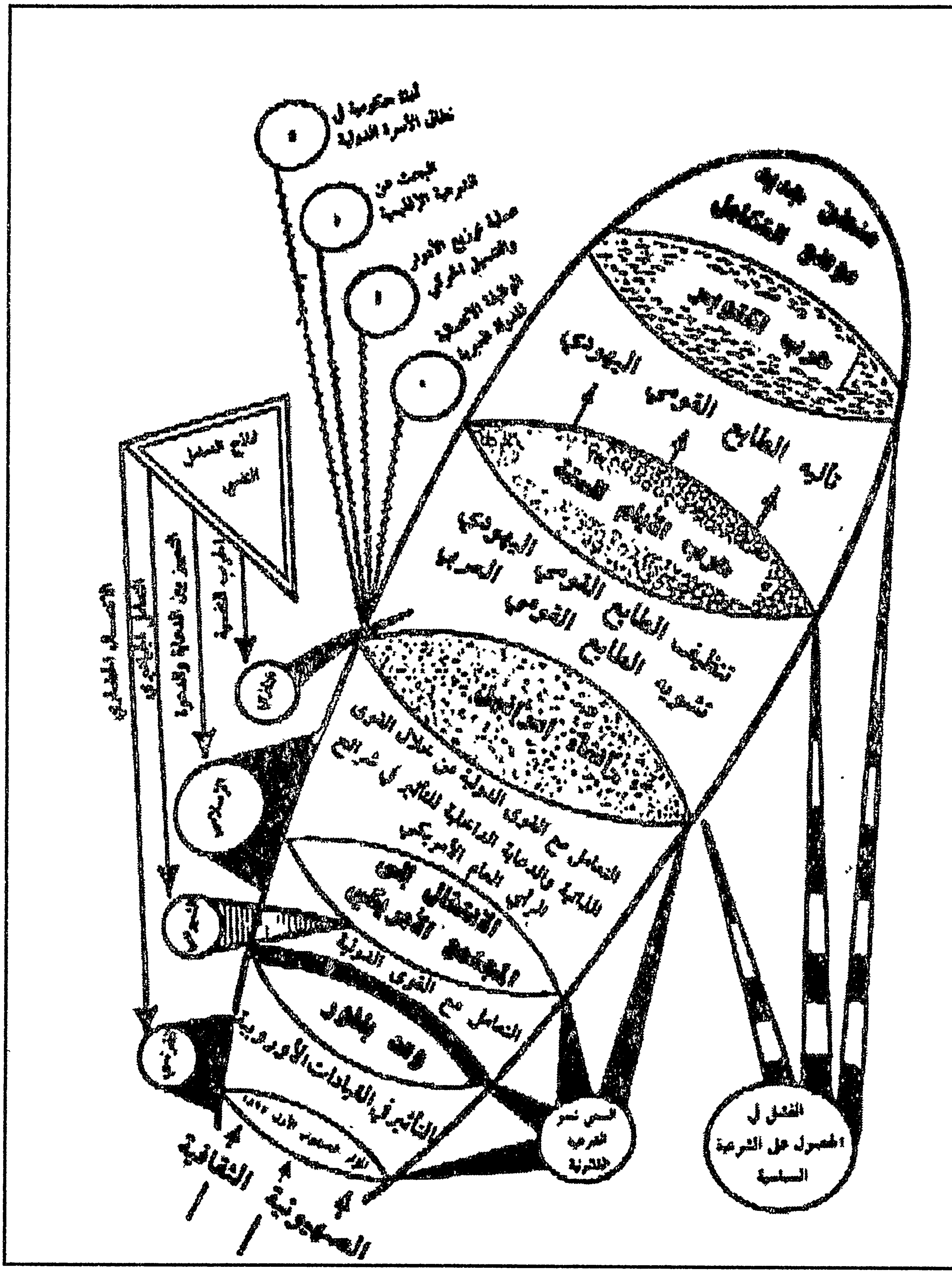
بيتان دي فيشي أشهر من مثل الطابور الخامس في التاريخ المعاصر وسلم بلاده فرنسا على طبق من فضة لقوات هتلر في الحرب العالمية الثانية!!



و بيتان يصافح هتلر و قادته الذين احتلوا بلاده بعد أن أصبح عميله الأول ورئيس الحكومة الفرنسية الموالية !!



عملية التعامل النفسي في الحركة الصهيونية .



رسم يوضح تطور الدعاية الصهيونية .



دعايات إسرائيلية كاذبة في إطار الحرب النفسية الصهيونية ضد العرب تزعم أن الصور المعروضة في هذا المنشور الدعائي الكاذب لفتيات عربيات مجندات في إسرائيل !!

إلى سكان قطاع غزة

تحملوا المسؤولية عن مصيركم!
إن مطلقي الصواريخ والعناصر الإرهابية يشكلون خطرا عليكم وعلى عائلتكم.

إذا كنتم ترغبون في تقديم يد العون والمساعدة لأهاليكم وإخوانكم في القطاع، ما عليكم إلا الاتصال على الرقم أدناه لإطلاعنا على مواقع منصات الصواريخ والعصابات الإرهابية التي جعلت منكم رهينة لعملياتها.

منع وقوع الفاجعة أصبح بين يديكم.

لا تترددوا!
سنرحب بجميع المعلومات المتوفرة لديكم – بدون الحاجة إلى ذكر تفاصيلكم الشخصية.
السرية مضمونة.
بمكنكم الاتصال بنا عبر الرقم التالي:
02
أو على العنوان التالي: @gmail.com
لتقديم أي معلومة لديكم عن نشاط العناصر الإرهابية.

ملاحظة: صونا لأمنكم نرجو منكم المحافظة على السرية عند إقامة أي اتصال بنا.

قيادة جيش الدفاع الإسرائيلي

أحد المنشورات التي ألقتها إسرائيل بواسطة طائراتها في سماء غزة لتصل إلى سكان غزة، وتستهدف بالأخص عامة الشعب، وتحاول فيها تجنيد عملاء يكشفون عن مواقع لإطلاق الصواريخ ومخازن للأسلحة.

وجاء في منشورات الجيش الإسرائيلي هذا : "إذا كنتم ترغبون بتقديم يد العون والمساعدة لأهاليكم وأخواتكم في القطاع ما عليكم إلا الاتصال على الرقم أدناه لإطلاعنا على مواقع منصات الصواريخ والعصابات الإرهابية التي جعلت منكم رهينة لعملياتها ".



المنشور الذي وزعه الجيش الإسرائيلي على سكان غزة .

مصادر ومراجع

- الحـرب النفسيـة في النظام الدولي الجديـد واتجاهات التحصين في المنطقـة العربيـة والإسـلامية - د . سعـد العبيـدي

- علم النفس العسكري - عماد عبد الرحيم الزغلول - دار الشروق - ٢٠٠٨

- الحرب النفسية وتأثيرها على مستقبل الدول - ناديا متى فخري - مجلة " الجيش " - ديسمبر ٢٠٠٢

- الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني - نادية العوضي - إسلام أون لاين - ١٣ أكتوبر ٢٠٠١) .

- العامل النفسي ودوره في خدمة المعركة - هايل عبد المولى طشطوش.

- مفهوم وأهداف الحرب النفسية - الموسوعة الإعلامية - ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩ .

- أشكال الحرب النفسية قبل وبعد الحرب الباردة - تقرير - بغداد - صحيفة "الشرق الأوسط" - ١٤ يوليو ٢٠٠٢.

- التسميم السياسي ومحو الذاكرة- د.حامد عبد الماجد - شبكة هجر الثقافية - ١٦ أبريل ٢٠٠٠.

- غزة تواجه حربا أخطر من العسكرية - أبو طه المقداد - مجلة قضايا جهادية - العدد الخامس.

- الحرب النفسية: الصادقة والكاذبة- طلعت رميح – صحيفة الحقائق – ١٨ أغسطس ٢٠٠٧ .

- الشائعات والحرب النفسية - عبد المنعم إبراهيم .

- كتاب " سيكولوجية الشائعة " - الدكتور محمد أحمد النابلسي .

- الإعلام والحرب النفسية - ياسمين الدجوي – موقع حقيقة العرب على الإنترنت.

- الاتحاد السوفييتي في ملفات المؤامرة العالمية – نجم الدليمي – موقع " قاسيون " .

- التلوث الثقافي الهادم للأمم والأفراد والجماعات ذاتيا - غازي أبو فرحة – ١٢ ديسمبر ٢٠٠٥ .

- وردة طوكيو.. العدو المفضل للأمريكيين – مجلة الجزيرة – ٢ أكتوبر ٢٠٠٨ .

- الحرب النفسية - تحسين يحيى أبو عاصي .

- قراءة جديدة في الحرب النفسية الموجهة إلى المجتمع العربي- د. محمود شمال حسن- سلسلة آفاق - دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد .

- علم النفس الاجتماعي - حامد زهران .

- أسلحة الخداع الشامل - شيلدون رامبتون وجون ستوبر- الدار العربية للعلوم- بيروت-٢٠٠٤ .

- الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع .

- الحرب النفسية - صلاح نصر .

- غسيل المخ - موقع الحصن للصحة النفسية على الإنترنت .

- دعاية المقاومة في مواجهة الدعاية الإسرائيلية- محسن محمد – مجلة الفكر العربي العدد ٨٩ - ١٩٩٧.

- التوابون...دراسة في عملية غسيل المخ التي مورست ضد الأسرى العراقيين في إيران - طالب الشطري

- الدعاية النازية – د. باسم الطويسي

- مفهوم الحرب النفسية - ضرغام معن

-إمبراطورية المُحافظين الجُدد- التضليل الإعلامي وحرب العراق- وليد شميط - دار الساقي- بيروت -٢٠٠٥.

- الحـرب النفسيـة.. تستهـدف العقل والسلوك البشري- د. ژاهر زكار.

- أهمية الحرب النفسية-وجهة نظر إسلامية- محمد جواد النوروزي - مجلة التوحيد- العدد٧٨- السنة١٩٩٥.

- صخب الدعاية والتضليل الأمريكي - مهند العزاوي - مركز صقر للدراسات ٢١ سبتمبر ٢٠٠٨ .

- الأمن القومي والاختراق الثقافي والإعلامي - د. عبد الرزاق محمد الدليمي- مجلة نوافذ الثقافية – ١٥ أبريل ٢٠٠٧

-غسيل الدماغ - د. فخري الدباغ - دار الطليعة- بيروت- ١٩٨٢.

- الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد - صلاح نصر - ١٩٦٧.

-التلوث الثقافي - الهادم للأمم والأفراد والجماعات ذاتيا – د.غازي أبو فرحة

الاتحاد السوفييتي في ملفات المؤامرة العالمية- نجم الدليمي - الحوار المتمدن – ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٨ .

الفهرس

الفهرس

يطلقون عليها اسم (حرب تحطيم المعنويات)، و(حرب الأعصاب)، و(حرب غسيل الأدمغة)، و(حرب العقول)، و(حرب الأفكار).. كل هذه أسماء تُطلق على أخطر الحروب التي عرفها الإنسان على مدى تاريخه على الأرض، وهى (الحرب النفسية)، التي يطلق عليها أيضا (فن تحطيم العدو دون حرب ..وإنزال الهزيمة به دون قتال).. الحرب النفسية وهى موضوع هذا الكتاب - ليست حربا بالمعنى التقليدى أسلحة وذخائر وجنود.. بل هى حرب بلا مدافع تشن فى وقت السلم والحرب على السواء.. فالحروب حرب بالمدافع وحرب بلا مدافع ويستخدم كل من النوعين لتحقيق وتنفيذ خطة أو إستراتيجية معينه.. والحرب ذات المدافع هي الحرب التقليدية هي حرب الحديد والنار. والحرب بلا مدافع تشمل الحرب السياسية، والحرب الاقتصادية، والحرب النفسية.

وكما سنرى في هذا الكتاب فإن الحرب النفسية أهم أسلحتها (الكلمة) من خلال الإشاعات أو الدعايات الكاذبة أو بث روح الانهزامية أو ممارسة عمليات غسيل الدماغ.. إلخ.

في هذا الكتاب سنتعرف على مفهوم الحرب النفسية وأشكالها وأهدافها وتأثيراتها وأدواتها وعلاقتها بما يسمى بـ (الطابور الخامس)، وبعض التطبيقات العملية للحرب النفسية من وحى الواقع، حيث نقدم نماذج لها وقعت بالفعل. كما سنحاول التعرف على الحرب النفسية التي مارستها النازية في الحرب العالمية الثانية، والحرب النفسية الصهيونية ضد العرب بصفة عامة والفلسطينيين وحزب الله على وجه الخصوص، وكذلك الحرب النفسية الأمريكية ضد العراقيين وكيف أسقطت بغداد دون قتال.. هذا الكتاب محاولة للغوص في موضوع شائك ولكن بشكل شائق ومليء بالتفاصيل المثيرة والمفيدة أيضا.

W.Salama 010 15 17 873

I.S.B.N. 978-977-376-524-6

9 789773 765248

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة